تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

سفر

أعمال الرسل



سفر
أعمال الرسل

نقلها إلى العربية
جوزيف صابر



صدر عن دار الثقافة ص . ب ١٣٠٤ ـ القاهرة

١٠/٢٥٨ط٢/ (أ) ٨٢ (٥ ـ ١٠)
رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٢/٤٩٦٠ x ـ ٠٠٨ ـ ١٦٦ ـ ٩٧٧

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة لسفر الأعمال	٩
الأصحاح الأول :	
قوة للعمل	٢٠
الملكوت وشهوده	٢٣
أمجاد الرحيل وأمجاد المجيء	٢٦
نهاية الخائن	٢٨
مؤهلات الرسول	٣٢
الأصحاح الثاني :	
نسمة الله	٣٥
جاء يوم الرب	٤٢
رب ومسيح	٤٤
خلصوا أنفسكم	٤٧
مميزات الكنيسة	٥٠
الأصحاح الثالث :	
عمل مجيد يعمل	٥٤
جريمة الصلب	٥٧
درجات الوعظ	٥٩
الأصحاح الرابع :	
القاء القبض	٦٢
أمام السنهدريم	٦٤
لا ولاء الا لله	٦٦
العودة بانتصار	٦٩
كل شيء كان مشتركا	٧١
الأصحاح الخامس :	
مشكلة فى الكنيسة	٧٤
جاذبية المسيحية	٧٦
اعادة القاء القبض والمحاكمة	٧٨
حليف غير متوقع	٨١
الأصحاح السادس :	
الموظفون الأوائل فى الكنيسة	٨٥
قيام بطل من أبطال الحرية	٨٧
دفاع اسطفانوس	٨٩
الأصحاح السابع :	
رجل أقامه الله	٩١
النزول الى مصر	٩٣
الرجل الذى لم ينس مواطنيه	٩٥
شعب غير مطيع	٩٨
أول الشهداء	١٠١
الكنيسة تنطلق للخارج	١٠٤
الأصحاح الثامن :	
محاولة تدمير الكنيسة	١٠٥
فى السامرة	١٠٦
أشياء لا تباع ولا تشترى	١٠٨
المسيح يتقابل مع حبشى	١١١
الأصحاح التاسع :	
الخضوع	١١٥
ترحيب مسيحى	١١٧
الشهادة للمسيح	١١٩
هرب بجلده	١٢١
الرفض فى أورشليم	١٢٣
أعمال بطرس	١٢٥
الأصحاح العاشر :	
جندى تقى	١٢٩
بطرس يتعلم درسا	١٣١
مقابلة بطرس لكرنيليوس	١٣٣
قلب الانجيل	١٣٦
دخول الأمم	١٣٨
الأصحاح الحادى عشر :	
بطرس يدافع	١٤٠
قصة مقنعة	١٤١
أشياء عظيمة فى أنطاكية	١٤٣
حكمة برنابا	١٤٦

الموضوع	الصفحة
المساعدة فى الضيق	١٤٨
الاصحاح الثانى عشر :	
سجن وافراج	١٥٠
فرحة العودة	١٥٣
نهاية فظيعة	١٥٦
الرحلة التبشيرية الأولى	١٥٧
الأصحاح الثالث عشر :	
أفرزهما الروح القدس	١٥٩
نجاح فى قبرص	١٦١
المتراجع	١٦٣
رحلة خطرة لرجل مريض	١٦٥
عظة بولس	١٦٦
اضطرابات فى انطاكية	١٧١
الأصاح الرابع عشر :	
الى أيقونية	١٧٤
ظنوهما آلهة فى لسترة	١٧٥
شجاعة بولس	١٧٨
تشديد الكنيسة	١٧٩
مشكلة عصيبة	١٨١
الأصحاح الخامس عشر :	
المشكلة تتأزم	١٨٢
بطرس يشرح القضية	١٨٤
يعقوب القائد	١٨٦
اذاعة القرار	١٨٨
بولس يسافر ثانية	١٩٠
الرحلة التبشيرية الثانية	١٩٢
الأصحاح السادس عشر :	
ابن فى الايمان	١٩٣
الانجيل يصل الى اوربا	١٩٥
أول متجدد فى اوربا	١٩٧
جارية بها روح عرافة	١٩٩
سجان فليبى	٢٠١

الموضوع	الصفحة
الأصحاح السابع عشر :	
فى تسالونيكى	٢٠٤
الى بيريه	٢٠٦
وحيدا فى اثينا	٢٠٨
عظة للفلاسفة	٢١١
رد الفعل فى اثينا	٢١٣
الأصحاح الثامن عشر :	
اسوا مدينة	٢١٧
نزاهة العدالة الرومانية	٢١٩
العودة الى أنطاكية	٢٢١
دخول أبولوس	٢٢٢
الأصحاح التاسع عشر :	
المسيحية الناقصة	٢٢٧
أعمال الله	٢٢٩
الضربة القاضية للسحر	٢٣١
غرض بولس	٢٣٣
شغب فى أفسس	٢٣٤
الأصحاح العشرون :	
بدء الرحلة الى أورشليم	٢٣٨
الشباب النائم	٢٣٩
مراحل الطريق	٢٤١
وداع مؤلم	٢٤٣
الأصحاح الحادى والعشرون :	
لا رجوع	٢٤٧
شبهات فى أورشليم	٢٥٠
تشويه سمعته	٢٥٢
مواجهة ثورة الشعب	٢٥٥
الأصحاح الثانى والعشرون :	
دفاع خبير	٢٥٧
بولس يكمل قصة حياته	٢٥٩
معارضة مريرة	٢٦٢

الموضوع	الصفحة
الأصحاح الثالث والعشرون :	
خطة بولس	٢٦٥
اكتشاف مكيدة	٢٦٧
رسالة الأمير	٢٧٠
الأصحاح الرابع والعشرون :	
خطاب تملق وتهمة باطلة	٢٧٣
دفاع بولس	٢٧٥
كلام صريح لحاكم خاطىء	٢٧٧
الأصحاح الخامس والعشرون :	
أرفع شكواى إلى قيصر	٢٧٩
فستوس وأغريباس	٢٨١
فستوس يبحث عن مادة لتقريره	٢٨٣
الأصحاح السادس والعشرون :	
دفاع رجل متجدد	٢٨٥
الخضوع للدعوة للخدمة	٢٨٧

الموضوع	الصفحة
قبول المهمة	٢٩٠
ملك يتأثر	٢٩١
الأصحاح السابع والعشرون :	
الرحلة الأخيرة	٢٩٤
خطر فى البحر	٢٩٦
لا تخافوا	٢٩٨
رجاء فى هذا اليوم	٣٠٠
نجاة من الموت	٣٠٢
الأصحاح الثامن والعشرون :	
مرحبا فى مالطة	٣٠٤
يتلقى المعونة ويساعد الآخرين	٣٠٥
وصلنا الى روما	٣٠٧
يهود لا يتجاوبون	٣٠٩
بكل مجاهرة بلا مانع	٣١١

سفر أعمال الرسل

كتاب ثمين :

يمكن القول إن سفر الأعمال من أهم أسفار العهد الجديد الذى لولاه لما استطعنا التعرف على مرحلة تكوين الكنيسة الأولى (فيما عدا بعض الإشارات البسيطة التى وردت فى رسائل بولس الرسول) .

وهناك طريقتان لكتابة التاريخ : الطريقة الزمنية أى محاولة تتبع الحوادث سنة بعد سنة وأسبوع بعد أسبوع ومن يوم ليوم أو أن يحاول المؤرخ إلقاء الأضواء على بعض المواقف الحية والشخصيات البارزة فى فترة معينة . والطريقة الأخيرة هى التى اتبعها كاتب سفر أعمال الرسل . ولكن هذا السفر لم يحاول أن يعطينا تفاصيل عن كل أعمال الرسل فلم يذكر هـــذا السفر غير ثلاثة من الرسل (خلاف بطرس وبولس) ففى أع ١٢ : ٢ نرى جملة مختصرة أن هيرودس قتل يعقوب أخا يوحنا ويرد ذكر يوحنا فى القصة ولكنه لا يتحدث فيها . فهو يركز على شخصية بطرس ويعطينا تفصيلات حقيقية عن هـــذه الشخصية الرائدة ثم سرعان ما تختفى هذه الشخصية من مسرح القيادة(*) . فالغرض الرئيسى لهذا السفر أن يعطينا سلسلة من أعمال ومغامرات أبطال الكنيسة الأولى .

(*) إن ترجمة اسم السفر فى اللغة العربية (أعمال الرسل) أدق من الترجمة الانجليزية سفر الأعمال (The Acts of The Apostles) .

كاتب السفر :

ولو أن إسم الكاتب غير مذكور صراحة إلا أنه من المتعارف عليه من أقدم العصور أن لوقا هو الكاتب . ونحن نعرف عن لوقا القليل فلم يرد ذكره إلا فى ثلاثة مواضع فى العهد الجديد . كولوسى ٤ : ١٤ ، فليمون ٢٤ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ١١. ومن هذه النصوص نستنتج شيئين بصفة قاطعة :

أولا : أن لوقا كان طبيباً . ثانياً : أنه كان من أهم مساعدى بولس وأكثر أصدقائه إخلاصاً . إذ كان رفيقه فى سجنه الأخير .

لكننا نستنتج أولاً أنه كان أممياً ففى كولوسى ٤:١١ يرد ذكر تحيات من مجموعة من الأشخاص الذين هم من الختان أى من اليهود وابتداء من العدد ١٢ فيذكر الرسول مجموعة أخرى يمكن أن نستنتج بداهة أنهم من الأمم . ومن هذا نرى أن لوقا هو الأممى الوحيد الذى كتب كتباً فى العهد الجديد .

ويمكن إستنتاج أن لوقا كان طبيباً لأنه كان يستخدم بعض الألفاظ الطبية . ففى لوقا ٤ : ٣٥ عندما يتكلم عن الإنسان الذى به روح نجس فإنه يستخدم كلمة طبية صحيحة (فصرعه الشيطان) وفى لوقا ٩ : ٣٨ يرسم لوقا صورة للإنسان الذى طلب من المسيح « يامعلم أطلب إليك . أنظر إلى إبنى » وهذا التعبير صورة لما يقوم به الطبيب عند الكشف على مريض .

ومن أطرف الأمثلة على ميل لوقا لاستخدام التعبيرات الطبية كلامه عن الجمل وثقب الإبرة . فقد ورد ذكر هذه الجملة فى ثلاثة أناجيل « متى١٩ : ٢٤ ، مرقس ١٠ : ٢٥ ، لو ١٨ : ٢٥ » ولكن متى ومرقس يكتبان عن إبرة

الخياط (raphis) ولكن لوقا وحده يتكلم عن إبرة الجراح (beloné) فقد كان لوقا طبيباً لذلك كان قلمه يكتب الكلمات الطبية كما تعود .

المرسل إليه :

كتب لوقا إنجيله وسفر الأعمال إلى شخص يدعى ثاوفيلس (لو ١ : ٣ ، أع ١ : ١) وليس أمامنا إلا التخمين لمعرفة شخصية هذا الرجل . فى لو ١ : ٣ نرى لوقا يخاطبه « أيها العزيز ثاوفيلس » وفى الإنجليزية « your excellency » أى يا صاحب السعادة فلا بد أن يكون ثاوفيلس هذا شخصاً فى مركز ممتاز فى خدمة الحكومة الرومانية وهناك إحتمالات ثلاثة بخصوص شخصية ثاوفيلس :

١ — قد يكون ثاوفيلس إسماً وهمياً أو إسماً مستعاراً . فى تلك الأيام كان من الخطورة على أى إنسان إعتناق المسيحية . ولكن كلمة ثاوفيلس(*) معناها الذى يحب الله لذلك يحتمل أن يكون لوقا قد كتب هذا االسفر لشخص يحب الله ولم يكتب اسمه صراحة خوفاً مما يترتب عن ذلك من إضرار بالشخص المخاطب .

٢ — ولكن إذا كان ثاوفليس شخصاً حقيقياً له مركزه الاجتماعى فربما قصد لوقا من توجيه هذه الكتب إليه أن يظهر له أن للسيحية دين سام وأن المسيحيين أناس ممتازون . بل ربما قصد بسفر الأعمال الدفاع عن المسيحية وإغراء هذا الموظف الكبير حتى لا يضطهد المسيحية .

(*) Theos الله
Phillein محبة

٣ — هناك نظرية فيها الكثير من الخيال أكثر من سابقتيها . فلوقا كان طبيباً والأطباء فى ذلك العصر كانوا من طبقة العبيد . فربما كان لوقا طبيب ثاوفيلس الخاص وقد تعرض هذا لخطر الموت من مرض خطير عالجه لوقا بمهارة مما دعا ثاوفيلس أن يعبر عن شكره وعرفانه بالجميل فمنحه الحرية وأطلقه حراً . وقد أراد لوقا أن يعبر عن امتنانه لهذه المنحة فكان أعز ما يستطيع أن يقدمه له قصة يسوع المسيح التى كتبها وأرسلها له تعبيراً عن هذا الشعور .

غرض لوقا من كتابة سفر الأعمال :

عندما يكتب شخص رسالة فإنه يكتبها لسبب أو لعدة أسباب فلنرى معاً بعض هذه الأسباب التى دعت لوقا لكتابة سفر الأعمال .

١ — أحد هذه الأسباب أن يحبذ Commend المسيحية فى نظر الرؤساء الرومان فكثيراً مانراه يشير إلى المعاملة الطيبة التى كان يلقاها بولس من الرؤساء الرومان . ففى أ ع ١٣ :١٢ نرى سرجيوس بولس والى قبرص يؤمن بالمسيح وفى ١٨ : ١٢ نرى غاليون فى موقف غير متحيز فى كورنثوس وفى ١٩ : ٣١ نجد أناساً من وجوه أسيا فى أفسس اهتموا بحياة بولس حتى لايقتل وكأن لوقا يريد أن يشير إلى أن الحكام الرومان فى السنين السابقة للسفر كانوا عادلين وغير متحيزين ضد المسيحية . كما نرى أن لوقا يجهد نفسه لكى يظهر المسيحيين مواطنين مخلصين وأنه كان ينظر إليهم دائماً على هذه الصورة ففى ١٨ : ١٤ يعلن غاليون أنه لم يجد فى الأمر ظلماً أو خبثاً رديا . وفى ١٩ : ٣٧ يشهد كاتب أفسس (السكرتير) للمسيحية شهادة طيبة وفى ٢٣ : ٢٩ نجد

كلوديوس ليسياس حريصاً على أن يذكر أن بولس لم يفعل شيئاً يستحق الموت أو القيود . وفى ٢٥ : ٢٥ نرى فستوس يعلن أنه لم يجد شيئاً على بولس يستحق عليه الموت وفى نفس الأصحاح نجد فستوس وأغريباس يتفقان على أنه كان من الممكن إطلاق سراحه لو لم يرفع دعواه لقيصر .

لقد كان لوقا يكتب فى وقت كان فيه المسيحيون مكروهين ومضطهدين وقد كتب هذا السفر مظهراً أن الرؤساء الرومان كانو عادلين بالنسبة للمسيحية وأنهم لم يعاملوا المسيحيين قط كأئمة أو مجرمين

ومن أطرف ماقيل إن سفر الأعمال ما هو إلا المذكرة التى أعدت للدفاع عن بولس أمام امبراطور روما عند محاكمته .

٢ — ومن أغراض هذا السفر أيضاً إظهار أن المسيحية دين عالمى لكل الناس من كل البلاد والأجناس . وهذه الفكرة من أصعب الأفكار التى واجهت اليهود . فقد كانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن الله لا يستخدم أى أمة أخرى ولا يتعامل معها . ولكن لوقا يبرهن أن هذه الفكرة غير حقيقية . فهو يكتب عن فيلبس الذى بشر فى السامرة وكذلك استفانوس الذى استشهد لأنه جعل من المسيحية ديناً عالمياً . أما بطرس فقد قبل كرنيليوس فى الكنيسة .

والمسيحيون الأوائل بشروا الأمم فى أنطاكية . وهو يصور لنا بولس يجوب الأقطار يربح أناساً من كل الأجناس للمسيح . وفى أصحاح ١٥ يبين أن الكنيسة قررت أن تقبل الأمم على قدم المساواة كاليهود تماماً . لا شك أن لوقا أراد أن يبين أن المسيحية دين لا يرتبط بقيود .

٣ — ولكن كل هذه الأغراض السابقة تعتبر أغراضاً ثانوية أمام الغرض الأسمى وهو أن يوضح أن كلمات المسيح المقام قد تحققت « وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض ١ : ٨ » لقد كان غرض لوقا الأعظم أن يبين مدى انتشار المسيحية لكى يوضح أن الدين الذى بدأ فى بقعة صغيرة من فلسطين وصل الى روما نفسها فى ثلاثين سنة أو أكثر قليلاً .

وقد أشار تيرنر (C. H. Turner) إلى أن سفر الأعمال ينقسم إلى ستة أقسام ينتهى كل قسم منها بتقرير عن مدى تقدم المسيحية وانتشارها وهى كما يأتى :

(ا) ١ : ١ إلى ٦ : ٧

وهذا القسم يخبرنا عن كنيسة أورشليم ووعظ بطرس وتنتهى بالملخص « وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الله » .

(ب) من ٦ : ٨ إلى ٩ : ٣١

وهو يبين انتشار المسيحية فى فلسطين واستشهاد استفانوس ثم تبشير السامرة . وينتهى بالملخص « وأما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تبنى وتسير فى خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » .

(ح) من ٩ : ٣٢ إلى ١٢ : ٢٤

وهذا القسم يشمل تجدد بولس وانتشار المسيحية حتى أنطاكية وقبول كرنيليوس الأممى فى الكنيسة بواسطة بطرس والملخص « وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد » .

(د) من ١٢ : ٢٥ إلى ١٦ : ٥

وهذا الجزء يبين انتشار المسيحية فى أسيا الصغرى ومركز التبشير فى غلاطية وينتهى بالقول « فكانت الكنائس تتشدد فى الإيمان وتزداد فى العــدد كل يوم » .

(هـ) من ١٦ : ٦ إلى ١٩ : ٢٠

وصول البشارة إلى أوربا وعمل بولس فى مدن الأمم الكبرى مثل كورنثوس وأفسس والخلاصة « هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة » .

(و) من ١٩ : ٢١ إلى ٢٨ : ٣١ .

وهى تبين وصول بولس إلى روما وسجنه هناك وتنتهى بصورة بولس كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » .

هذا التقسيم يوضح غرض السفر الأساسى الذى قد يبدو لأول وهلة محيراً . لماذا ينتهى السفر بالنهاية التى نراها ؟ إنه ينتهى وبولس فى السجن ينتظر المحاكمة . فكم كنا نشتاق أن نعرف ماحدث لبولس ولكن النهاية محوطة بالغموض . ولكن لوقا توقف عن الكتابة عندما وجد أنه قد حقق غرضه . فقد بين

كيف أن المسيحية بدأت من أورشليم واكتسحت العالم حتى وصلت إلى روما المدينة العظيمة . ذكر أحد كبار علماء العهد الجديد أن عنوان سفر الأعمال يمكن أن يكون : « كيف أمكن نشر بشارة الأخبار الطيبة من أورشليم إلى روما » . لقد كان غرض لوقا أن يضع أمام أعين الناس Wellmigh الانتشار المعجزى للإنجيل فترك قلمه عندما وصل بنا إلى المسيحية فى قلب روما .

مصادر لوقا :

لقد كان لوقا مؤرخاً ومن المهم أن نعرف المصادر التى استقى منها معلوماته وفى هذا الصدد ينقسم السفر إلى قسمين :

١ — الأسفار الخمسة عشر الأولى تبين لنا أن لوقا لم يشهد هذه الحوادث بنفسه ولذلك علم بها من :

(ا) الكنائس المحلية . وغالباً لم تكن هذه الحوادث مكتوبة ولكن الكنائس تعرف هذه الحوادث وفى هذا القسم نميز ثلاثة مصادر : الكنيسة فى أورشليم التى نجدها فى الأصحاحات من ١ — ٥ وفى الأصحاحات ١٥ ، ١٦ ثم الكنيسة فى قيصرية وهى تغطى الحوادث من ٨ : ٢٦ — ٤٠ ، ٩ : ٣١ إلى ١٠ : ٤٨ . ثم كنيسة أنطاكية ١١ : ١٩ — ٣٠ ، ١٢ : ٢٥ إلى ١٤ : ٢٨ .

(ب) ولاشك أنه كانت هناك روايات تروى عن أبطال الكنيسة الأوائل وغالبا تلك القصص عن أعمال بطرس وأعمال يوحنا وأعمال فيلبس وأعمال استفانوس كما أن صداقة لوقا لبولس أتاحت له الفرصة للاتصال بكل الناس المشهورين فى الكنائس المختلفة مما أتاح له فرصة سماع قصصهم ورواياتهم .

(٢) أما الأصحاحات من ١٦ — ٢٨ فمعظم ما جاء بها يدل على أن لوقا هو مصدرها الأساسى وكانت له خبرة شخصية بحوادثها . وعندما نقرأ سفر الأعمال بإمعان نلاحظ شيئاً غريباً . ففى بعض الأجزاء يكتب لوقا «أما هم فقد فعلوا .. كذا» ثم فجأة يقول «لقد فعلنا . . . كذا» ونحن نجد ضمير المتكلم «نحن أو نا» فى الشواهد التالية :

١٦ : ١٠ — ١٧ ، ٢٠ : ٥ — ١٦ ، ٢١ : ١ — ١٨ ، ٢٧ : ١ — ٢٨

وتدل هذه الحوادث على أن لوقا كان حاضراً وأنه كان يدون مشاهداته فى مفكرته الخاصة فهى وصف شاهد عيان .

أما الحوادث التى لم يرها بنفسه فقد سمعها من بولس فى الأوقات التى صرفها معه فى رحلاته وفى سجنه . كما أنه من المؤكد أن لوقا كان يعرف كل الشخصيات الكنسية معرفة شخصية وكان يحصل منهم فى مقابلاته معهم على خبراتهم الشخصية .

عندما نقرأ سفر أعمال الرسل نشعر أننا واثقون أنه لم تتح لأى مؤرخ كل هـــذه المصادر ولم يتوخ أى مؤرخ الدقة والأمانة فى استخدام مصادره كما فعل لوقا .

التفسير

قوة للعمل

الأصحاح الأول

اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَاثَاوُفِيلُسُ عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ. إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ بَعْدَ مَا أَوْصَى بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرُّسُلَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ. اَلَّذِينَ أَرَاهُمْ أَيْضاً نَفْسَهُ حَيّاً بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ. وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ بَلْ يَنْتَظِرُوا مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي. لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ لَيْسَ بَعْدَ هٰذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ.

(أع ١ : ١ — ٥)

يمكن اعتبار سفر أعمال الرسل المجلد الثانى من رواية مسلسلة وذلك لسببين :

اولا : لأن هذا السفر هو الجزء الثانى فعلاً من قصة يسوع التى كتبها لوقا وأرسلها إلى ثاوفيلس . ففى الجزء الأول (إنجيل لوقا) تكلم البشير عن حياة السيد المسيح على الأرض أما فى هذا الجزء فهو يتكلم عن قصة الكنيسة .

ثانيا : أن موضوع الإنجيل هو قصة ما ابتدأ يسوع يعمله ويعلّم به ولكن حياة المسيح على الأرض كانت بداية لعمل كبير لا نهاية له .

هنالك أنواع مختلفة من الخلود :

(ا) **خلود الشهرة** : ففي رواية هنرى الخامس لشكسبير ، يخاطب الملك أتباعه واعداً إيام بالشهرة والذكرى الخالدة إذا انتصروا فى معركة أجنكورت : agincourt

« ستكون قصتكم قصة خالدة

يرويها الآباء للأبناء

ومن اليوم إلى نهاية العالم

سيذكرنا الناس دائماً » .

ولا شك أن المسيح قد حقق هذا النوع من الخلود . فاسم المسيح لا ينسى

(ب) **خلود السلطان** : فبعض الناس يتركون تأثيراً خاصاً فى العالم .

فالسير فرانسيس دريك كان أعظم البحارة الإنجليز وإلى يومنا هـذا يسمى المعسكر الملكى للبحرية فى بليموث باسمه حتى يتوج اسمه الخالد البحارة الإنجليز . والمسيح ترك أثراً خالداً لا تمحوه السنون وذلك لما صنعه فى العالم ومع الناس الذين تعامل معهم .

ولكن فوق كل هذا هناك القوة المستمرة الخالدة وحضور المسيح نفسه فيما بيننا . فلم يترك المسيح لنا مجرد ذكرى خالدة لاسمه وسلطانه ولكنه ما زال حياً

قوياً . فهو لم يكن حياً فى فترة زمنية انتهى بانتهائها لكنه ما زال حياً وحياته مستمرة خالدة .

ويمكننا أن نقول إن موضوع سفر الأعمال تقريباً هو أن حياة المسيح مستمرة فى كنيسته . حدثنا دكتور فوستر عن هندوسى جاء إلى أسقف هندى بعد أن قرأ العهد الجديد بمفرده وتأثر غاية التأثر وشعر بأن يسوع يجتذبه إليه . فقد قرأ فى الأناجيل قصة يسوع وما عمله وما قاساه وفى سفر الأعمال قرأ ما عمله الرسل وما علموا به وما فكروا فيه وكأنهم كانوا يكملون رسالة المسيح على الأرض . فقال الهندوسى الأسقف «لا بد أن أنضم إلى الكنيسة التى تكمل الرسالة التى بدأها المسيح » فسفر الأعمال يظهر لنا الكنيسة التى تحمل المشعل وتتمم رسالة المسيح .

وفى هذا الفصل الكتابى نرى كيف امتلأت الكنيسة بالقوة لتؤدى هذه الرسالة . فقد امتلأت بقوة الروح القدس لتقوم بدورها .

إننا غالباً نطلق على الروح القدس اسم الروح المعزى وهذه التسمية تنسب إلى ويكلف Wycliff · ولكن فى أيامه كانت كلمة المعزى تعنى أمراً آخر . فأصلها اللاتينى فورتس « fortis » أى الشجاع ، والمعزى هو الشخص الذى يملأ الناس شجاعة وقوة . وفى سفر الأعمال كما فى كل أسفار العهد الجديد ليس من السهل أن نفصل بين عمل الروح القدس وعمل المسيح المقام . وفى الحقيقة لسنا فى حاجة إلى هذا الفاصل لأن مجيء الروح القدس هو تحقيق لوعد المسيح « وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » مت ٢٨ : ٢٠ .

ولنتأمل شيئاً آخر . لقـــد فرض على التلاميذ أن ينتظروا حلول الروح القدس . ولا شك أننا سنزداد قوة وشجاعة وسلاماً إذا تعلمنا أن ننتظر . ففى أعمالنا فى الحياة نحتاج أن نتعلم كيف ننتظر « وأما منتظرو الرب فيجددون قوة » إش ٤٠ : ٣١ . ففى وسط زحمة العمل والانهماك فى المشاغل يجب أن تكون لنا فرصة للسكون والهدوء الواعى . وبينما نحن نسعى ونكد ونطلب يجب أن نترك فرصة لنأخذ .

الملكوت وشهوده

أَمَّا هُـــمُ الْمُجْتَمِعُونَ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ يَارَبُّ هَلْ فِي هٰذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ . فَقَالَ لَهُمْ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُـــوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ . لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وفى كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ .

(أعمال ١ : ٦ — ٨)

فى خـــدمة يسوع على الأرض كان يعانى من مشكلة كبرى ، فقد كان

اب رسالته ملكوت الله (مر ١ : ١٤) ولكن المشكلة كانت في الاختلاف على معنى الملكوت . فقد كان يسوع يعني معنى يختلف كل الاختلاف عما في ذهن السامعين . فقد كان في فكر اليهود دائماً أنهم شعب الله المختار، وفسروا ذلك بأنهم يجب أن يتمتعوا بامتيازات خاصة وأن يسودوا العالم . ولكن مجرى التاريخ أثبت أنه من وجهة النظر البشرية لم يمكن تحقيق ذلك . ففلسطين دولة صغيرة ، لا تزيد عن ١٢٠ ميلاً طولاً ، ٤٠ ميلاً عرضاً . وقد تمتعت بالاستقلال بعض الوقت ، لكنها في معظم تاريخها كانت مستعمرة للبابليين والفرس واليونان والرومان . لذلك كان اليهود ينتظرون اليوم الذي يتدخل فيه الله في التاريخ الإنساني ويعمل بقوته الإلهية ما لم يستطيعوا هم أنفسهم أن يحققوه ، أي أن يتحقق حلمهم في سيادة العالم . لذلك فهموا الملكوت بهذا المعنى السياسي .

ولكن ماذا كان يقصد المسيح بالملكوت ؟ دعونا ندرس الصلاة الربانية حيث نجد طلبتين متجاورتين « ليأت ملكوت . لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض . » ومن خصائص الأسلوب العبري — كما هو واضح في المزامير — أن تقال الجملة بتعبيرين متماثلين حيث تكون الجملة الثانية تكرارا للأولى أو تكبيراً لها . وهذا ما نراه في هاتين الطلبتين . فالطلبة الثانية تعريف للأولى . أي أن الملكوت هو مجتمع على الأرض تنفذ فيه إرادة الله تماماً كما في السماء . وبناء على هذا المفهوم ، فالملكوت يبنى على الحب لا القوة .

وللوصول إلى هذا احتاج الناس إلى الروح القدس . وقد تكلم لوقا

مرتين عن انتظار حلول الروح . ويجب ألا نظن أن الروح القدس وجد لأول مرة فى هذه المناسبة . فمن المحتمل أن توجد قوة ، ولـكن الإنسان لا يختبرها أو يستفيد منها إلى وقت . فالروح موجود دائماً ولـكن الناس اختبروه فى ذلك العصر فقط . فالله الأب والإبن والروح القدس منذ الأزل ولـكن جاء وقت معين اختبر فيه الناس الروح القدس بـكل قوة مع أن هذهالقوة كانت موجودة منذ البدء .

وكان الغرض من القوة التى يعطيها الروح القدس أن يجعل من التلاميذ شهوداً للمسيح . هذه الشهادة تعمل فىمجال مكون من سلسلة منالدوائر المتحدة المركز أولاً فىأورشليم ، ثم فى اليهودية ، ثم السامرة (المنطقةالتى تعتبرمشهودة حتى تـكون معبراً للعالم) حتى تصل الرسالة إلى أقصى الأرض .

ودعونا نلاحظ بعض الأشياء على الشهادة المسيحية :

اولا : الشاهد هو الشخص الذى يقول أنا أعلم أن هـذا حق ففى المحـكمة لا يستطيع الشاهد أن ينقل معلومات عن شخص آخر بل يجب أن يقول ما يعرفه هو شخصياً .

لقد مر يوحنا بنيان بفترة كان يعانى فيها من عدم التأكد من رسالة المسيح ، ولقد كان يعانى من فـكرة كل دين ينادى بأنه الأفضل ، فماذا يكون الحال لو أن المسيحية أيضاً كانت دين الظن ؟

إن الشاهد لا يقول أنا أظن ولـكنه يقول أنا أعلم .

ثانيا : إن الشاهد الحقيق لا يشهد بالأقوال بل بالأفعال . لما وجد هـ . م ستانلى المرسل لفنجستون فى أفريقيا وقضى معه بعض الوقت ، قال « لو قضيت معه مدة أطول لوجدت نفسى مضطراً أن أصبح مسيحياً رغم أنه لم يكلمنى أبداً فى هذا الموضوع » إن شهادة هذا الرجل بحياته كانت لا تقاوم .

ثالثا : من الحقائق التى تدعو للتفكير أن كلمة شهادة فى اليونانية (كما فى اللغة العربية) من نفس كلمة الاستشهاد . فالشاهد يجب أن يكون مستعداً للشهادة والاستشهاد . فلكى نشهد يجب أن نخلص للرسالة مهما كان الثمن .

أمجاد الرحيل وأمجاد المجىء

وَلَمَّا قَالَ هٰذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ وَفِيمَا كَانُوا يَشْخَصُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِذَا رَجُلَانِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ . وَقَالَا أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ . إِنَّ يَسُوعَ هٰذَا الَّذِى ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِى هٰكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ .

(أعمال ١ : ٩ — ١١)

هذا الفصل القصير يوقفنا أمام مفهومين من أصعب المفاهيم فى العهد الجديد

أولا : قصة صعود المسيح . وينفرد البشير لوقا وحده بسرد هذه الرواية وقد أوردها فى إنجيله (لو ٢٤ : ٥٠ — ٥٣) ولم يعد موضوع الصعود موضع شك هذه الأيام . والصعود كان أمراً لازماً لسببين .

(ا) كان لابد من وجود لحظة حاسمة يعود فيها المسيح إلى مجده . لقد مرت الأيام الأربعون التى كان يظهر فيها وواضح أنها كانت فترة معينة لم يكن ممكناً أن تستمر للأبد . لذلك كان لا بد أن تنتهى فترة الظهورات أيضاً فى لحظة محددة . فمن الخطأ أن تنتهى فترة الظهورات تدريجياً . فالمسيح الذى نزل إلى الأرض فى لحظة معينة كان يجب أن يترك العالم أيضاً فى لحظة محددة .

(ب) إذا سرحنا بخيالنا إلى الوقت الذى حدثت فيه تلك الأمور لاستطعنا أن ندرك أهمية الصعود . فكلنا نعرف الآن أن السماء ليست مجرد مكان فوق الأرض بقدر ما هى حالة من السعادة والبركة نكون فيها كل حين مع الله دون أن يفصلنا عنه شيء . لكن حادث الصعود حدث منذ ألفى سنه عندما كان المفهوم العام حتى عند أحكم الحكماء أن السماء مكان معين فوق طبقات الجو لذلك أراد المسيح أن يترك لتلاميذه برهاناً لا يقبل الشك فكان لابد من الصعود ليعرف التلاميذ أنه قد عاد إلى الأمجاد السماوية . لكن يجب ألا ننسى أن البشير لوقا عندما ذكر هذا الحادث فى إنجيله أضاف وصفاً معيناً « ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم » (لو ٢٤ : ٥٢) فالبرغم من الصعود أو ربما بسببه فإن التلاميذ كانوا متأكدين أن المسيح لم يتركهم بل هو معهم للأبد .

ثانيا : هذا الفصل يوقفنا أمام موضوع المجيء الثانى . وبخصوص هذا الموضوع يجب أن نضع فى اعتبارنا أمرين :

(ا) أن البحث فى زمان وكيفية المجيء بحث غير مجد لأن المسيح نفسه قال « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن إلا الآب » (مر ١٣ : ٣٢) فالبحث فى هذه الأمور لا يخلو من شيء من التجديف إذ نحاول أن نعرف مالا يعرفه الابن نفسه .

(ب) أن جوهر تعليم المسيحية هو أن الله عنده مخطط للإنسان وللعالم كله . ولابد أن نؤمن أن التاريخ ليس مجرد حوادث جزافية حدثت بمجرد الصدفة ولا يقود إلى شيء . ولكننا نثق أن العالم يسير إلى هدف معين وأن هناك حدث إلهى معين يسير العالم كله بمافيه من مخلوقات نحو هذا الحدث . ونؤمن أنه متى جاءت النهاية فإن يسوع المسيح سيكون قاضياً دياناً وسيداً للعالم أجمع . فليس المجيء الثانى مجرد موضوع لمجرد البحث وحب الاستطلاع ولكنه اليوم العظيم الذى نشتاق إليه والذى نجهز أنفسنا له .

نهاية الخائن

حِينَئِذٍ رَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ الَّذِي هُوَ بِالْقُرْبِ مِنْ أُورُشَلِيمَ عَلَى سَفَرِ سَبْتٍ . وَلَمَّا دَخَلُوا صَعِدُوا إِلَى الْعِلِّيَّةِ الَّتِي كَانُوا يُقِيمُونَ فِيهَا بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ وَفِيلِبُّسُ وَتُومَا وَبَرْثُولَمَاوُسُ

وَمَتَّى وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَسِمْعَانُ الْغَيُورُ وَيَهُوذَا أَخُو يَعْقُوبَ . هٰؤُلَاءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُوَاظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلٰوةِ وَالطِّلْبَةِ مَعَ النِّسَاءِ وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ وَمَعَ إِخْوَتِهِ .

وَفِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ قَامَ بُطْرُسُ فِي وَسْطِ التَّلَامِيذِ . وَكَانَ عِدَّةُ أَسْمَاءٍ مَعًا نَحْوَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ . فَقَالَ . أَيُّهَا الرِّجَالُ ٱلْإِخْوَةُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هٰذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ عَنْ يَهُوذَا ٱلَّذِي صَارَ دَلِيلاً لِلَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ . إِذْ كَانَ مَعْدُودًا بَيْنَنَا وَصَارَ لَهُ نَصِيبٌ فِي هٰذِهِ الْخِدْمَةِ . فَإِنَّ هٰذَا اُقْتَنَى حَقْلاً مِنْ أُجْرَةِ ٱلظُّلْمِ وَإِذْ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ٱنْشَقَّ مِنَ الْوَسْطِ فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا . وَصَارَ ذٰلِكَ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ حَتَّى دُعِيَ ذٰلِكَ الْحَقْلُ فِي لُغَتِهِمْ حَقَلْ دَمَا أَيْ حَقْلَ دَمٍ . لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ ٱلْمَزَامِيرِ لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلَا يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ .

(أع ١ : ١٢ — ٢٠)

وقبل أن نتقدم إلى مصير يهوذا الخائن يجدر بنا أن نلاحظ بعض الملاحظات في هذا الفصل . فالبنسبة لليهودي كان يوم السبت يوم الراحة الكاملة يمنع فيه

القيام بأى عمل . ولم يكن يسمح فيه بالسير أكثر من ٢٠٠٠ ذراع . وكانت هذه المسافة تسمى سفر سبت . ولما كان الذراع يساوى ١٨ بوصة لذلك فإن سفر السبت يزيد قليلاً عن نصف ميل .

ومن العجيب أن نرى هنا أخوة يسوع مع التلاميذ فى حين أنهم كانوا فى صفوف أعداء يسوع فى حياته (مر ٣ : ٢١) . وربما كان موت يسوع (كما كان للكثيرين غيرهم) هو سبب فتح أعينهم ونخس قلوبهم .

فما لم تفعله حياة يسوع فيهم فعله موته فى تغييرهم .

كما أننا نجد أن عدد التلاميذ حوالى ١٢٠ . وهذا العدد من أهم ما يؤثر فى حياتنا فى العهد الجديد . فقد كان عدد المؤمنين بيسوع مائة وعشرون فقط وغالباً لم يخرج أحد منهم خارج حدود فلسطين فى حياته . فإذا عرفنا أن سكان فلسطين وحدها كان حوالى ٤ مليون يهودى فإن نسبة المسيحيين إلى جملة السكان تكون أقل من ١ : ٣٠٠٠ . وهؤلاء المائة والعشرون البسطاء أمروا أن يذهبوا للعالم أجمع ليكرزوا بالإنجيل . إن كانت هناك أشياء بدأت بداية صغيرة فالكنيسة المسيحية بدأت أصغر بداية . قد نكون قلة قليلة من المسيحيين فى أعمالنا فى المتجر ، فى المصنع ، فى المكتب ، فى الدائرة التى نعيش فيها لكن كما قام هؤلاء الأبطال برسالتهم بشجاعة هكذا ينبغى أن نفعل نحن . وربما نكون نحن أيضاً البداية الصغيرة التى ينتشر منها ملكوت الله .

ولكن أهم موضوع فى هذا الفصل هو مصير يهوذا الخائن . ومعنى هذا الفصل باللغة اليونانية غير واضح تماماً ولكننا نجد فى رواية متى (مت ٢٧ : ٣ — ٥) أن يهوذا قد أقدم على الانتحار ما فى ذلك شك .

وأننا لنعجب دائماً لماذا خان يهوذا يسوع . وهنـــاك بعض الأسباب المحتملة :

١ — يرى البعض أن كلمة أسخريوطى نسبة إلى قرية أسخريوط (Merioth) فإن كان الأمر كذلك يكون يهوذا هو التلميذ الوحيد غير الجليلى . وربما وجد نفسه منذ البداية شاذاً ومنعزلاً حتى فعل فعلته الشنعاء .

٢ -- ربما فـكر يهوذا أن يجعل من نفسه شاهد ملك حتى ينجو بجلده ثم أحس بالجريمة التى ارتـكبها .

٣ — ربما فعل ذلك لمجرد طمعه وحبه للمال . فإن كان الأمر كذلك فإن هذه الصفقة الرهيبة تـكون أرخص صفقة فى العالم . إذ باع سيده بثلاثين من الفضة أى أقل من أربعة جنيهات .

٤ — ربما كان يهوذا يكره المسيح. فقد كان يستطيع أن يخفى قلبه الأسود عن الآخرين لـكنه لم يستطع أن يخفيـــه عن أعين يسوع التى تخترق الظلام كالأشعة السينية وتصل إلى أعماق نفسه . لذلك ربما فـكر أن يسلم هذا الذى يعرف كل شىء عن حقيقته .

٥ — ربما كان معنى أسخريوط من كلمـــة يونانية تعنى حامل الخنجر . وكان حاملو الخناجر جمـــاعة من الوطنيين الغيورين الذين اشتهروا بالعنف وقد كانوا يرتـكبون أى شىء حتى القتل فى سبيل تحرير فلسطين . وربما رأى يهوذا فى يسوع الشخص العجيب الذى يتمتع بإمكانيات هائلة لقيادة حركة

تحرير فلسطين فلما رأى أن يسوع يرفض طرق العنف تحول ضده وفى مرارة يأسه خانه .

٦ — ولكن أكثر الأسباب احتمالاً أن يهوذا لم يكن يقصد قتل يسوع بل كان يريد أن يضع يسوع فى موقف يضطر فيه إلى استخدام قوته ضد الدولة الرومانية ليخلص نفسه . فإن كان هذا هو تفكير يهوذا فقد خاب فأله وفشلت خطته فشلاً ذريعاً لذلك ذهب فى فشله وخنق نفسه .

وعلى كل حال فإنه إذا ذكر اسم يهوذا فى التاريخ يذكر كأسوأ مثل للخيانة بين الناس . حقاً لا سلام للشخص الذى يخون المسيح والذى يكون غير أمين لسيده .

مؤهلات الرسول

فَيَنْبَغِي أَنَّ الرِّجَالَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ مُنْذُ مَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ عَنَّا يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِدًا مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ . فَأَقَامُوا ٱثْنَيْنِ يُوسُفَ ٱلَّذِي يُدْعَى بَارْسَابَا ٱلْمُلَقَّبَ يُوسْتُسَ وَمَتِّيَاسَ وَصَلَّوْا قَائِلِينَ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ ٱلْعَارِفُ قُلُوبَ الْجَمِيعِ عَيِّنْ أَنْتَ مِنْ هٰذَيْنِ الاثْنَيْنِ أَيًّا اخْتَرْتَهُ . لِيَأْخُذَ قُرْعَةَ هٰذِهِ الْخِدْمَةِ

وَالرِّسَالَةِ الَّتِي تَعَدَّاهَا يَهُوذَا لِيَذْهَبَ إِلَى مَكَانِهِ . ثُمَّ أَلْقَوْا قُرْعَتَهُمْ فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى مَتِّيَاسَ فَحُسِبَ مَعَ الْأَحَدَ عَشَرَ رَسُولاً .

(أع ١ : ٢١ — ٢٦)

اولا : يحسن أن نلقى نظرة سريعة على طريقة اختيار شخص ليحل محل يهوذا بين التلاميذ . والأمر يبدو غريباً علينا أن يلجأ التلاميذ لإلقاء القرعة . ولكن هذه الطريقة كانت مألوفة عند اليهود إذ كانوا يشغلون كل وظائف الهيكل بهذه الطريقة . فقد كانوا يكتبون أسماء المرشحين على قطع صغيرة من الحجارة ، ثم يضعونها فى إناء يهزونه حتى يسقط أحد هذه الأحجار فيكون الإسم المكتوب عليه هو الشخص الذى يختار للوظيفة . ولكن مايهمنا فى هذا الفصل أنه يبين لنا حقيقتين هامتين :

اولا : أنه يبين لنا وظيفة الرسول . فقد كانت وظيفة الرسول أن يكون شاهداً للقيامة . فالعلامة المميزة للمسيحى ليس أنه يعرف عن المسيح بل أنه يعرف المسيح . من الأخطاء المنتشرة فى المسيحية أن نعتبر المسيح شخصاً تاريخياً عاش ومات ثم نقرأ قصته لنعرف تاريخ حياته . إن المسيح ليس مجرد شخصية فى كتاب لكنه وجود حى والمسيحى هو الشخص الذى خصص حياته كلها ليشهد عن الرب المقام الذى يعرفه والذى تقابل معه .

ثانيا : أنه يبين لنا مؤهلات الرسول . لقد كان من أهم مؤهلات الرسول أن يكون قد لازم المسيح . إن المسيحى الحقيقى هو الشخص الذى يحيا مع المسيح كل يوم . قيل عن الواعظ العظيم جون براون إنه كان يتوقف لحظة

أثناء الوعظ وكأنه كان يستمع لصوت يكلمه . وقيل عن إسكافى عجوز إنه كان يترك باب دكانه مفتوحاً فلما سئل عن السبب قال « حتى يدخل يسوع عندما يمر بى » . إننا كثيراً ما نتصور ماذا كان يحدث لو كان المسيح حاضراً معنا وكيف كنا نتصرف لو كان المسيح حاضراً فى بيوتنا وفى محال أعمالنا . ثارت إبنة ثورة شديدة وبعد أن هدأت جلست معها أمها تتخفف عنها فقالت الإبنة : « ليت يسوع يأتى ويمكث فى بيتنا دائماً » لكن الحقيقة أن المسيح موجود والمسيحى الحقيقى والرسول الحقيقى هو الشخص الذى يقضى كل عمره مع المسيح .

ألاصحاح الثاني

نسمة الله

وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاء صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ. وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا.

وَكَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتْقِيَاء مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاء سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا صَارَ هٰذَا الصَّوْتُ اجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ وَتَحَيَّرُوا لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ فَبُهِتَ الْجَمِيعُ وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتُرَى لَيْسَ جَمِيعُ هٰؤُلاَء الْمُتَكَلِّمِينَ جَلِيلِيِّينَ. فَكَيْفَ نَسْمَعُ نَحْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لُغَتَهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا. فَرْتِيُّونَ وَمَادِيُّونَ وَعِيلاَمِيُّونَ

والسّاكِنُونَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَالْيَهُودِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَبُنْتُسَ وَأَسِيَّا . وَفَرِيجِيَّةَ وَبَمْفِيلِيَةَ وَمِصْرَ وَنَوَاحِيَ لِيبِيَّةَ الَّتِي نَحْوَ الْقَيْرَوَانِ وَالرُّومَانِيُّونَ الْمُسْتَوْطِنُونَ يَهُودٌ وَدُخَلاَءُ . كَرِيتِيُّونَ وَعَرَبٌ نَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا بِعَظَائِمِ اللهِ . فَتَحَيَّرَ الْجَمِيعُ وَارْتَابُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هٰذَا . وَكَانَ آخَرُونَ يَسْتَهْزِئُونَ قَائِلِينَ إِنَّهُمْ قَدِ امْتَلأُوا سُلاَفَةً .

(أع ٢ : ١ — ١٣)

كان اليهود يحتفلون بثلاثة أعياد رئيسية وكان على كل يهودى يسكن حول أورشليم على مسافة لاتزيد عن ٢٠ ميلاً أن يذهب ليعيد أعياد الفصح — والباكورة — والمظال . والحصاد هو يوم الخمسين أو عيد الأسابيع وسمى عيد الخمسين لأنه يقع بعد خمسين يوماً من الفصح أو بعد سبعة أسابيع . وكان عيد الفصح فى منتصف أبريل فيكون عيد الخمسين فى أوائل يونيو . ويظهر أن المواصلات فى ذلك العصر كانت فى أحسن حالاتها وكان كثيرون يحضرون عيد الخمسين ربما أكثر من عيد الفصح نفسه . ويظهر هذا من سجل البلاد المذكور فى هذا الفصل . فلم يكن يجتمع فى أورشليم مثل هذا العدد الكبير إلا فى عيد الباكورة .

ولهذا العيد معنيان أساسيان :

١ — كان له أساس تاريخى فقد كان يوافق يوم إعطاء الله الشريعة لموسى على جبل سيناء .

٢ — وكان له أساس زراعى . فقد كان اليهودى يقدم لله فى عيد الفصح أول حزمة يحصدها من الشعير أما فى عيد الباكورة فقد كان يقدم رغيفين من الشعير للشكر على المحصول الذى جمع وقد ذكر فى الشريعة أنه يوم راحة لا يعمل فيه أى عمل (لا ٢٣ : ٢١ ، عد ٢٨ : ٢٦) لذلك كان الجميع يخرجون إلى الشوارع فى هذا العيد .

ماذا حدث يوم عيد العنصرة . لا نعلم ، ولكن من المؤكد أن التلاميذ اختبروا فيضان الروح القدس بصورة لم يعهدوها من قبل . ويجب ألا ننسى أن لوقا الذى كتب وصف ما حدث لم يكن أحد الحاضرين فى ذلك اليوم وهو يصف ما حدث على اعتبار أن الرسل أعطوا أن يتكلموا بلغات أجنبية ولكن هذا بعيد الاحتمال(*) لسببين :

١ — انتشرت فى الكنيسة الأولى ظاهرة لم نزل نشاهدها هى ظاهرة التكلم بألسنة (أ ع ١٠ : ٤٦ ، ١٩ : ٦) وقد خصص أصحاح كامل لوصف التكلم بألسنة فى ١ كو ١٤ ولكن ما كان يحدث أن الشخص فى حالة هيام روحى كان يصدر فيضاً من كلمات غير مفهومة بلغة غير معروفة وكان المفهوم أن هذا الكلام بوحى من الروح القدس . ولو أن هذا يبدو غريباً لنا لكن الناس كانوا يشتهون هذه العطية ويتوقون إليها وبولس لم يوافق عليها كثيراً ولكنه

(*) هذا رأى المؤلف ولكننا نعتقد أن الله أعطى هذه المعجزة لتكون شهادة للأمم كما يقول بولس (١ كو ١٤ : ٢٢) « إذا الألسنة آية لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين » ، (عب ٢ : ٤) « شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته »

فضل عليها الرسالة المفهومة حتى إذا ما دخل غريب لا يظن أنه بين جماعة تهذى. (١ كو ١٤ : ٢٣) وهذا يتفق تماما مع ما نقرأه فى أ ع ٢ : ١٣ .

فالذين يتكلمون بألسنة يظهرون وكأنهم سكارى فى نظر الذين لم يعرفوا هذه الظاهرة .

وعلى هذا الأساس فإننا نرجح احتمال أن يكون هذا الفصل وصفاً للعطية الغريبة المشتهاة وهى التكلم بألسنة .

٢ — لم يكن هناك داع للتكلم بلغات أجنبية فالفصل الذى نحن بصدده يقول بأن الجمهور كان مكوناً من خمسة من اليهود وعشرة دخلاء وهؤلاء الدخلاء عبارة عن الأمم الذين تعبوا من تعدد الآلهة والذين زهدوا فى الحياة اللا أخلاقية فجاءوا إلى المجمع ليتعلموا عن الإله الواحد وطريق النقاوة ثم آمنوا بالديانة اليهودية وبأسلوب الحياة اليهودى لذلك فى جمع كهذا لم يكن هناك داع لأكثر من لغتين . فمعظم اليهود كانوا يتكلمون الآرامية وحتى أولئك الذين فى الشتات فى بلاد أخرى كانوا يتكلمون اللغة اليونانية وهى اللغة الدولية فى ذلك العصر . فكل شخص فى العالم كان يعرف اليونانية إلى جانب لغته الأصلية . وعلى ذلك فإن اليونانية والآرامية (ولابد أنهما كانتا من اللغات التى نطقوا بها) كانتا كافيتين فى ذلك المقام . لذلك نشك أن لوقا الأممى خلط بين التكلم بألسنة والتكلم بلغات أخرى .

ولكن ما يهمنا أن جميع الحاضرين سمعوا كلمة الله لأول مرة فى حياتهم بطريقة وصلت إلى عمق قلوبهم ففهموها . وقد تجلت قوة الروح القدس فى إعطاء أولئك الرسل البسطاء رسالة وأسلوباً أوصلها إلى كل قلب .

أول عظة مسيحية

يعتبر الفصل (أ ع ٢ : ١٤ — ٤٢) من أمتع فصول العهد الجديد . لأنه عبارة عن سرد لأول عظة مسيحية ألقيت . وقد كان فى الكنيسة الأولى أربعة أنواع من المواعظ .

١ — كان هناك ما يسمى كريجما (Kerugma) ومعناها حرفياً (إعلان البشير) أى الحقائق المسيحية ، وقد رأى الوعاظ الأوائل أنها حقائق أساسية لا تناقش ولا يمكن إنكارها .

٢ — وكان هناك ما يسمى ديداخ (didache) ومعناه الحرفى التعليم أى دراسة المعانى المتضمنة فى الحقائق التى نادوا بها . وفى لغة العصر الحاضر نفرض أن شخصاً قدم للحاضرين بعض الحقائق التى لا تحتمل المناقشة فسأله أحد الحاضرين ولكن ما فائدة هذا ؟ . إن الديداخ عبارة عن الإجابة على هذا السؤال .

٣ — وكان هناك الباراقليسز (Paraklesis) وهى تعنى حرفيا الحث وكان هدف هذا النوع من الوعظ حث الناس على تطبيق ما تعلموه من الكريجما والديداخ على حياتهم .

٤ — وكان هناك الهوميليا (homilia) ومعناها معالجة أى موضوع أو جزء من الحياة فى ضوء الرسالة المسيحية .

وعلى العموم كان الوعظ يشمل جزءاً من كل نوع من هذه الأنواع

الأربعة . فقد بسطوا الحقائق المسيحية الواضحة فى كلمة الله ثم شرحوا هذه الحقائق ثم حثوا الناس على تطبيقها على حياتهم ومعالجة كل النشاط الإنسانى فى ضوء الرسالة المسيحية .

وسفر الأعمال معظمه من (الكريجما) لأنه ينادى بحقائق الإنجيل لأولئك الذين لم يسمعوها من قبل . وهذه الكريجما تتبع نمطاً يتكرر مرات عديدة فى كل العهد الجديد كما يلى :

١ — فنجد البراهين على أن كل ماحدث ليسوع هو تتميم لما جاء فى نبوات العهد القديم . ولكن فى عصرنا الحاضر يقل اهتمامنا تدريجياً بتحقيق النبوات. فنحن نعتبر أن النبى ليس مجرد راءٍ يرى المستقبل ويتكلم عنه بقدر ما هو مناد بالحقائق الإلهية للناس . ولكن التأكيد على تحقق النبوات ينبر على حقيقة هامة وهى أن التاريخ ليس مجرد حوادث تحدث جزافاً لكن هناك معنى وقانونا أخلاقياً يعمل فى العالم .

وتصديقنا بإمكانية التنبؤ يؤكد إيماننا بسلطان الله وأنه يعمل على تنفيذ أغراضه .

٢ — وفى يسوع جاء المسيا المنتظر وتحققت النبوات عن المسيا وأشرق عهد جديد .

ولقد أحست الكنيسة الأولى إحساسا قوياً أن يسوع هو بيت القصيد فى التاريخ وبمجيئه اقتحمت الأبدية الزمن ودخل الله حلبة الصراع الإنسانى وبناء عليه لابد أن تتغير الحياة والعالم كله . إذ أن مجىء المسيح معناه بزوغ حدث هائل لا يتكرر .

٣ — اتجه الوعظ فى العصور الأولى إلى سرد الحقائق عن ميلاد المسيح من سلسلة نسب داود، وعن تعاليمه ومعجزاته التى أجراها، وعن صلبه وقيامته، وأنه صعد ليكون على يمين الله لقد كانت الكنيسة الأولى واثقة تمام الثقة أن الديانة المسيحية لها أساس تاريخى مؤسس على حياة المسيح على الأرض وأنه لابد من رواية تلك القصة. ولكنها كانت تثق أيضاً أن حياته على الأرض لم تنته بالموت بل أنه قادم. ومع أن الحقائق التاريخية كانت هى الأساس لكنها لم تكن هى كل شىء فيسوع بالنسبة لهم لم يكن مجرد شخصية تاريخية قرأوا عنها أو سمعوها بل شخصية تقابلوا معها وعرفوها واختبروها لم يكن مجرد إنسان عاش ومات وجاء ذكره فى كتاب لكنه حضور حقيقى حى للأبد.

٤ — وقد أصر الوعاظ القدامى على إثبات حقيقة أن يسوع سيجىء ثانية بمجد ليؤسس ملكوته على الأرض. بمعنى أن الكنيسة الأولى آمنت بكل جوارحها بالمجىء الثانى. لقد كادت هذه الحقيقة تختفى من وعظنا الحديث. ولكن هذه الفكرة (المجىء الثانى) تحمل فى طياتها أنه فى يوم ما، فى وقت ما، ستأتى النهاية.

٥ — وتنتهى العظة بالقول بأنه بيسوع وحده الخلاص وأن من يؤمن به يقبل الروح القدس ومن لا يؤمن ستكون نهايته أليمة. أى أن العظة كانت تنتهى بوعد وتهديد. وهذا يشبه ما سمعه بنيان من خلفه « هل تترك خطاياك وتذهب للسماء أم تحتفظ بها وتذهب للجحيم ؟ » .

وإذ نقرأ عظة بطرس الآن نجد فيها هذه العناصر الخمسة متداخلة معاً.

جاء يوم الرب

فَوَقَفَ بُطْرُسُ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ لَهُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الْيَهُودُ وَالسَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ أَجْمَعُونَ لِيَكُنْ هٰذَا مَعْلُوماً عِنْدَكُمْ وَأَصْغُوا إِلَى كَلاَمِي. لأَنَّ هٰؤُلاَءِ لَيْسُوا سَكَارَى كَمَا أَنْتُمْ تَظُنُّونَ. لأَنَّهَا السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ النَّهَارِ. بَلْ هٰذَا مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ يَقُولُ اللهُ وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَماً. وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضاً وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ. وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ دَماً وَنَاراً وَبُخَارَ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الشَّهِيرُ. وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ.

(أ ع ٢ : ١٤ — ٢١)

في العدد ١٥ يصر بطرس على أن هؤلاء الناس ليسوا سكارى لأنها الساعة الثالثة من النهار. واليوم اليهودي كان يبدأ من السادسة صباحاً وينتهي في

السادسة مساء وعلى ذلك تكون الساعة الثالثة موافقة للساعة التاسعة صباحاً بتوقيتنا .

وهذا الفصل كله يوقفنا وجهاً لوجه أمام مفهوم أساسي ساد في العهدين القديم والجديد ألا وهو مفهوم يوم الرب . هناك مواضع كثيرة في العهدين لا يمكن فهمها فهماً دقيقاً ما لم نعي الأفكار التي يتضمنها هذا المفهوم . لم ينس اليهود لحظة واحدة عقيدتهم أنهم شعب الله المختار وقد فسروا هذه العقيدة على أن الله اختارهم ليعطيهم شرفاً وامتيازاً خاصاً بين الشعوب . لقد كانوا دائماً أمة صغيرة . وكان التاريخ بالنسبة لهم سلسلة طويلة من المصائب ونقد أدركوا أنهم لا يمكن أن يصلوا إلى الوضع اللائق بهم كشعب مختار بأى وسيلة بشرية. لذلك توصلوا شيئاً فشيئاً إلى أن غير المستطاع عندالناس مستطاع لدى الله . لذلك توقعوا أن يتدخل الله يوماً ما مباشرة في التاريخ ويرفعهم إلى المستوى اللائق الذى يحلمون به . واليوم الذى يتدخل فيه الله هو يوم الرب . وقد قسموا الزمن إلى قسمين : الدهر الحاضر وهو دهر شرير وهالك لا محالة ، والدهر الآتى هو العصر الذهبي لله . وبين هذين الدهرين يقع يوم الرب وهو يوم عصيب لأنه يمثل آلام ولادة دهر جديد . وسيأتى هذا اليوم فجأة كلص في الليل وسيهتز العالم من أساساته ويختل نظام الكون وسيكون يوم قضاء مرعب

وفي كل الكتب النبوية في العهد القديم وفي معظم العهد الجديد نجد أوصافاً لهذا اليوم

ومن أشهر هذه الفصول إشعياء ٢:١٢ ، ١٣ : ٦ ، عاموس ٥:١٨ ، صفنيا ١ : ٧ ، يوئيل ٢ ، ١ تسالونيكى ٥ : ٢ ، ٢ بطرس ٣ : ١٠ .

وفى هذا الفصل يقول بطرس لليهود « لقد كنتم تحلمون بيوم الرب من سنين عديدة يوم يتدخل الله فى التاريخ ، والآن تحقق هذا فى يسوع » وخلف كل هذه الصورة تظهر الحقيقة العظيمة : أن يسوع — الله المتجسد — ظهر على مسرح التاريخ البشرى .

رب ومسيح

أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هٰذِهِ الأَقْوَالَ . يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ . هٰذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ . الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ . لِأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي لِكَيْ لَا أَتَزَعْزَعَ . لِذٰلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي حَتَّى جَسَدِي أَيْضاً سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ . لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا تَدَعُ قُدُّوسَكَ يَرَى

فَسَادًا . عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيٰوةِ وَسَتَمْلأُنِي سُرُوراً مَعَ وَجْهِكَ . أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ رَئِيسِ الآبَاء دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هٰذَا الْيَوْمِ . فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ إِنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ . سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ إِنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا . فَيَسُوعُ هٰذَا أَقَامَهُ اللهُ وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذٰلِكَ . وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ سَكَبَ هٰذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ . لِأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمٰوَاتِ . وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ . فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هٰذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا .

(أع ٢ : ٢٢ — ٣٦)

هنا نجد فصلاً مليئاً بفكر الوعاظ الأول :

١ — فهو يؤكد أن الصليب لم يكن حدثاً عارضاً بل كان فى خطة الله

الأزلية (عدد ٢٣) ونجد هذا المعنى نفسه المرة تلو الأخرى فى سفر الأعمال (٣ : ١٨ ، ٤ : ٢٨ ، ١٣ : ٢٩) وذلك ليحفظنا من خطأين خطيرين فى تفكيرنا عن موت يسوع . (ا) ليس الصليب مجرد حدث طارىء استخدمه الله عندما فشلت الطرق الأخرى لكنه جزء لا يتجزأ من الله نفسه . (ب) يجب أن لا يتطرق إلى أذهاننا أن أى شىء عمله يسوع غير اتجاه الله نحو الناس . ولا أن نقارن بين لطف يسوع ومحبته وبين غضب الله وانتقامه فإن الله هو الذى أرسل يسوع .

لكن يمكن أن نصور الأمر كما لو أن الصليب يشبه نافذة فى جدار الزمن نستطيع أن نرى خلالها محبة الله المتأججة فى قلبه للأبد .

٢ — ولكن سفر الأعمال يبين أنه ولو أن الأمر كذلك إلا أن هذا لا يقلل من جريمة أولئك الذين صلبوا يسوع . وفى كل إشارة للصليب فى هذا السفر نجد لمحة من الاشمئزاز والرعب للجريمة البشعة التى ارتكبها الناس (أع ٢ : ٢٣ ، ٣ : ١٣ ، ٤ : ١٠ ، ٥ : ٣٠) وبغض النظر عن أى شىء آخر فالصلب أعظم جريمة فى التاريخ . وهو يبين أن الخطية تعمل عملها وأنها تستطيع أن تقضى على أعظم حياة شاهدها العالم وتحطمها على الصليب .

٣ — كما أن سفر الأعمال يثبت أن آلام المسيح وموته هما تتميم للنبوات.

لقد كان الوعاظ الأوائل يهتمون بذلك لأنه بالنسبة لليهود كانت فكرة صلب المسيا شىء لا يصدق . فقد كان ناموسهم يقول « ملعون كل من علق على خشبة » (تث ٢١ : ٢٣) وبالنسبة لليهودى المتمسك بدينه كان الصليب هو الإثبات الواضح على أن يسوع لا يمكن أن يكون المسيا . فكانت مهمة

الوعاظ الأوائل أن يجيبوا عليهم « لو كنتم تهتمون فقط بقراءة الكتب بطريقة صحيحة فسترون أن كل ما حدث مكتوب فى الأسفار المقدسة » .

٤ — وسفر الأعمال ينبر على أن قيامة المسيح هى البرهان الذى ما بعده برهان على أن يسوع هو فى الحقيقة الفتى المختار * . لذلك يلقب سفر الأعمال بإنجيل القيامة . وبالنسبة للكنيسة الأولى كان للقيامة الأهمية الأولى . ويجب ألا ننسى أنه بدون قيامة لما قامت الكنيسة المسيحية على الإطلاق . وعندما كان التلاميذ يجعلون القيامة محور مواعظهم فقد كانوا يشهدون باختبارهم الشخصى . فبعد الصلب كانوا مشتتين مهزومين تبددت أحلامهم وأسدل الستار على حياتهم ولكن القيامة غيرت كل هذا فأصبح اليائسون أناساً ممتلئين حماساً وثقة وأصبح الجبناء أبطالاً إنها لمأساة أن تكتفى الكنيسة هذه الأيام بالوعظ عن القيامة فى عيد القيامة فقط ولكن كل يوم أحد هو يوم الرب نحفظه لأنه يوم القيامة . وفى الكنيسة الشرقية كان الناس يتبادلون تحيات العيد بالقول « الرب قام » ويكون الرد « حقا قام » إن المسيحى هو الشخص الذى لا ينسى أبداً أن يعيش ويمشى مع الرب المقام .

خلصوا أنفسكم

فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَقَالُوا لِبُطْرُسَ وَلِسَائِرِ الرُّسُلِ مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ . فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا

(*) إش ٤٢ : ١ ؛ مت ١٢ : ١٨

عَطِيَّةَ الرُّوحِ ٱلْقُدُسِ . لِأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلٰهُنَا . وَبِأَقْوَالٍ أُخَرَ كَثِيرَةٍ كَانَ يَشْهَدُ لَهُمْ وَيَعِظُهُمْ قَائِلاً اخْلُصُوا مِنْ هٰذَا الْجِيلِ الْمُلْتَوِي . فَقَبِلُوا كَلَامَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمَدُوا وَانْضَمَّ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ نَفْسٍ .

(أع ٢ : ٣٧ — ٤١)

١ — هذا الفصل يرينا بوضوح تام تأثير الصليب . فعندما أظهر للناس ما فعلوه عندما صلبوا يسوع كسرت قلوبهم . قال يسوع : « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع » (يو ١٢ : ٣٢) . إن كانت خطية الإنسان هي السبب في صلب يسوع فخطيتنا إذاً نشترك في هذه المسئولية .

فكل إنسان كان له يد في هذه الفعلة الشنعاء . قيل إن أحد المرسلين كان يحكي قصة يسوع في إحدى قرى الهند ، ثم عرض عليهم صوراً بالفانوس السحري ولما عرض صورة للمسيح على الصليب اندفع أحد الهنود وهو يصرخ « انزل يا ابن الله من على هذا الصليب فأنا ـ لا أنت ـ الذي يستحق الصلب » . إننا عندما ندرك ما فعله يسوع على الصليب نشعر بأن الصليب قد اخترق قلوبنا .

٢ — هذا العمل يتطلب رد فعل من الناس . لذلك يقول بطرس «توبوا» توبوا أولا وللنهاية . ما معنى التوبة ؟ إن الكلمة الأصلية تعني إعادة التفكير

أو التفكير مرة ثانية . وغالباً يثبت التفكير المرة الثانية أن الفكرة الأولى كانت خاطئة ، فالكلمة إذاً تعنى تغيير الفكر . فإن كان الإنسان أميناً فإن تغيير التفكير يستلزم تغيير الأفعال . فالتوبة تتضمن تغيير الفكر والفعل . فقد يغير إنسان فكره فيكتشف أن أعماله كانت خاطئة ولكنه يحب طرقه القديمة ولا يريد أن يغيرها . وقد يغير إنسان أفعاله إما بدافع الخوف أو بدافع حب الظهور لكن فكره يظل كما هو دون تغيير ويظل قلبه متعلقاً بطرقه القديمة حتى إذا ما أتيحت له الفرصة عاد إلى سيرته الأولى . لكن التوبة الحقيقية هى تغيير الفكر والعمل .

٣ — وعندما نتوب يحدث شىء هام لماضينا ألا وهو غفران الخطايا . فالله يغفر لنا ماضينا . لكن ليكن واضحاً أن آثار خطايانا السابقة لا يمحى . حتى الله نفسه لا يستطيع أن يمحو آثارها. فعندما نخطىء نسىء إلى أنفسنا وإلى الآخرين وهذه الإساءات لا تمحى .

دعنا نعطى هذا المثل لتوضيح هذه الفكرة . فعندما كنا أولاداً صغاراً وكنا نخطىء كنا نجد حاجزاً غير منظور بيننا وبين والدنيا . ولكن عندما كنا نتأسف لهم تفتح أمنا ذراعيها وتحتضننا فتعود علاقتنا معها مرة أخرى . إن الغفران لا يزيل نتائج ما صنعنا لكنه يعيد العلاقة الصحيحة بيننا وبين الله حيث يزول منا كل خوف أو شعور بالغربة عن الله ويعود سلامنا مع الله .

٤ — وعندما نتوب يحدث شىء هام لمستقبلنا أيضاً . فنقبل عطية الروح القدس . فإن تبنا فكيف نضمن عدم الوقوع فى الخطية مرة ومرات ؟ وهنا يجىء دور الروح القدس الذى يملأ حياتنا بقوة عجيبة ، وبهذه القوة نستطيع

أن ننتصر فى المعارك التى لم نكن نتوقع أن ننتصر فيها ونقاوم الأشياء التى كنا عاجزين عن مقاومتها قبلاً .

فى لحظة التوبة الحقيقية نتحرر من النفور والخوف من الماضى ثم نتسلح لخوض معارك المستقبل .

مميزات الكنيسة

وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَوَاتِ . وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ . وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلْ . وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا . وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ . وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُوَاظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ . مُسَبِّحِينَ اللهَ وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ . وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ .

(أع ٢ : ٤٢ — ٤٧)

هذا الفصل يلخص حالة الكنيسة فيلقى ضوءاً على مميزات الكنيسة الأولى :

١ — إنها كانت كنيسة مقبلة على التعليم . فالكلمة تعليم (عدد ٤٢) تفيد استمرار الرسل فى التعليم وإقبال الكنيسة على سماع هذا التعليم .

إن الكنيسة التى تعيش فى دين جامد ، تنظر للخلف لا للأمام ، فى خطر دائم . فبما أن غنى المسيح لا يستقصى ولا يفنى ، لذلك يجب أن نسير للأمام باستمرار . فالمسيحى فى رحلته يجب ألا يهتم بغروب الشمس بل بشروقها . لنحسبها خسارة عظيمة إذا مرّ علينا يوم لم نتعلم فيه شيئاً جديداً ولم ندخل فيه إلى أعماق جديدة من حكمة الله ونعمته .

٢ — كانت كنيسة الشركة . أو كما وصفها أحدهم بأنها كانت تتمتع بإحدى الصفات العظيمة وهى الوحدة والترابط . وصف القائد نيلسون إحدى معاركه التى انتصر فيها فقال « كان لى حظ قيادة فرقة من الأخوة المتحابين » . إن الكنيسة الحقيقية هى التى تتكون من فرقة من الإخوة .

٣ — كانت كنيسة مصلية . كان أولئك المسيحيون يعلمون تماماً أنهم لا يستطيعون أن يقابلوا الحياة بقوتهم ولم يكونوا فى حاجة إلى ذلك . فقد كانوا دائماً يكلمون الله قبل أن يتكلموا مع الناس. لقد كانوا يدخلون ليقابلوا الله قبل أن يخرجوا ليقابلوا الناس . لقد استطاعوا أن يواجهوا مشاكل الحياة لأنهم تقابلوا مع الله أولاً .

٤ — كانت كنيسة وقورة . إن الكلمة المترجمة خوف فى (عدد ٤٣) تعنى الاحترام والوقار . قيل عن أحد عظماء اليونان إنه كان يسير فى العالم كما

لو كان يسير فى معبد . والمسيحى يعيش فى وقار واحترام لأنه يعلم أن كل الأرض هى هيكل لله الحى .

٥ — كانت هناك أشياء تحدث فى الكنيسة : كانت هناك آيات وعجائب (٤٣) إن كنا نتوقع من الله إنتظارات عظيمة وإن كنا نحاول أن نعمل أعمالاً عظيمة لله فلابد أن تحدث . فإن ضاع الإيمان تضيع معه كل انتظاراتنا وأعمالنا. ولاشك أن أشياء عظيمة ستحدث لو آمنا أننا مع الله قادرون على عملها .

٦ — كانت كنيسة مشاركة (عدد ٤٤ ، ٤٥) كان هؤلاء المسيحيون الأوائل يشعرون بالمسئولية نحو بعضهم . قيل عن رجل اسمه وليام موريس أنه عندما كان يرى شخصاً مخموراً كان يتأثر لأنه كان يحس بمسئولية خاصة من نحوه . إن المسيحى الحقيقى لا يشعر بالسرور والراحة إن كان يملك الكثير بينما يرى الآخرين لا يملكون إلا القليل .

٧ — كانت كنيسة متعبدة (عدد ٤٦) لم ينس الناس بيت الله . يجب ألا ننسى أن الله لا يعرف شيئاً اسمه الدين الانفرادى . إن نصف ما يعترينا من سرور وبهجة عندما نشاهد حفلاً رياضياً أو موسيقياً هو اعجابنا بانسجام الفرد مع المجموعة . وروح الله يرف على الناس الذين يعبدون الله معاً .

٨ — كانت كنيسة سعيدة (عدد ٤٧) كانوا يشعرون بالإبتهاج وعلى ذلك فالمسيحى العابس يختلف عن تلك الصورة ، إن فرح المسيحى لا يظهر على شكل صياح وتهريج ولكنه فـــرح عميق فى القلب لا يستطيع أحد أن ينتزعه منه .

٩ - لقد كانت كنيسة مكونة من أناس لا يستطيع الإنسان إلا أن يحبهم. في اللغة اليونانية كلمتان بمعنى « حسن » (agathos) وهي تصف الشيء بأنه حسن أما Kolos فهي تعني أن الشيء ليس حسناً فقط لكن منظره الخارجي جذاب أيضاً . إن المسيحية الحقيقية جميلة . هنالك أناس طيبون ولكن عليهم مسحة من الجمود البغيض حتى أنك لا تأنس إليهم ، إنهم مثل الجبال الثلجية .

كان سترذرس (Struthers) يقول إن أكثر مايفيد الكنيسة أن يكون المسيحيون طيبين مرحين لقد كان على أعضاء الكنيسة الأولى مسحة السرور والابتهاج والمرح .

الأصحاح الثالث

عمل مجيد يعمل

وَصَعِدَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا مَعًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي سَاعَةِ الصَّلوٰةِ التَّاسِعَةِ . وَكَانَ رَجُلٌ أَعْرَجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يُحْمَلُ . كَانُوا يَضَعُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ بَابِ الْهَيْكَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْجَمِيلُ لِيَسْأَلَ صَدَقَةً مِنَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْهَيْكَلَ . فَهٰذَا لَمَّا رَأَى بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا مُزْمِعَيْنِ أَنْ يَدْخُلَا الْهَيْكَلَ سَأَلَ لِيَأْخُذَ صَدَقَةً . فَتَفَرَّسَ فِيهِ بُطْرُسُ مَعَ يُوحَنَّا وَقَالَ انْظُرْ إِلَيْنَا . فَلَاحَظَهُمَا مُنْتَظِرًا أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمَا شَيْئًا . فَقَالَ بُطْرُسُ لَيْسَ لِي فِضَّةٌ وَلَا ذَهَبٌ وَلٰكِنِ الَّذِي لِي فَإِيَّاهُ أُعْطِيكَ . بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ . وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَهُ فَفِي الْحَالِ تَشَدَّدَتْ رِجْلَاهُ وَكَعْبَاهُ . فَوَثَبَ وَوَقَفَ وَصَارَ يَمْشِي وَدَخَلَ مَعَهُمَا إِلَى الْهَيْكَلِ وَهُوَ يَمْشِي وَيَطْفُرُ وَيُسَبِّحُ اللهَ . وَأَبْصَرَهُ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَهُوَ يَمْشِي وَيُسَبِّحُ اللهَ . وَعَرَفُوهُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ لِأَجْلِ الصَّدَقَةِ عَلَى بَابِ الْهَيْكَلِ الْجَمِيلِ فَامْتَلَأُوا دَهْشَةً وَحَيْرَةً مِمَّا حَدَثَ لَهُ .

(أع ٣ : ١ — ١٠)

كان اليوم اليهودى يبدأ الساعة السادسة صباحاً وينتهى فى السادسة مساءاً . وعلى ذلك تكون الساعة الثالثة معادلة للساعة التاسعة صباحاً والسادسة معادلة للساعة الثانية عشر ظهراً والتاسعة معادلة للثالثة بعد الظهر . واليهودى المدقق كان يواظب على الصلاة فى التاسعة صباحاً وفى الظهر والثالثة بعد الظهر . ومع أنهم كانوا يعرفون أن الصلاة مفيدة فى أية ساعة من ساعات النهار إلا أنهم كانوا يقدرون الصلاة فى الهيكل تقديراً خاصاً ومما يثير الإعجاب أن نرى التلاميذ يواظبون على العادات والتقاليد التى درجوا عليها . لقد ذهب بطرس ويوحنا فى ساعة الصلاة إلى الهيكل لقد صار لهما إيمان جديد لكنهما لم يتخذا من عقيدتهما الجديدة تكئة وعذراً ، لتحطيم التقاليد . لقد كانا واثقين أن الإيمان الجديد والنظام القديم يمكن أن يسيرا جنباً إلى جنب .

وقد جرت عادة المتسولين فى الشرق أن يستعطوا على باب الهيكل أو المعبد . ولقد كان هذا الموقع وما يزال أحسن مكان للاستجداء حيث أن الذاهبين إلى أماكن العبادة يشعرون بحاجة الآخرين .

قال شحاذ مرة إنه حيثما حل فى مدينة يبحث عن الكنيسة ويجلس أمامها ليستعطى . وقد وجد بخبرته أن الناس فى هذا المكان يكونون أكثر كرماً . حقاً إن حب الإنسان وحب الله يجب أن يسيرا جنبا إلى جنب .

وهذه الحادثة توقفنا وجهاً لوجه أمام قضية المعجزات فى العصر الرسولى . فهناك أشياء محددة يجب ذكرها فى هذا المقام :

١ — لقد حدثت هذه المعجزات فعــــلاً . ففى أعمال ٤ : ١٦ نقرأ عن السنهدريم وكيف اضطر أن يوافق على المعجزة لأنهم لم يستطيعوا أن ينكروها .

لقد كان أعداء المسيحية أولى الناس لإنكار المعجزات لو لم تكن قد حدثت فعلاً لكنهم لم يحاولوا إنكارها .

٢ — لماذا انقطعت المعجزات إذاً ؟ ونورد هنا بعض الردود المقترحة .

(ا) لقد كانت المعجزات ضرورة فى وقت ما . عبر أحدهم عن ذلك فقال إن المعجزات كانت كالأجراس تدعو الناس للكنيسة المسيحية . لقد كانت المعجزات هى ضمان صحة المسيحية وقوة الرسالة . فى بدء غزوها للعالم .

(ب) فى ذلك العصر تلاقى طرفان خاصان : أولا ، شخصيات الرسل الذين كانت لهم علاقات شخصية قوية مع يسوع المسيح وثانياً شخصيات الناس وقد كانوا يعيشون فى جو من التوقع وكانوا مستعدين لتقبل أى شىء حتى ليمكن أن نقول إن الإيمان كان فى ذروته . وحدث من التقاء هذين الطرفين تأثيرات متآلفة .

٣ — لكن السؤال الحقيقى ليس « لماذا توقفت المعجزات ؟ » بل « هل توقفت المعجزات ؟» ، من الحقائق البسيطة أن أى طبيب أو جراح يستطيع أن يفعل أشياء كانت فى عصر الرسل تعتبر معجزات . فالحقيقة المعروفة فى العالم كله أن الله لا يعمل للناس شيئاً طالما كانوا يستطيعون عمله . لذلك فقد كشف الله حقائق جديدة ومعلومات جديدة للناس وبهذا الكشف يستطيع الناس عمل المعجزات قال طبيب عظيم « أنا أربط الجروح ولكن الله هو الذى يشفيها » وبالنسبة للمسيحى ما زالت المعجزات تجرى فى مختلف المجالات ، فقط عليه أن يراها .

جريمة الصلب

وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّجُلُ الأَعْرَجُ الَّذِي شُفِيَ مُتَمَسِّكاً بِبُطْرُسَ وَيُوحَنَّا تَرَاكَضَ إِلَيْهِمْ جَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى الرِّوَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ رِوَاقُ سُلَيْمَانَ وَهُمْ مُنْدَهِشُونَ فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ ذٰلِكَ أَجَابَ الشَّعْبَ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ مَا بَالُكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هٰذَا وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هٰذَا يَمْشِي . إِنَّ إِلٰهَ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ إِلٰهَ آبَائِنَا مَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ وَجْهِ بِيلاطُسَ وَهُوَ حَاكِمٌ بِإِطْلاقِهِ . وَلٰكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ . وَرَئِيسُ الْحَيٰوةِ قَتَلْتُمُوهُ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذٰلِكَ . وَبِالإِيمَانِ بِاسْمِهِ شَدَّدَ اسْمُهُ هٰذَا الَّذِي تَنْظُرُونَهُ وَتَعْرِفُونَهُ وَالإِيمَانُ الَّذِي بِوَاسِطَتِهِ أَعْطَاهُ هٰذِهِ الصِّحَّةَ أَمَامَ جَمِيعِكُمْ .

(أع ٣ : ١١ — ١٦)

فى هذا الفصل نلمح ثلاث ملاحظات بارزة فى الوعظ المسيحى فى العصور الأولى .

١ — كان الوعاظ الأوائل يؤكدون دائماً حقيقة هامة : إن الصليب كان أعظم جريمة فى تاريخ البشرية . وكلما جاء ذكر هذه الجريمة كانوا يذكرونها بصوت متهدج من الرعب . كان يسوع القدوس البار الذى ما أن تراه حتى تحبه وحتى الوالى الرومانى نفسه كان متأكداً أن الصلب وصمة فى جبين العدالة . لقد أنقذ الناس شخصاً قاتلاً وصلبوا ذاك الذى جال يصنع خيراً . لقد حاول الوعاظ الأول أن يستثيروا الفكر البشرى بتذكيرهم ببشاعة جريمة الصلب وكأنهم يقولون « أنظروا ماذا تستطيع أن تفعل الخطية »

٢ — لقد أكد الوعاظ الأول حقيقة القيامة . فمن الحقائق المعروفة أنه لولا القيامة لما قامت للكنيسة قائمة . وبدون قيامة كان يسوع يصبح مجرد ذكرى تخبو تدريجياً ، ولكن القيامة كانت برهاناً قوياً على ألوهية المسيح وأنه رب الحياة والموت وأنه حى إلى الأبد . لقد كانت القيامة البرهان الذى مابعده برهان أن الله كان فى المسيح ومعه ولذا فهو القوة التى لا توقف .

٣ — كما أكد الوعاظ الأول قوة الرب المقام لم يعتبروا أنفسهم قط أنهم مصدر قوة . بل مجرد مجرى لها لقد أدركوا حدود إمكانياتهم ولكنهم عرفوا أنه لا حدود لما يستطيع الرب المقام أن يصنعه فيهم وبهم . وهنا يكمن سر الحياة المسيحية . فالمسيحى يعرف تماماً أنه طالما فكر فيما يستطيع عمله وما يستطيع أن يصل إليه فلا نتيجة إلا الفشل والحيرة والخوف .

ولكنه إذا فكر فى « لا أنا بل المسيح فىّ » فلا يوجد فى حياته إلا السلام والقوة .

وَٱلآنَ أَيُّهَا ٱلإِخْوَةُ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ كَمَا رُؤَسَاؤُكُمْ أَيْضًا وَأَمَّا اللهُ فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمَسِيحُ قَدْ تَمَّمَهُ هٰكَذَا . فَتُوبُوا وَٱرْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ ٱلرَّبِّ . وَيُرْسِلَ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ . الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ ٱلسَّمَاءَ تَقْبَلُهُ إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ ٱلَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا اللهُ بِفَمِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ . فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلٰهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ . لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ . وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَا تَسْمَعُ لِذٰلِكَ ٱلنَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ . وَجَمِيعُ ٱلأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُوئِيلَ فَمَا بَعْدَهُ جَمِيعُ ٱلَّذِينَ تَكَلَّمُوا سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهٰذِهِ ٱلأَيَّامِ . أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ وَٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي عَاهَدَ بِهِ ٱللهُ آبَاءَنَا قَائِلاً لِإِبْرٰهِيمَ وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ ٱلأَرْضِ

إِلَيْكُمْ أَوَّلاً إِذْ أَقَامَ ٱللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ .

(أع ٣ : ١٧ — ٢٦)

إن كل نغمات الوعظ نجدها واضحة فى هذا الفصل :

١ — فهو يبدأ بنغمة الرحمة والتحذير مرتبطين معاً . لقد فعل اليهود فعلتهم الشنعاء بصلب يسوع بجهل . لكن هذا الجهل لن يستمر . ولا عذر لهم بعد فى رفض يسوع . ونغمة المسئولية المخيفة الناتجة عن المعرفة نجدها تتكرر فى كل العهد الجديد . « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية . » (يو ٩ : ٤١) « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم » (يو ١٥ : ٢٢) « فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له » (يعقوب ٤ : ١٧) إن رؤية كمال نور الله وإعلانه امتياز عظيم ولكنها فى الوقت مسئولية مخيفة .

٢ — والمعرفة تضعنا أمام مسئولية التوبة والرجوع . وهما كلمتان متلازمتان فالتوبة قد تعنى فقط تغيير الفكر . وتغيير الفكر أسهل من تغيير الحياة . ولكن هذا التغيير الفكرى يظهر فى الرجوع عن الطرق القديمة والاتجاه إلى الجديدة .

٣ - هذه التوبة لها نتائج خاصة فهى تؤثر فى الماضى فالخطايا تمحى وهى كلمة مليئة بالمعانى والحياة . فالكتابة القديمة كانت على أوراق البردى

والأحبار المستخدمة لم تكن تتفاعل مع الورق بل كانت الكتابة سطحية ، فإذا أراد الكاتب أن يمحو أى سطر ما عليه إلا أن يبلل إسفنجة ويمحوه ببساطة . وهكذا يمحو الله خطايا الإنسان عند غفرانها . كما أن المحو يؤثر على المستقبل إذ يمتعنا بأوقات منعشة فتزدان الحياة بالقوة فى وقت الضعف والراحة فى وقت التعب .

٤ — ثم ينتقل بطرس للكلام عن مجيء المسيح الثانى . ومع أن هذا التعليم له معانى كثيرة إلا أنه يعنى بصفة خاصة أن التاريخ يتجه اتجاها خاصاً . فهو لا يسير على غير هدى بل إلى هدف محدد .

٥ — يصر بطرس على أن كل ماحدث سبق التنبؤ به . لقد رفض اليهود أن يتقبلوا فكرة الشخص المختار من الله ليتألم ولكن بطرس يصر أنهم لو فتشوا الكتب لوجدوا كل هذه الأفكار مدونة فيها .

٦ — ثم أن بطرس يذكرهم بامتياز أمتهم . فقد كان اليهود شعب الله المختار .

٧ — وأخيراً يوضح لهم الحقيقة التى لا يمكن الهروب منها وهى أن هذا الامتياز الخاص يضعهم أمام واجب خاص أيضاً ذلك أن عليهم أن يتصرفوا لا كما يرغبون هم بل كما يريدهم الله أن يتصرفوا . فليس الامتياز لمجرد التشريف بل إنه امتياز تكليف وخدمة .

اَلْأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

القاء القبض

وَبَيْنَمَا هُمَا يُخَاطِبَانِ الشَّعْبَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا الْكَهَنَةُ وَقَائِدُ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالصَّدُّوقِيُّونَ . مُتَضَجِّرِينَ مِنْ تَعْلِيمِهِمَا الشَّعْبَ وَنِدَائِهِمَا فِي يَسُوعَ بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ . فَأَلْقَوْا عَلَيْهِمَا الْأَيَادِيَ وَوَضَعُوهُمَا فِي حَبْسٍ إِلَى الْغَدِ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ صَارَ الْمَسَاءُ . وَكَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا الْكَلِمَةَ آمَنُوا وَصَارَ عَدَدُ الرِّجَالِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ .

(أع ٤ : ١ — ٤)

لقد تم شفاء الأعرج فى رحاب الهيكل فى جزء دائم الازدحام بالناس .

لقد تركزت الأضواء بطريقة لا يمكن تفاديها على هذه الحادثة . لقد كان باب الجميل يوصل بين رواق الأمم ورواق النساء . ولقد كان رواق الأمم من أشد الأروقة إزدحاما إذ كان يسمح للأمم من كل الجنسيات فى التردد عليه ما داموا يدخلونه باحترام . وقد كان يجلس فى هذا الرواق الصيارفة وبائعوا الذبائح . وحول الهيكل كان هناك صفان متعامدان من البواكى يتلاقيان عند رواق الأمم أحدهما يدعى الرواق الملكى والآخر رواق سليمان . وقد كانا مزدحمين بالناس الذين جاءوا للعبادة وللتعلم وللتفرج والمشاهدة . وكان من

الطبيعى أن تسترعى هذه الحادثة وسلسلة الحوادث الأخرى انتباه الجماهير .
ومن خلال هذا الزحام ظهر الكهنة والصدوقيون والمشرف على الهيكل وهو المساعد بل الذراع الأيمن لرئيس الكهنة . وكان من مهامه الإشراف على نظام الهيكل وترتيبه . ولما ازدحم الناس كان من الطبيعى أن يحضر المشرف وأتباعه من حرس الهيكل . كما جاء الصدوقيون وهم الطبقة الاستقراطية الثرية . ولم يكن عددهم كبيراً ولكنهم كانوا أغنياء ذوى نفوذ كبير وقد ضايقهم هذا الموضوع جداً لسببين: أولا لأنهم لم يصدقوا القيامة من الأموات وهو موضوع حديث الرسل . وثانياً لأنهم كانوا الطبقة الغنية الاستقراطية المتعاونة مع المستعمرين . فقد حاولوا أن يكونوا أصدقاء الرومان حتى يحتفظوا بثرائهم وقوتهم ونفوذهم . وأخيراً فقد كانوا يهدفون إلى إلصاق تهمة إثارة الشعب بالتلاميذ . لقد كانت الحكومة الرومانية تتساهل فى أمور كثيرة لكنها كانت تضرب بلا رحمة كل محاولة لإثارة الشعب . وقد توقع الصدوقيون تدخل الدولة الرومانية لإخماد الشعب إذا ترك التلاميذ يبشرون . وهم يخافون من تدخل الرومان لئلا يصيبهم شىء لذلك قرروا مقاومة التلاميذ منذ البداية وهذا ما أدى إلى إلقاء القبض على بطرس ويوحنا بسرعة.
وهذه الحادثة تعطينا نموذجاً واضحا لما تقوم به جماعة من الناس المحافظة على كيانهم حتى أنهم لا يستمعون للحق ولا يتركون الفرصة لأى شخص أن يستمع إليه .

أمام السنهدريم

وَحَدَثَ فِي ٱلْغَدِ أَنَّ رُؤَسَاءَهُمْ وَشُيُوخَهُمْ وَكَتَبَتَهُمْ ٱجْتَمَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ . مَعَ حَنَّانَ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ وَقَيَافَا وَيُوحَنَّا وَٱلإِسْكَنْدَرِ وَجَمِيعِ ٱلَّذِينَ كَانُوا مِنْ عَشِيرَةِ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ. وَلَمَّا أَقَامُوهُمَا فِي ٱلْوَسْطِ جَعَلُوا يَسْأَلُونَهُمَا بِأَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ ٱسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هٰذَا . حِينَئِذٍ ٱمْتَلأَ بُطْرُسُ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَقَالَ لَهُمْ يَا رُؤَسَاءَ ٱلشَّعْبِ وَشُيُوخَ إِسْرَائِيلَ . إِنْ كُنَّا نُفْحَصُ ٱلْيَوْمَ عَنْ إِحْسَانٍ إِلَى إِنْسَانٍ سَقِيمٍ بِمَاذَا شُفِيَ هٰذَا . فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ بِٱسْمِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱلنَّاصِرِيِّ ٱلَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ ٱللهُ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ . بِذَاكَ وَقَفَ هٰذَا أَمَامَكُمْ صَحِيحاً . هٰذَا هُوَ ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي ٱحْتَقَرْتُمُوهُ أَيُّهَا ٱلْبَنَّاؤُونَ ٱلَّذِي صَارَ رَأْسَ ٱلزَّاوِيَةِ . وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ ٱلْخَلاَصُ . لِأَنْ لَيْسَ ٱسْمٌ آخَرُ تَحْتَ ٱلسَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ .

(أع ٤ : ٥ — ١٢)

لقد أحضر بطرس ويوحنا للمحاكمة أمام السنهدريم . لقد كان السنهدريم المحكمة العليا . وقد كان لهذه المحكمة سلطة القاء القبض حتى فى أيام حكم الرومان والشيء الوحيد الذى لم تكن تملك إصدار الحكم فيه هو الإعدام إلا فى حالة واحـــدة : إذا دنس أممى الهيكل من الداخل . كان السنهدريم مكوناً من ٧١ عضواً : ورئيس الكهنة كان يعتبر رئيساً شرفياً . وكان من ضمن أعضاء السنهدريم كهنة وكانوا جميعامن الصدوقيين لأنهم كانوا يحاولون أن يحافظوا على مراكزهم حتى لا يقل دخلهم من الوظائف . وكان من ضمن الأعضاء بعض الكتبة وهم خبراء التقاليد . وفريسيون متعصبون للناموس . وشيوخ محترمون فى المجتمع . ثم بعض أقرباء الكهنة وكان يطلق عليهم أحياناً رؤساء الكهنة وكانوا من طبقتين :

اولا : رؤساء الكهنة السابقين . لقد كان لليهود فى أيام مجدهم رئيس كهنة يحصل على مركزه بالوراثة ولمدى الحياة . أما فى أيام الرومان فقد تدخلت عوامل أخرى فى اختيار رئيس الكهنة مثل الرشوة والفساد . لذلك أقام الرومان رؤساء الكهنة وخلعوهم حتى أنه فيما بين ٣٧ ق . م ، ٦٧ ميلادية كان هناك ما لا يقل عن ٢٨ رئيس كهنة ولكن كان رئيس الكهنة المخلوع يبقى قوة كبيرة لا يستهان بها .

ثانيا : ولو أن نظام الوراثة فى اختيار رئيس الكهنة انتهى إلا أن الاختيار كان محصوراً فى عائلات معينة فالرؤساء الثمانيـــة والعشرون الذين ذكرناهم جاءوا جميعا — فيما عدا ستة فقط — من أربع عائلات كهنوتية . وكان لأفراد هذه العائلات مركز خاص وهؤلاء هم الذين كان يطلق عليهم رؤساء الكهنة .

والآن عندما نقرأ خطاب بطرس نستطيع أن ندرك لمن قال هذا الخطاب وعندما نتذكر هذا ندرك أن هذا الخطاب أعظم نموذج للشجاعة فى العالم. لقد وجه بطرس هذا الخطاب إلى أغنى الناس وأكثرهم نفوذاً وقــوة وأكثرهم ذكاء وفطنة ومع هذا يقف بطرس الصياد البسيط عملاقاً أمام هذه الجماعة كما لو كان هو القاضى وهم المتهمون.

والأهم من ذلك أن هذه المحكمة هى نفسها التى أدانت المسيح وساقته للصلب. لقد كان بطرس يعلم ذلك جيداً وكان يعلم أنه يضع رأسه على كفه وهو يلقى خطابه أمامهم. هناك نوعان من الشجاعة: الشجاعة التى تسير فى طريقها غير عابئة بالأخطار. ولــكن هناك نوع أسمى من ذلك هى الشجاعة الهادئة التى تدرك الخطر المحدق بها لــكنها لا تتراجع. لقد أظهر لنا بطرس مثالاً نادراً لهذا النوع الثانى من الشجاعة. عندما قيل لأشيل المحارب اليونانى القديم إنه سيلاقى حتفه لا محالة إن خرج للحرب قال قولته المأثورة «ولو فأنا سأذهب» لقد علم بطرس فى تلك اللحظات بالخطر المحدق به لــكنه بالرغم من ذلك قال سأذهب أيضاً.

لا ولاء إلا الله

فَلَمَّا رَأَوْا مُجَاهَرَةَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَوَجَدُوا أَنَّهُمَا إِنْسَانَانِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَّانِ تَعَجَّبُوا. فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ وَلَكِنْ إِذْ نَظَرُوا الإِنْسَانَ الَّذِي شُفِيَ وَاقِفاً مَعَهُمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ

شيءٍ يُنَاقِضُونَ بِهِ . فَأَمَرُوهُمَا أَنْ يَخْرُجَا إِلَى خَارِجِ الْمَجْمَعِ وتَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ . قَائِلِينَ . مَاذَا نَفْعَلُ بِهٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ . لِأَنَّهُ ظَاهِرٌ لِجَمِيعِ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ أَنَّ آيَةً مَعْلُومَةً قَدْ جَرَتْ بِأَيْدِيهِمَا وَلاَ نَقْدِرُ أَنْ نُنْكِرَ . وَلٰكِنْ لِئَلاَّ تَشِيعَ أَكْثَرَ فِي الشَّعْبِ لِنُهَدِّدْهُمَا تَهْدِيداً أَنْ لاَ يُكَلِّمَا أَحَداً مِنَ النَّاسِ فِيمَا بَعْدُ بِهٰذَا الاِسْمِ . فَدَعَوْهُمَا وَأَوْصَوْهُمَا أَنْ لاَ يَنْطِقَا الْبَتَّةَ وَلاَ يُعَلِّمَا بِاسْمِ يَسُوعَ .

فَأَجَابَهُمْ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا وَقَالاَ إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ فَاحْكُمُوا . لِأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا . وَبَعْدَمَا هَدَّدُوهُمَا أَيْضًا أَطْلَقُوهُمَا إِذْ لَمْ يَجِدُوا الْبَتَّةَ كَيْفَ يُعَاقِبُونَهُمَا بِسَبَبِ الشَّعْبِ . لِأَنَّ الْجَمِيعَ كَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ عَلَى مَا جَرَى . لِأَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي صَارَتْ فِيهِ آيَةُ الشِّفَاءِ هٰذِهِ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

(أع ٤ : ١٣ — ٢٢)

فى هذا الفصل نرى بوضوح مدى حيوية العدو فى الهجوم ومدى حيوية الدفاع المسيحى . ففى هجوم الأعداء نرى شيئين مميزين :

أولا : احتقار . فقد رأى السنهدريم فى يوحنا وبطرس أنهما عاميان غير متعلمين بل جاهلين . وعديما العلم هنا معناها أنهما غير مثقفين ثقافة عالية فى شئون النظام والقانون . أما معنى عاميين فهو أنهما علمانيان أى ليس لهما مؤهلات وظيفية خاصة . أى أن السنهدريم رأى أنهما إنسانان غير جامعيين ولا يشغلان وظائف هامة .

وليس سهلا على الإنسان العادى أن يقابل ما نسميه عنجهية العلماء . لكن الإنسان الذى يسكن المسيح فى قلبه يكسبه هالة من الاحترام أفضل من هالة العلم أو المركز .

ثانيا : التهديدات . لقد أخبر بمصيرهما إذا استمرا فى الطريق الذى اختاراه لنفسيهما . لكن تهديدات البشر لا قيمة لها فى زحزحة المسيحى لأنه يعلم أن ما يعمله الإنسان إنما هو للحظة أما أعمال الله فهى للأبد .

وأمام هذا الهجوم قدم يوحنا وبطرس دفاعهما .

أولا : قدما دفاعاً يشمل حقيقة لا يمكن الإجابة عليها . فمثلاً لا يمكن إنكار شفاء الرجل . إن أهم وأعظم برهان المسيحية هو الإنسان المسيحى نفسه قد لا يكون للكلمات قيمة ، ولكننا نستطيع إثبات المسيحية للآخرين بتقديم البرهان الذى لا يمكن أن يدحر ألا وهو شخصية المسيح .

ثانيا : قدما ما يدل على ولائهم التام لله . فإذا كان السؤال من نطيع ؟ الإنسان أم الله ، فإن بطرس ويوحنا لم يترددا لحظة فى أى الطريقين يختاران . كما قال ه . ج ويلز « إن المشكلة مع كثيرين إنهم يسمعون صوت جيرانهم فى آذانهم

أعلى من صوت الله » إن السر الحقيقى فى المسيحية هو ما قيل عن جون نوكس « أنه يخاف الله كثيرا لدرجة أنه لا يخاف أى إنسان » .

ثالثا : أما الدفاع الثالث فكان أعظم دفاع إذ أنه كان دفاع الاختبار الشخصى للمسيح يسوع . فكما قال لم يكن فى استطاعتهما أن يتوقفا عن الكلام عن الأشياء التى رأوها وسمعوها بأنفسهم . فلم تكن رسالتهم مجرد قصة منقولة لكنهم كانوا واثقين من رسالتهم حتى أنهم كانوا مستعدين للتضحية بحياتهم فى سبيلها .

العودة بانتصار

وَلَمَّا أُطْلِقَا أَتَيَا إِلَى رُفَقَائِهِمَا وَأَخْبَرَاهُمْ بِكُلِّ مَا قَالَهُ لَهُمَا رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ . فَلَمَّا سَمِعُوا رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إِلَى ٱللهِ وَقَالُوا أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ أَنْتَ هُوَ ٱلْإِلٰهُ ٱلصَّانِعُ ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَٱلْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا . ٱلْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ لِمَاذَا ٱرْتَجَّتِ ٱلْأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ بِالْبَاطِلِ . قَامَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ . لِأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ الَّذِي مَسَحْتَهُ هِيرُودُسُ وَبِيلَاطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ . لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ . وَالْآنَ يَارَبُّ انْظُرْ إِلَى

تَهْدِيدَاتِهِمْ وَامْنَحْ عَبِيدَكَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِكَ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ . بِمَدِّ يَدِكَ لِلشِّفَاءِ وَلْتُجْرَ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ . وَلَمَّا صَلَّوْا تَزَعْزَعَ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ . وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ اللهِ بِمُجَاهَرَةٍ .

(أع ٤ : ٢٣ — ٣١)

فى هذا الفصل نرى تصرف الكنيسة ساعة الخطر . فعندما عاد بطرس و يوحنا وقصا قصتهما على الكنيسة ربما شعر الجميع بشيء من الخوف واليأس خصوصا عندما فكروا فيما سيصادفهم لكن لم يفكر أى واحد منهم لحظة أن يطيع أوامر السنهدريم فيمتنع عن الكلام والشهادة . بل على العكس من ذلك اجتماعهم فى تلك الآونة موجة من الشجاعة والثبات وذلك لأنهم :

(ا) وثقوا فى قوة الله . فالله خالق كل الأشياء وحافظها معهم عندما هدد مندوب البابا مارتن لوثر بما سيحدث له إذا استمر فى عناده قائلا « عندئذ ما هو مصيرك ؟ » رد لوثر « عندئذ سأكون فى يد الله » إن المسيحى يرى أن الذين معنا أكثر دائماً من الذين علينا .

(ب) كانوا عالمين بعدم جدوى ثورة الإنسان وتمرده إن كلمة غضب كما وردت فى الكتاب تعنى ثورة كثورة الحصان الجامح الذى يندفع ويضرب الأرض بأقدامه ويصهل لكنه فى النهاية يخضع لسيده . والناس قد يثورون على الله ولكن فى النهاية يسيطر الله عليهم .

(ج) وضعوا نصب عيونهم أن يتذكروا يسوع وكيف حوكم واحتمل حتى انتصر . وبهذه الذكرى كانوا يولدون الثقة فى أنفسهم . نعم يكفى أن يسوع هو سيد التلاميذ .

(د) لقد صلوا طالبين القوة والشجاعة . لم يدعوا أنهم يستطيعون مواجهة هذا الموقف بقوتهم الذاتية لكنهم أخذوا الموضوع ووضعوه أمام الله . وفى وقت المحاكمة انسحبوا من الزمن ونظروا إلى الأبدية وعندما خانتهم شجاعتهم استخدموا قوة ليست منهم .

(هـ) وكانت النتيجة عطية الروح القدس . لقد تحقق الوعد فلم يتركهم الله حزانى نعم من المؤكد أنه كان معهم دائما لذا وجدوا الشجاعة والقوة التى يحتاجون إليها للشهادة إذ كانت الشهادة كافية للحكم عليهم بالموت .

كل شيء مشتركا

وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ . وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا . وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَنِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ . إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ حُقُولٍ

أَوْ بُيُوتٍ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَأْتُونَ بِأَثْمَانِ الْمَبِيعَاتِ . وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ فَكَانَ يُوزَّعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ . وَيُوسُفُ الَّذِي دُعِيَ مِنَ الرُّسُلِ بَرْنَابَا الَّذِي يُتَرْجَمُ ابْنَ الْوَعْظِ وَهُوَ لَاوِيٌّ قُبْرُسِيُّ الْجِنْسِ . إِذْ كَانَ لَهُ حَقْلٌ بَاعَهُ وَأَتَى بِالدَّرَاهِمِ وَوَضَعَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ .

(أع ٤ : ٣٢ — ٣٧)

فى هذا الفصل نجد تغيراً مفاجئاً نابعاً من المسيحية الحقة . فقبل هذا الكلام مباشرة كانت الأشياء كلها تسير فى سمو ورفعة فكانت هناك أفكار عظيمة عن الله وصلوات لطلب الروح القدس واقتباسات كلها بهجة وسرور من العهد القديم . وبدون إنذار نرى القصة كلها تتحول فجأة إلى الأشياء العملية . ومهما كانت حياة أولئك المسيحيين مرتفعة ومهما كانت أوقاتهم تقضى فى أشياء سامية وعالية لكنهم لم ينسوا قط أن هناك أناساً يحثون بالجوع وأن هناك أناساً ليس عندهم ما يكفيهم وأنه من الواجب عليهم أن يعطوهم . إن الصلاة أمر فى منتهى الأهمية والشهادة عمل جليل ولكن قمة الحياة المسيحية هى محبة الأخوة . ويجب أن نلاحظ هنا شيئين :

(١) لقد أحسوا إحساساً عميقاً بشعور بعضهم بعضاً . لم يتصوروا أن يكون لأحدهم كثير بينما الأخ لا يملك إلا القليل .

(ب) وقد أثار فيهم هذا الشعور رغبة حقيقية فى المشاركة فى كل شىء . ويجب ألا ننسى شيئاً هاما وهو أن هذه الشركة لم تكن نتيجة تشريع خاص بل كانت نابعة من نفوسهم . إن المجتمع لا يصير مسيحياً عندما يضطرنا القانون أن نشرك الآخرين فيما لنا بل عندما يتحرك القلب والعواطف للمشاركة . والشركة التى تتم بالقانون لا يمكن أن تحل محل المحبة القلبية العميقة .

الأَصْحَاحُ الخَامِسُ

مشكلة فى الكنيسة

وَرَجُلٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا وَامْرَأَتُهُ سَفِّيرَةُ بَاعَ مُلْكاً وَاخْتَلَسَ مِنَ الثَّمَنِ وَامْرَأَتُهُ لَهَا خَبَرُ ذٰلِكَ وَأَتَى بِجُزْءٍ وَوَضَعَهُ عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ . فَقَالَ بُطْرُسُ يَاحَنَانِيَّا لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ . أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ . وَلَمَّا بِيعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ . فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هٰذَا الأَمْرَ . أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ . فَلَمَّا سَمِعَ حَنَانِيَّا هٰذَا الْكَلامَ وَقَعَ وَمَاتَ . وَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذٰلِكَ . فَنَهَضَ الأَحْدَاثُ وَلَفُّوهُ وَحَمَلُوهُ خَارِجاً وَدَفَنُوهُ .

ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ مُدَّةِ نَحْوِ ثَلاثِ سَاعَاتٍ أَنَّ امْرَأَتَهُ دَخَلَتْ وَلَيْسَ لَهَا خَبَرُ مَا جَرَى . فَأَجَابَهَا بُطْرُسُ قُولِي لِي أَبِهٰذَا الْمِقْدَارِ بِعْتُمَا الْحَقْلَ . فَقَالَتْ نَعَمْ بِهٰذَا الْمِقْدَارِ . فَقَالَ لَهَا بُطْرُسُ مَا بَالُكُمَا اتَّفَقْتُمَا عَلَى تَجْرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ . هُوَذَا أَرْجُلُ الَّذِينَ

دَفَنُوا رَجُلَكِ عَلَى الْبَابِ وَسَيَحْمِلُونَكِ خَارِجاً . فَوَقَعَتْ فِي الْحَالِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَمَاتَتْ . فَدَخَلَ الشَّبَابُ وَوَجَدُوهَا مَيْتَةً فَحَمَلُوهَا خَارِجاً وَدَفَنُوهَا بِجَانِبِ رَجُلِهَا . فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذَلِكَ .

(٥ : ١ — ١١)

لا توجد فى سفر الأعمال قصة أكثر إثارة من هذه القصة . فهى تريبنا الجو الذى كان سائداً فى الكنيسة الأولى من جهة أمرين : التوقع والحساسية التى شعر بها الناس فى تلك الأيام . كما نرى مقدار الاحترام الزائد الذى كان يتمتع به الرسل . فى هذا الجو جاءت كلمات بطرس القاتلة .

وهذه القصة واحدة من تلك القصص التى تبين أمانة الكتاب المقدس الذائدة بل المعاندة . فربما نعتقد أنه كان من الأفضل إهمال هذه القصة التى تبين أنه حتى فى الكنيسة الأولى كان هناك مسيحيون غير كاملين . لكن الكتاب المقدس لا يرضى أن يقدم لنا صوراً مثالية عن الكمال فى أى شىء . رسم رسام صورة لأوليفر كromويل . وكان وجهه به بثور ونتوءات فرأى الرسام ألا يظهرها فى الصورة لكن عندما رأى كرومويل صورته قال « خذ هذه الصورة وضع فى وجهى النتوءات وكل شىء » وهذا جانب من أمانة وعظمة الكتاب المقدس أنه يصور لنا أبطاله وعصوره الزاهرة بكل ما فيها من نتوءات وكل شىء . وهنا نجد بعض التشجيع لأن القصة تريبنا أنه حتى فى عصور الكنيسة المزدهرة كان هناك الجهد

والردىء . وعلينا أن نذكر دائماً أنه لو كان مجتمع الكنيسة من الناس الكاملين فقط لما كانت هناك كنيسة على الاطلاق .

ومن الأمور التى لها معنى خاص أن نرى إصرار بطرس على اعتبار الخطية خطية ضد الله . ونعمل حسناً إن تذكرنا هذه الحقيقة فى اتجاهات خاصة :

(ا) عدم الاجتهاد خطية ضد الله . الله يعمل بواسطة الإنسان وأى مجهود يعمل لصحة وسعادة ورفاهية الإنسانية هو عمل لأجل الله . قال أنطونيو ستراديفارى صانع الكمان العظيم : «إن تراخت يداى فى عملى فأنا أسلب الله» وهذا يجب أن يكون شعار كل إنسان .

(ب) إن الفشل فى استغلال مواهبنا خطية ضد الله . لقد أعطانا الله هذه المواهب لكى نكون وكلاء لله عليها ونحن مسئولون لا أمام الناس بل أمام الله عن طريقة استخدامها .

(ج) إن الفشل فى قول الحق خطية ضد الله . إن الحق هو نتيجة عمل روح الله فى قلوبنا فإذا انزلقنا إلى عدم الأمانة والزيف فهذه خطية ضد أرشاد روح الله الذى يعمل فى قلوبنا .

جاذبية المسيحية

وَجَرَتْ عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ كَثِيرَةٌ فِي الشَّعْبِ. وَكَانَ الْجَمِيعُ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ فِي رِوَاقِ سُلَيْمَانَ. وَأَمَّا الآخَرُونَ

فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَجْسُرُ أَنْ يَلْتَصِقَ بِهِمْ . لٰكِنْ كَانَ الشَّعْبُ يُعَظِّمُهُمْ . وَكَانَ مُؤْمِنُونَ يَنْضَمُّونَ لِلرَّبِّ أَكْثَرَ . جَمَاهِيرُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ . حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى خَارِجاً فِي الشَّوَارِعِ وَيَضَعُونَهُمْ عَلَى فُرُشٍ وَأَسِرَّةٍ حَتَّى إِذَا جَاءَ بُطْرُسُ يُخَيِّمُ وَلَوْ ظِلُّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ . وَاجْتَمَعَ جُمْهُورُ الْمُدُنِ الْمُحِيطَةِ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَامِلِينَ مَرْضَى وَمُعَذَّبِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ وَكَانُوا يُبْرَأُونَ جَمِيعُهُمْ .

(أع ٥ : ١٢ — ١٦)

هنا نرى صورة ما كان يحدث فى الكنيسة الأولى . ونعرف أشياء معينة عن تلك الكنيسة .

(ا) فهذا الفصل يرينا أين كانت تجتمع الكنيسة . فقد اعتادوا الاجتماع فى رواق سليمان أحد رواقين كبيرين يحيطان بالهيكل . وقد واظب المسيحيون الأول على حضور بيت الله . لقد واظبوا على لقاء الله يومياً لقد كانوا يرغبون فى زيادة معرفتهم بالله وفى امتلاء حياتهم بقوة الله . وأين يمكنهم أن يكونوا قريبين من الله إلا فى بيته ؟

(ب) وهذا الفصل يبين لنا كيفية اجتماع الكنيسة . لقد اعتادت الكنيسة الأولى أن تجتمع فى مكان ظاهر يراها فيه كل الناس. لم يحاولوا إخفاء مسيحيتهم.

لقد كانوا يعرفون ماحدث للرسل وما قد يحدث لهم فى أية لحظة لكنهم كانوا مصممين أن يظهروا للناس لمن هم وأين يقفون .

(ج) كما يبين لنا هذا الفصل أن الكنيسة الأولى كانت كنيسة فعالة ومؤثرة بدرجة كبيرة . ومع أننا لا نرى معجزات الكنيسة الآن لكن المعجزات يمكن أن تعود . فما زالت الكنيسة قادرة على تحويل الناس الأشرار إلى أناس طيبين وفى الكنيسة مازالت معجزات النعمة الآلهية تحدث كل يوم . ولاشك أن الناس يندفعون لحضور الكنيسة التى تستطيع أن تغير حياة الناس .

إعادة إلقاء القبض والمحاكمة

فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الَّذِينَ مَعَهُ الَّذِينَ هُمْ شِيعَةُ الصَّدُّوقِيِّينَ وَامْتَلأُوا غَيْرَةً . فَأَلْقَوْا أَيْدِيَهُمْ عَلَى الرُّسُلِ وَوَضَعُوهُمْ فِي حَبْسِ الْعَامَّةِ . وَلٰكِنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ فِي اللَّيْلِ فَتَحَ أَبْوَابَ السِّجْنِ وَأَخْرَجَهُمْ وَقَالَ . اذْهَبُوا قِفُوا وَكَلِّمُوا الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ بِجَمِيعِ كَلاَمِ هٰذِهِ الْحَيٰوةِ . فَلَمَّا سَمِعُوا دَخَلُوا الْهَيْكَلَ نَحْوَ الصُّبْحِ وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ . ثُمَّ جَاءَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَدَعَوُا الْمَجْمَعَ وَكُلَّ مَشْيَخَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَرْسَلُوا إِلَى الْحَبْسِ لِيُؤْتَى بِهِمْ . وَلٰكِنَّ الْخُدَّامَ لَمَّا جَاءُوا لَمْ يَجِدُوهُمْ فِي السِّجْنِ فَرَجَعُوا وَأَخْبَرُوا قَائِلِينَ إِنَّنَا وَجَدْنَا الْحَبْسَ مُغْلَقاً بِكُلِّ

حِرْصٍ وَالْحُرَّاسَ وَاقِفِينَ خَارِجًا أَمَامَ الأَبْوَابِ وَلٰكِنْ لَمَّا فَتَحْنَا لَمْ نَجِدْ فِي الدَّاخِلِ أَحَداً .

فَلَمَّا سَمِعَ الْكَاهِنُ وَقَائِدُ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ هٰذِهِ الأَقْوَالَ ارْتَابُوا مِنْ جِهَتِهِمْ مَا عَسَى أَنْ يَصِيرَ هٰذَا . ثُمَّ جَاءَ وَاحِدٌ وَأَخْبَرَهُمْ قَائِلاً هُوَذَا الرِّجَالُ الَّذِينَ وَضَعْتُمُوهُمْ فِي السِّجْنِ هُمْ فِي الْهَيْكَلِ وَاقِفِينَ يُعَلِّمُونَ الشَّعْبَ. حِينَئِذٍ مَضَى قَائِدُ الْجُنْدِ مَعَ الْخُدَّامِ فَأَحْضَرَهُمْ لاَ بِعُنْفٍ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ الشَّعْبَ لِئَلاَّ يُرْجَمُوا . فَلَمَّا أَحْضَرُوهُمْ أَوْقَفُوهُمْ فِي الْمَجْمَعِ . فَسَأَلَهُمْ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ قَائِلاً أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهٰذَا الاسْمِ . وَهَا أَنْتُمْ قَدْ مَلأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ وَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْلِبُوا عَلَيْنَا دَمَ هٰذَا الإِنْسَانِ . فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَالرُّسُلُ وَقَالُوا يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ . إِلٰهُ آبَائِنَا أَقَامَ يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ . هٰذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيساً وَمُخَلِّصاً لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا . وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهٰذِهِ الأُمُورِ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ .

(٥ : ١٧ — ٣٢)

كان القبض على التلاميذ مرة أخرى أمراً لامفر منه . فقد أمرهم السنهدريم — بكل صرامة — أن يكفوا عن التعليم باسم يسوع ، لكنهم عارضوا هذا الأمر علنا أمام الجماهير . ويجب ألا ننسى أن عدم تنفيذ الأوامر كان خطراً بالنسبة للسنهدريم لسببين : أولا لأن التلاميذ فى نظرهم كانوا هراطقة . وثانياً لأنهم أعتبروهم سبباً أساسياً للقلاقل وكانت أرض فلسطين دائماً منطقة قلاقل لذلك خشى الكهنة والصدوقيون من تدخل الرومان وضياع كل سلطة .

وفى حوادث القصة بعد خلاصهم نرى صورة حية لميزات رجال الله .

(ا) فلقد كانوا رجالاً شجعان . فإن خروجهم وذهابهم مباشرة للهيكل المناداة بالمسيح تبدو للمتعقلين الذين يبحثون عن الأمن شيئاً لا يصدق بل أن ذهابهم ومناداتهم كانت بمثابة تهور زائد فقد كانوا يعرفون مقدماً ما سيحدث لهم ومع ذلك ذهبوا .

(ب) لقد كانوا رجالاً ذوى مبدأ . وكان مبدأهم الأساسى أن طاعة الله هى الشىء الأول فى الحياة مهما كلفهم الأمر وفى كل الظروف . لم يسألوا قط « هل هذا التصرف سليم » ؟ لكنهم سألوا « هل هذا ما يطلبه الله منى » وعلى هذا تركوا كل حسابات الأمن وأطاعوا الله .

(ح) كان عندهم فكرة واضحة عن واجباتهم ودورهم فى الحياة . لقد عرفوا أنهم شهود للمسيح والشاهد هو الشخص الذى يتكلم عما شاهده هو شخصياً . إنه الشخص الذى يقول « هذا حقيق وأنا أعرفه جيداً » إنه الشخص الذى يعرف من اختباره الشخصى أن ما يقوله هو الصواب . وليس

من السهل أن نوقف شخصاً مثل هـــذا عن الـكلام لأن الحق لا يمـكن أن يوقف .

حليف غير متوقع

فَلَمَّا سَمِعُوا حَنِقُوا وَجَعَلُوا يَتَشَاوَرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ . فَقَامَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ فَرِّيسِيٌّ اسْمُهُ غَمَالاَئِيلُ مُعَلِّمٌ لِلنَّامُوسِ مُـكَرَّمٌ عِنْدَ جَمِيعِ الشَّعْبِ وَأَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ الرُّسُلُ قَلِيلاً . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ . أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ احْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ جِهَةِ هٰؤُلاَءِ النَّاسِ فِي مَا أَنْتُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا . لِأَنَّهُ قَبْلَ هٰـــذِهِ الأَيَّامِ قَامَ ثُودَاسُ قَائِلاً عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ شَيْءٌ . الَّذِي الْتَصَقَ بِهِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةٍ . الَّذِي قُتِلَ وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَبَدَّدُوا وَصَارُوا لاَ شَيْءَ . بَعْدَ هٰـذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاِكْتِتَابِ وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَعْبًا غَفِيرًا . فَذَاكَ أَيْضًا هَلَكَ وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا . وَالآنَ أَقُولُ لَـكُمْ تَنَحَّوْا عَنْ هٰؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ هٰذَا الرَّأْيُ أَوْ هٰذَا الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ . وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ فَلاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُوهُ . لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ لِلهِ أَيْضًا .

فَانْقَادُوا إِلَيْهِ. وَدَعَوُا الرُّسُلَ وَجَلَدُوهُمْ وَأَوْصَوْهُمْ أَنْ لاَ يَتَكَلَّمُوا بِاسْمِ يَسُوعَ ثُمَّ أَطْلَقُوهُمْ.

وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ لِأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. وَكَانُوا لاَ يَزَالُونَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.

(أع ٥ : ٣٣ — ٤٢)

فى المقابلة الثانية مع السنهدريم وجد التلاميذ مساعداً لم يتوقعوه ، هو غمالائيل الفريسى . وهنا نرى الفرق بين الصدوقيين والفريسيين . كان الصدوقيون أناساً أثرياء يهدفون إلى الحفاظ على مراكزهم وقوتهم . أما الفريسيون فلم تكن لهم مطامع سياسية وإسمهم يعنى « المعتزلون » وقد اعتزلوا عن الحياة العادية وعن الناس العاديين حتى يكرسوا حياتهم لأدق تفاصيل الناموس . لم يكن عددهم يزيد على ستة آلاف لكن تقشفهم وتزمتهم جعلهم موضع احترام الناس. أما غمالائيل فلم يكن محترماً فقط لكنه كان محبوباً أيضاً . لقد كان رجلاً طيباً يتميز بعدم التعصب كزملائه . فمثلاً كان أحد القلائل الذين كانوا لا يرون فى الرسائل اليونانية والثقافة اليونانية خطيئة. وكان أحد القلائل الذين استحقوا لقب « ربى » ولقد لقبه الناس « جمال القانون » ولما مات قال عنه الناس « منذ أن مات الربى غمالائيل لم نعد نحترم الناموس بل الطهر والنقاء ماتا معه » .

ولما جنح السنهدريم إلى اتخاذ قرارات مشددة ضد التلاميذ تعرض لهم غمالائيل . لقد كان عند الفريسيين عقيدة تجمع بين القدر وحرية الإرادة فلقد كانوا يعتقدون أن مصائر كل الأشياء فى يد الله ولكن الإنسان مسئول عن أعماله . لذلك كانت وجهة نظر غمالائيل أن السنهدريم يجب أن يحذر حين يتخذ قراراً يتعارض مع الله . فهو يرى أن هذا الأمر إن لم يكن من الله فلا بد أن يضمحل بأية صورة ولقد استشهد بمثلين ثوداس ويهوذا . ففى ذلك العصر توالى على فلسطين سلسلة من القادة الثاربين الذين نصبوا أنفسهم منقذين لوطنهم حتى أنهم صوروا أنفسهم كالمسيا . لكن من كان ثوداس هذا ؟ لا نعرف . لقد قام رجل إسمه ثوداس بعد ذلك وقاد جماعة بزعم أنه سيعبر بهم نهر الأردن ولكن حركته فشلت . لكن هذا الإسم ثوداس كان مألوفا . ولا شك أن قام قادة كثيرون بهذا الإسم . أما يهوذا فقد ثار أيام التعداد الذى أجراه كرينيوس سنة ٦ ميلادية . وكان الغرض من التعداد تنظيم الضرائب وكان يهوذا متعصباً يرى أن الله هو ملك اسرائيل . وأن الضرائب يجب ألا تدفع إلا لله وحده . وأن دفع أية ضرائب أخرى تجديف على الله . ولقد حاول القيام بثورة لكنه فشل . لهذا اقتبس غمالائيل هذين المثلين وقال إنه إن لم يكن الأمر من الله فلا بد أن يفشل أما إن كان من الله فلا شىء يستطيع أن يقف فى وجهه . وإن حاولوا إيقافه فإنهم يعارضون الله نفسه . وقد استمع السنهدريم له ثم هددوا التلاميذ مرة أخرى وأطلقوهم .

ولقد ذهبوا مبتهجين رغم ظروفهم. لقد فرحوا فى وسط هذه الاضطهادات لسببين :

(ا) لقد كانت فرصة لإظهار ولائهم للمسيح . فى أوائل الثورة البلشفية فى روسيا كان الشخص الذى يظهر ما فى يديه من آثار القيود وما على ظهره من آثار السياط انساناً محترماً لأنه قاسى لأجل مبدئه .

(ب) لقد كانت فرصة طيبة للمشاركة فى آلام للسيح نفسه . فالذين يشتركون فى حمل الصليب سيشتركون فى حمل التيجان .

اَلْأَصْحَاحُ ٱلسَّادِسُ

الموظفون الأوائل فى الكنيسة

وَفِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ إِذْ تَكَاثَرَ ٱلتَّلَامِيذُ حَدَثَ تَذَمُّرٌ مِنَ ٱلْيُونَانِيِّينَ عَلَى ٱلْعِبْرَانِيِّينَ أَنَّ أَرَامِلَهُمْ كُنَّ يُغْفَلُ عَنْهُنَّ فِي ٱلْخِدْمَةِ ٱلْيَوْمِيَّةِ فَدَعَا ٱلِٱثْنَا عَشَرَ جُمْهُورَ ٱلتَّلَامِيذِ وَقَالُوا لَا يُرْضِي أَنْ نَتْرُكَ نَحْنُ كَلِمَةَ ٱللهِ وَنَخْدِمَ مَوَائِدَ. فَٱنْتَخِبُوا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ مَشْهُوداً لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ فَنُقِيمَهُمْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَاجَةِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَنُوَاظِبُ عَلَى ٱلصَّلٰوةِ وَخِدْمَةِ ٱلْكَلِمَةِ. فَحَسُنَ هٰذَا ٱلْقَوْلُ أَمَامَ كُلِّ ٱلْجُمْهُورِ فَٱخْتَارُوا ٱسْتِفَانُوسَ رَجُلاً مَمْلُوًّا مِنَ ٱلْإِيمَانِ وَٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَفِيلُبُّسَ وَبُرُوخُورُسَ وَنِيكَانُورَ وَتِيمُونَ وَبَرْمِينَاسَ وَنِيقُولَاوُسَ دَخِيلاً أَنْطَاكِيًّا. ٱلَّذِينَ أَقَامُوهُمْ أَمَامَ ٱلرُّسُلِ فَصَلَّوْا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمِ ٱلْأَيَادِيَ. وَكَانَتْ كَلِمَةُ ٱللهِ تَنْمُو وَعَدَدُ ٱلتَّلَامِيذِ يَتَكَاثَرُ جِدًّا فِي أُورُشَلِيمَ وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْكَهَنَةِ يُطِيعُونَ ٱلْإِيمَانَ.

(أع ٦ : ١ — ٧)

عندما نمت الكنيسة بدأت فيها مشكلات المنظمات والمؤسسات وقد خصص كل مجمع يهودى اثنين مختصين لجمع التبرعات المالية والعينية فكانا يطوفان بالأسواق والمنازل يوم الجمعة صباحاً ثم يوزعان ما جمعاه مساء الجمعة . فالذين كانوا فى ضيقة وقتية كانوا يأخذون ما يكفيهم حتى يخرجوا من ورطتهم أما الفقراء فكانا يعطيانهم طعاماً يكفيهم مدة أسبوع بمعدل وجبتين فى اليوم . وكانوا يطلقون على هذه التبرعات لفظ (السلة) . وبالإضافة إلى ذلك فقد كانوا يقومون بالجمع من المنازل للذين فى ضيقة شديدة وكانوا يطلقون على هذا المشروع (الصينية) .

ولقد كان من الحكمة أن أخذت الكنيسة هذا التقليد . لكن كان بين اليهود أنفسهم انقساماً . فاليهودى متعصب ضد كل ما هو أممى لقد كان هناك نوعان من اليهود : يهود أورشليم — ويهود فلسطين ، أما يهود أورشليم فهم أولئك الذين كانوا يتكلمون الآرامية المنحدرة من لغتهم الأصلية وكانوا يفخرون بأنهم لم يختلطوا بأحد . أما اليهود الآخرون فكانوا من بلاد أخرى جاءوا يوم الخمسين وبقوا فى أورشليم واختبروا شخص المسيح . وعدد كبير من هؤلاء عاشوا خارج فلسطين أجيالاً طويلة فنسوا لغتهم العبرية وكانوا يتكلمون اليونانية . وكان طبيعياً أن اليهود الأصليين يحتقرونهم لأنهم أجنبيون . ولقد ظهر هذا التحيز عند توزيع الصدقات اليومية . فشكت زوجات اليهود اللاتى كن يتكلمن اليونانية لإهمالهن عند التوزيع . والرسل أنفسهم لم يكن ممكناً أن ينشغلوا بهذه الأمور لذلك انتخبوا سبعة للاهتمام بهذا الأمر .

ومن المدهش أن نجد أن للوظفين الأول الذين عينتهم الكنيسة لم يكونوا متكلمين بل خادمين خدمة عملية . كان اهتمام الكنيسة الأولى أن تضع مسيحيتها موضع التنفيذ العملى .

قيام بطل من أبطال الحرية

وَأَمَّا اسْتِفَانُوسُ فَإِذْ كَانَ مَمْلُوًّا إِيمَانًا وَقُوَّةً كَانَ يَصْنَعُ عَجَائِبَ وَآيَاتٍ عَظِيمَةً فِي الشَّعْبِ .

فَنَهَضَ قَوْمٌ مِنَ الْمَجْمَعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَجْمَعُ اللِّيبَرْتِينِيِّينَ وَالْقَيْرَوَانِيِّينَ وَالإِسْكَنْدَرِيِّينَ وَمِنَ الَّذِينَ مِنْ كِيلِيكِيَّا وَأَسِيَّا يُحَاوِرُونَ اسْتِفَانُوسَ . وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُقَاوِمُوا الْحِكْمَةَ وَالرُّوحَ الَّذِي كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ . حِينَئِذٍ دَسُّوا لِرِجَالٍ يَقُولُونَ إِنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمِ تَجْدِيفٍ عَلَى مُوسَى وَعَلَى اللهِ . وَهَيَّجُوا الشَّعْبَ وَالشُّيُوخَ وَالْكَتَبَةَ فَقَامُوا وَخَطِفُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَجْمَعِ . وَأَقَامُوا شُهُودًا كَذَبَةً يَقُولُونَ هٰذَا الرَّجُلُ لاَ يَفْتُرُ عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلاَمًا تَجْدِيفًا ضِدَّ هٰذَا الْمَوْضِعِ الْمُقَدَّسِ وَالنَّامُوسِ . لأَنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هٰذَا سَيَنْقُضُ هٰـذَا

الْمَوْضِعَ وَيُغَيِّرُ الْعَوَائِدَ الَّتِي سَلَّمَنَا إِيَّاهَا مُوسَى . فَشَخَصَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْجَالِسِينَ فِي الْمَجْمَعِ وَرَأَوْا وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ .
(أع ٦ : ٨ — ١٥)

عندما أفرزت الكنيسة سبعة شمامسة فإنها عملت عملاً كانت له آثاراً بعيدة . بمعنى أن الصراع الحقيقي بدأ . كان اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار . لكنهم فسروا الإختيار تفسيراً خاطئاً فقد اعتبروا أنفسهم مختارين من الله لكرامة خاصة وامتياز معين. واعتقدوا أن الله يخصهم وحدهم . ولعل أسوأ اعتقاداتهم أن الله خلق الأمم ليكونوا وقوداً لنار جهنم وأن أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الأمم أن يكونوا خدماً لليهود . ولم يخطر ببالهم قط أن الله اختارهم للخدمة ولإدخال العالم في نفس العلاقة الوثيقة بالله التي تمتعوا بها .

وهنا تأتي حادثة كان لها نتائج خطيرة . ولو أنهم لم يقرروا بعد دخول الأمم بل كان الموضوع خاصاً باليهود الذين يتكلمون اليونانية . لكن الغريب أن السبعة الذين اختيروا كانوا يحملون أسماء يونانية (غير يهودية) بل أن أحدهم وهو نيقولا كان أممياً ثم تهود وهذا معنى (دخيل أنطاكي) .

أما استفانوس فقد كانت له رؤى بعيدة أكثر من زملائه . ولعله كان ينظر إلى العالم وقد صار كله للمسيح . ولقد كان اليهود يعتبرون شيئين مقدسين وغالبين : الأول هو الهيكل حيث كان لهم وحدهم حق تقديم الذبيحة وعبادة الله . والثاني هو الناموس الثابت الذي لا يتغير . أما استفانوس فكان يرى

أن الهيكل لابد أن ينتهى وأن الناموس ما هو إلا مرحلة تؤدى إلى الإنجيل الذى لابد أن ينتشر فى العالم كله . وكان ينادى بذلك ولابد أنه قال هذا فى المجمع حيث لم يكن هناك واعظ معين بل كان يسمح لأى زائر ممتاز بالكلام . ولا شك أن كلامه كان مقنعاً ولما لم يجد اليهود وسيلة للرد على حججه لجأوا إلى القوة فقبضوا عليه . وبذلك أنهوا خدمة استفانوس القصيرة المدى لكنها كانت بعيدة المدى لأن استفانوس كان أول من نادى بأن المسيحية لم تكن مخصصة لليهود فقط بل هى منحة من الله للعالم كله .

دفاع استفانوس

عندما كان أوليفر كرمويل يخطط منهج التعليم لابنه قال « أريده أن يعرف بعض التاريخ » وقد لجأ استفانوس إلى دروس التاريخ . ولقد كان استفانوس يؤمن أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم . وما قاله كان مجرد إلمامة بتاريخ الأمة اليهودية . وقد استخدم هذا التاريخ للهجوم على أمته :

١ — لقد رأى أن أعظم رجال التاريخ هم الأشخاص الذين أطاعوا صوت الله « أخرج » والذين لم يخافوا أن يطيعوا . فالعظماء هم الذين قاموا بمغامرة الإيمان . وبروح المغامرة هذه شذ استفانوس عن اتجاه لليهود فى أيامه الذين كانوا يرون أن الأمور يجب أن تبقى كما هى وأن يسوع وأتباعه هم أصحاب بدعة خطرة .

٢ — لقد أصر على أن الناس كانوا يعبدون الله قبل بناء الهيكل بمدة طويلة . وبينما كان اليهود يرون أن الهيكل أقدس مكان إذا

باستفانوس يرى أن الله لا يسكن فى الهيا كل للبنية بالأيادى . وكانت هـذه ضربة قاضية لتعاليم اليهود .

٣ — أصر استفانوس على أن اليهود عندما صلبوا يسوع كانوا ينفذون مخططاً إتبعوه مع كل الأنبياء الذين أقامهم الله خلال كل تاريخهم .

ولقد كانت هذه حقائق قاسية على شعب يعتقد أنه مختار لذلك لا عجب أن رأينا هياج اليهود ضده .

ٱلأَصْحَاحُ ٱلسَّابِعُ

رجل أقامه الله

فَقَالَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ أَتُرَى هٰذِهِ ٱلْأُمُورُ هٰكَذَا هِيَ . فَقَالَ أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلْإِخْوَةُ وَٱلْآبَاءُ ٱسْمَعُوا . ظَهَرَ إِلٰهُ ٱلْمَجْدِ لِأَبِينَا إِبْرٰهِيمَ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ٱلنَّهْرَيْنِ قَبْلَمَا سَكَنَ فِي حَارَانَ . وَقَالَ لَهُ ٱخْرُجْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَهَلُمَّ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أُرِيكَ فَخَرَجَ حِينَئِذٍ مِنْ أَرْضِ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ وَسَكَنَ فِي حَارَانَ . وَمِنْ هُنَاكَ نَقَلَهُ بَعْدَمَا مَاتَ أَبُوهُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أَنْتُمُ ٱلْآنَ سَاكِنُونَ فِيهَا . وَلَمْ يُعْطِهِ فِيهَا مِيرَاثًا وَلَا وَطْأَةَ قَدَمٍ وَلٰكِنْ وَعَدَ أَنْ يُعْطِيَهَا مُلْكًا لَهُ وَلِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَعْدُ وَلَدٌ . وَتَكَلَّمَ ٱللهُ هٰكَذَا . أَنْ يَكُونَ نَسْلُهُ مُتَغَرِّبًا فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ فَيَسْتَعْبِدُوهُ وَيُسِيئُوا إِلَيْهِ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ . وَٱلْأُمَّةُ ٱلَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا سَأَدِينُهَا أَنَا يَقُولُ ٱللهُ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَخْرُجُونَ وَيَعْبُدُونَنِي فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ .

(أع ٧ : ١ — ٧)

كما رأينا كان أسلوب استفانوس فى دفاعه أن يستعرض بسرعة التاريخ اليهودى . ولم يكن مجرد سرد التاريخ والحوادث التاريخية هو هدف استفانوس لكن كل حادثة وكل شخص كان يرمز لشىء معين . وكل هذه الحوادث إنما تعطى عينة لإستجابة الإنسان لوصايا الله . ولقد بدأ استفانوس بإبرهيم لأنه بالنسبة لليهود بداية تاريخهم . واستفانوس يرى فى إبرهيم ثلاثة أشياء :

١ — كان إبراهيم رجل الطاعة « أخرج » وكما ذكر كاتب العبرانيين « بالإيمان إبراهيم لما دعى أطاع ... فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى » (عب ١١ : ٨) ، لقد كانت له روح المغامرة . ذكر لسلى نيوبجن أسقف الهند إنه فى مفاوضات للوحدة المسيحية كانوا يتوقفون لأن بعض الناس كانوا يسألونهم إلى أين تقودنا هذه النقطة أو تلك الخطوة ولكن أحد الحاضرين رد قائلاً « إن المسيحى لا يجب أن يسأل إلى أين يذهب » وبالنسبة لاستفانوس فإن رجل الله هو الشخص الذى يطيع وصايا الله حتى لو كان لا يعلم النتائج .

٢ — كان إبرهيم رجل الإيمان . لم يكن يعلم أين يذهب لكنه كان يذهب . إنه طالما أن الله يقوده فسيقوده إلى الأفضل . حتى حين لم يرزق بأولاد ولم يكن لديه أى أمل فى البنين فإنه آمن أن نسله سيرث الأرض التى وعده بها . لقد كان إبراهيم الشخص الذى يثق تماماً أن مواعيد الله صادقة .

٣ — كان إبرهيم رجل الرجاء . فإنه لآخر نسمة فى حياته لم يتحقق وعد الله له كاملاً لكنه لم يشك لحظة فى تحقيق الوعد .

وهكذا يواجه استقفانوس اليهود بصورة من صور الحياة المغامرة للسعادة أن تطيع أوامر الله ومطاليبه « أخرج » مقارناً بذلك بينه وبين اليهود الذين يتمسكون بالماضي ولا يريدون أي تغيير .

النزول إلى مصر

وَأَعْطَاهُ عَهْدَ الْخِتَانِ وَهٰكَذَا وَلَدَ إِسْحٰقَ وَخَتَنَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ . وَإِسْحٰقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ وَيَعْقُوبُ وَلَدَ رُؤَسَاءَ الآبَاءِ الاثْنَيْ عَشَرَ . وَرُؤَسَاءُ الآبَاءِ حَسَدُوا يُوسُفَ وَبَاعُوهُ إِلَى مِصْرَ وَكَانَ اللهُ مَعَهُ . وَأَنْقَذَهُ مِنْ جَمِيعِ ضِيقَاتِهِ وَأَعْطَاهُ نِعْمَةً وَحِكْمَةً أَمَامَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ فَأَقَامَهُ مُدَبِّراً عَلَى مِصْرَ وَعَلَى كُلِّ بَيْتِهِ .

ثُمَّ أَتَى جُوعٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ وَكَنْعَانَ وَضِيقٌ عَظِيمٌ فَكَانَ آبَاؤُنَا لاَ يَجِدُونَ قُوتاً . وَلَمَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ أَنَّ فِي مِصْرَ قَمْحاً أَرْسَلَ آبَاءَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ . وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ اسْتَعْرَفَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ وَاسْتَعْلَنَتْ عَشِيرَةُ يُوسُفَ لِفِرْعَوْنَ . فَأَرْسَلَ يُوسُفُ وَاسْتَدْعَى أَبَاهُ يَعْقُوبَ وَجَمِيعَ عَشِيرَتِهِ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ نَفْساً . فَنَزَلَ يَعْقُوبَ إِلَى مِصْرَ وَمَاتَ هُوَ وَآبَاؤُنَا . وَنُقِلُوا إِلَى

شَـكِيمَ وَوُضِعُوا فِي الْقَبْرِ الَّذِي اشْتَرَاهُ إِبْرٰهِيمُ بِثَمَنٍ فِضَّةٍ مِنْ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَـكِيمَ .

(أع ٧ : ٨ — ١٦)

وتأتى بعد صورة إبراهيم صورة يوسف . ومفتاح حياة يوسف نجده ملخصاً فى الـكلمات التى نطق بها بنفسه فى تك ٥٠ : ٢٠ . وكان أخوة يوسف يظنون أنه بعد وفاة أبيهم يعقوب ينتقم منهم يوسف لأجل كل مافعلوه معه لـكن يوسف رد عليهم قائلاً « أنتم قصدتم لى شراً أما الرب فقصد به خيراً » . فالشر الظاهرى ليوسف تحول إلى خير ونصرة . فقد بيع فى مصر كعبد وسجن ظلماً ونسيه الناس الذين ساعدهم لـكن جاء اليوم الذى أصبح فيه يوسف رئيس وزراء مصر . ويلخص استفانوس مميزات يوسف فى كلمتين : النعمة — والحـكمة .

١ — والنعمة كلمة جميلة محبوبة وهى فى أبسط معانيها تعنى جمال الوجه والتقاطيع ثم جمال الخلق . ولعل أقرب كلمة إليها فى لغتنا هى الفتنة . لقد كان يوسف يتمتع بهـذه الفتنة والجاذبية التى تظهر على وجه رجال الله . لقد كان متوقعاً أن يصبح يوسف إنساناً مر النفس يائساً حزيناً لـكن يوسف كان أميناً فى كل عمل أوكل إليه وخدم بنفس الأمانة عندما كان عبداً سجيناً وكذلك عندما أصبح رئيساً للوزراء . لقد كان فعلاً يعمل بكل قوته ما وجدته يداه .

٢ — لا توجد كلمة أصعب فى تعريفها من كلمة الحـكمة . فهى تعنى أكثر من مجرد المهارة أو الإدراك العقلى للحقائق . لـكن حياة يوسف نفسه تعطينا

معنى هذه الكلمة . فهى تعنى القدرة على النظر البعيد . لنرى الأشياء كما يراها الله وهنا أيضاً يظهر الفرق بين حياة يوسف واليهود الذين انشغلوا بماضيهم وتاهوا فى متاهات التفسير الحرفى للناموس . لكن يوسف كان الرجل الذى يرحب بكل عمل جديد حتى ولو كان هذا العمل مؤلماً .

لقد كان الرجل ذى الرؤية البعيدة : رؤية الله للحياة .

الرجل الذى لم ينس مواطنيه

وَكَمَا كَانَ يَقْرُبُ وَقْتُ الْمَوْعِدِ الَّذِى أَقْسَمَ اللهُ عَلَيْهِ لإِبْرٰهِيمَ كَانَ يَنْمُو الشَّعْبُ وَيَكْثُرُ فِى مِصْرَ . إِلَى أَنْ قَامَ مَلِكٌ آخَرُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ . فَاحْتَالَ هٰذَا عَلَى جِنْسِنَا وَأَسَاءَ إِلَى آبَائِنَا حَتَّى جَعَلُوا أَطْفَالَهُمْ مَنْبُوذِينَ لِكَىْ لاَ يَعِيشُوا .

وَفِى ذٰلِكَ الْوَقْتِ وُلِدَ مُوسَى وَكَانَ جَمِيلاً جِدًّا . فَرُبِّىَ هٰذَا ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ فِى بَيْتِ أَبِيهِ . وَلَمَّا نُبِذَ اتَّخَذَتْهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ وَرَبَّتْهُ لِنَفْسِهَا ابْنًا. فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِى الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ . وَلَمَّا كَمِلَتْ لَهُ مُدَّةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً خَطَرَ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ بَنِى إِسْرَائِيلَ . وَإِذْ رَأَى وَاحِدًا مَظْلُومًا حَامَى عَنْهُ وَأَنْصَفَ الْمَغْلُوبَ إِذْ قَتَلَ الْمِصْرِىَّ . فَظَنَّ أَنَّ

وَتَهُ يَفْهَمُونَ أَنَّ ٱللهَ عَلَى يَدِهِ يُعْطِيهِمْ نَجَاةً . وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا . وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي ظَهَرَ لَهُمْ وَهُمْ يَتَخَاصَمُونَ فَسَاقَهُمْ إِلَى ٱلسَّلَامَةِ قَائِلاً أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ أَنْتُمْ إِخْوَةٌ . لِمَاذَا تَظْلِمُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً . فَالَّذِي كَانَ يَظْلِمُ قَرِيبَهُ دَفَعَهُ قَائِلاً مَنْ أَقَامَكَ رَئِيساً وَقَاضِياً عَلَيْنَا . أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ أَمْسِ الْمِصْرِيَّ . فَهَرَبَ مُوسَى بِسَبَبِ هٰذِهِ ٱلْكَلِمَةِ وَصَارَ غَرِيباً فِي أَرْضِ مَدْيَانَ حَيْثُ وَلَدَ ٱبْنَيْنِ .

وَلَمَّا كَمِلَتْ أَرْبَعُونَ سَنَةً ظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ فِي بَرِّيَّةِ جَبَلِ سِينَاءَ فِي لَهِيبِ نَارِ عُلَّيْقَةٍ . فَلَمَّا رَأَى مُوسَى ذٰلِكَ تَعَجَّبَ مِنَ ٱلْمَنْظَرِ . وَفِيمَا هُوَ يَتَقَدَّمُ لِيَتَطَلَّعَ صَارَ إِلَيْهِ صَوْتُ ٱلرَّبِّ . أَنَا إِلٰهُ آبَائِكَ وَإِلٰهُ إِسْحٰقَ وَإِلٰهُ يَعْقُوبَ . فَارْتَعَدَ مُوسَى وَلَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَتَطَلَّعَ . فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ اخْلَعْ نَعْلَ رِجْلَيْكَ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ . إِنِّي لَقَدْ رَأَيْتُ مَشَقَّةَ شَعْبِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ أَنِينَهُمْ وَنَزَلْتُ لِأُنْقِذَهُمْ . فَهَلُمَّ الْآنَ أُرْسِلُكَ إِلَى مِصْرَ .

هٰذَا مُوسَى الَّذِي أَنْكَرُوهُ قَائِلِينَ مَنْ أَقَامَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا
هٰذَا أَرْسَلَهُ اللهُ رَئِيسًا وَفَادِيًا بِيَدِ الْمَلاَكِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ فِي الْعُلَّيْقَةِ .
هٰـذَا أَخْرَجَهُمْ صَانِعًا عَجَائِبَ وَآيَاتٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ وَفِي الْبَحْرِ
الأَحْمَرِ وَفِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

(أع ٧ : ١٧ — ٣٦)

فى المنظر التالى يظهر موسى . وبالنسبة لليهود فإن موسى يعتبر أعظم من كل الناس ، فهو الذى استجاب لدعوة الله له « هلم الآن أرسلك » ولقد كان موسى الرجل الذى أطاع الله حرفياً فترك مملكته ليستجيب لدعوة الله ليكون قائداً للشعب . والكتاب لا يذكر إلا الشيء القليل عن طفولة موسى لكن المؤرخين اليهود يذكرون الكثير عن هذه الفترة من حياته . ونحن نعلم أن إبنة فرعون وجدت موسى فى الماء بعد أن تركته أمه . وأن إبنة فرعون أخذته إلى القصر واعتبرته كإبنها . لكن يوسيفوس المؤرخ يضيف إلى ذلك أن موسى كان جميلاً جداً حتى أنه كان يسترعى إنتباه المارة عندما كانت تحمله مربيته فى الطريق وأنه كان ذكياً لدرجة فاقت كل أقرانه . وفى أحد الأيام أخذته إبنة فرعون إلى أبيها وطلبت من فرعون أن يجعله وارثاً للعرش فوافق ، وتقول القصة إن فرعون أخذ تاجه من على رأسه ووضعه على رأس موسى لكنه أخذه بعنف وألقاه على الأرض . وقد علق أحد حكماء المصريين على هذا الحادث بأن هذا الطفل لا بد أن يقتل فوراً وإلا فسيكون سبب نكبة لمصر ولتاج مصر . لكن إبنة فرعون إحتضنت موسى بسرعة ورجت والدها

ألا ينفذ هذه النصيحة . ولما كبر موسى صار من أكبر قادة الجيش كما قاد حملة موفقة فى أثيوبيا وتزوج من أميرة تلك البلاد . وفى ضوء هذه القصة نستطيع أن نتصور ما تركه موسى . فلقد ترك مملكة ليقود شعباً فى الصحراء فى مغامرة جريئة إطاعة لله . وهكذا نرى اسطفانوس يؤكد وجهة نظره مرة أخرى . فالرجل العظيم ليس هو الرجل المربوط بالماضى والذى يقدر إمتيازاته الشخصية لكن الرجل العظيم حقاً هو ذلك الرجل الذى عنده الإستعداد اطاعة الدعوة « هلم الآن أرسلك » تاركاً كل الراحة والحياة الميسرة التى يتمتع بها .

شعب غير مطيع

هٰذَا هُوَ مُوسَى الَّذِى قَالَ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ نَبِيًّا مِثْلِى سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلٰهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ . لَهُ تَسْمَعُونَ . هٰذَا هُوَ الَّذِى كَانَ فِى الْكَنِيسَةِ فِى الْبَرِّيَّةِ مَعَ الْمَلاَكِ الَّذِى كَانَ يُكَلِّمُهُ فِى جَبَلِ سِينَاءَ وَمَعَ آبَائِنَا . الَّذِى قَبِلَ أَقْوَالاً حَيَّةً لِيُعْطِيَنَا إِيَّاهَا . الَّذِى لَمْ يَشَأْ آبَاؤُنَا أَنْ يَكُونُوا طَائِعِينَ لَهُ بَلْ دَفَعُوهُ وَرَجَعُوا بِقُلُوبِهِمْ إِلَى مِصْرَ . قَائِلِينَ لِهٰرُونَ اعْمَلْ لَنَا آلِهَةً تَتَقَدَّمُ أَمَامَنَا . لأَنَّ هٰذَا مُوسَى الَّذِى أَخْرَجَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ فَعَمِلُوا عِجْلاً فِى تِلْكَ الأَيَّامِ وَأَصْعَدُوا ذَبِيحَةً لِلصَّنَمِ وَفَرِحُوا بِأَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ . فَرَجَعَ اللهُ وَأَسْلَمَهُمْ لِيَعْبُدُوا جُنْدَ السَّمَاءِ كَمَا

هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ الأَنْبِيَاءِ. هَلْ قَرَّبْتُمْ لِي ذَبَائِحَ وَقَرَابِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْبَرِّيَّةِ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ. بَلْ حَمَلْتُمْ خَيْمَةَ مُولُوكَ وَنَجْمَ إِلٰهِكُمْ رَمْفَانَ التَّمَاثِيلَ الَّتِي صَنَعْتُمُوهَا لِتَسْجُدُوا لَهَا. فَأَنْقُلُكُمْ إِلَى مَا وَرَاءَ بَابِلَ.

وَأَمَّا خَيْمَةُ الشَّهَادَةِ فَكَانَتْ مَعَ آبَائِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ كَمَا أَمَرَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى أَنْ يَعْمَلَهَا عَلَى الْمِثَالِ الَّذِي كَانَ قَدْ رَآهُ. الَّتِي أَدْخَلَهَا أَيْضًا آبَاؤُنَا إِذْ تَخَلَّفُوا عَلَيْهَا مَعَ يَشُوعَ فِي مُلْكِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ اللهُ مِنْ وَجْهِ آبَائِنَا إِلَى أَيَّامِ دَاوُدَ. الَّذِي وَجَدَ نِعْمَةً أَمَامَ اللهِ وَالْتَمَسَ أَنْ يَجِدَ مَسْكَنًا لإِلٰهِ يَعْقُوبَ. وَلٰكِنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى لَهُ بَيْتًا. لٰكِنَّ الْعَلِيَّ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلِ مَصْنُوعَاتِ الأَيَادِي. كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ. السَّمَاءُ كُرْسِيٌّ لِي وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ. أَيَّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَيٌّ هُوَ مَكَانُ رَاحَتِي. أَلَيْسَتْ يَدِي صَنَعَتْ هٰذِهِ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا.

يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذٰلِكَ أَنْتُمْ. أَيُّ

الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ . الَّذِينَ أَخَذْتُمُ النَّامُوسَ بِتَرْتِيبِ مَلاَئِكَةٍ وَلَمْ تَحْفَظُوهُ .

(أع ٧ : ٣٧ — ٥٣)

والآن يبـــدأ خطاب إسطفانوس فى الهجوم المتزايد . لقد كان فى كل كلامه السابق يدين إتجاه اليهود بطريقة خفية . لـكن فى هذا الفصل الختامى من خطابه يدينهم علناً بعد أن نسج أفـكاراً ثابتة .

١ — فهو يؤكد أن هذا الشعب غير مطيع ودائم التمرد . ففى أيام موسى تمردوا بأن صنعوا العجل الذهبى . وفى أيام عاموس إتجهت قلوبهم إلى الإله مولوك وجند السماء (النجوم) : والإشارة هنا إلى ما نسمية الأنبياء الصغار وهو يقتبس من عاموس ٥ : ٢٧ .

٢ — كما يؤكد أن هذا الشعب كان يتمتع بأعجب إمتيازات : فقد كان عندهم سلسلة من الأنبياء المتعاقبين وتابوت الشهادة الذى يحتوى على لوحى الشريعة ، والناموس الذى أعطى بترتيب ملائكة .

وهذان الأمران سارا معاجنباً إلى جنب إمتيازات عظيمة و تمرد عجيب و كلما تمتع الإنسان بامتيازات صارت دينونته أعظم إن انحرف عن الطريق السليم . لهـــذا يصر اسطفانوس على أن دينونة الأمة اليهودية عظيمة لأنه رغم كل الفرص التى قدمت لهم لمعرفة الواضحة فإنهم إستمروا فى ثورتهم وعنادهم لله .

٣ — يؤكد اسطفانوس أنهم فهموا الله فهماً خاطئاً إذ جعلوه إلهاً محدوداً . فالهيكل الذى كان يجب أن يكون أعظم بركة لهم صار أكبر لعنة . فقد صاروا يعبدون الهيكل بدلاً من عبادة الله . وانتهى بهم الأمر إلى إله يهودى يسكن فى أورشليم بدلاً من إله كل الناس الذى يوجد فى كل العالم .

٤ — يتهمهم اسطفانوس بقتل الأنبياء ثم يصل إلى قمة إتهامه لهم بقتل إبن الله نفسه . ونلاحظ أنه لا يحاول أن يبرئهم من هذه التهمة بأن يقول إنهم فعلوا ذلك بجهل كما قال بطرس . بل إنه يؤكد أن التمرد وعدم الطاعة هما الدافع الأساسى لارتكاب هذه الجريمة .

لقد كانت كلمات اسطفانوس الأخيرة مملوءة بالغضب والأسف أيضاً فنحن نحس بغضب إنسان لأنه يرى شعباً يرتكب أفظع جريمة كما نحس بأسفه وأساه على شعب رفض خطة الله المقدمة لهم .

أول الشهداء

فَلَمَّا سَمِعُوا هٰذَا حَنِقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ . وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ . فَقَالَ هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمٰوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ . فَصَاحُوا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَسَدُّوا آذَانَهُمْ وَهَجَمُوا عَلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ . وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ . فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي . ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ يَارَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هٰذِهِ الْخَطِيَّةَ . وَإِذْ قَالَ هٰذَا رَقَدَ . ص٨ وَكَانَ شَاوُلُ رَاضِياً بِقَتْلِهِ .

((أع ٧ : ٥٤ — ٨ : ١ (١))

إن خطاباً كهذا كان لا بد أن يصل إلى نتيجة واحدة : قتل اسطفانوس ، لكن اسطفانوس لم ير وجوههم وقد حنقت من الغيظ . فلقد تخطى نظره حاجز الزمن ونظر يسوع قائماً عن يمين الله . لكنه عندما عبر عن ذلك كان هذا بالنسبة لهم أعظم تجديف . وكانت عقوبة التجديف على الله الرجم بالحجارة حتى الموت (تث ١٣ : ٦) ويلاحظ أن موت اسطفانوس لم يكن نتيجة محاكمة بل كان إغتيالاً لأن السنهدريم لم يكن يملك أن يحكم بإعدام أحد لكن الغضب الحانق هو الذى أدى إلى قتل اسطفانوس .

وكانت طريقة الرجم كما يأتى : يؤخذ المجرم إلى مكان عال ثم يطرح بواسطة الشهود فإن مات نتيجة السقوط كان بها وإلا فإن قطعاً كبيرة من الحجارة تنهال عليه حتى يموت .

وفى هذا المنظر نرى أشياء يجب ملاحظتها .

١ — نرى سر شجاعة اسطفانوس . فقد كان نبع شجاعته أبعد من أن

يصل إليه أى إنسان فقد رأى الرب نفسه فى انتظاره مرحباً . فنظر إلى موت الشهادة نظرته إلى الباب المؤدى إلى عرش المسيح .

٢ — نرى اسطفانوس يتبع أثر خطوات سيده . فكما صلى يسوع لأجل الذين صلبوه طالباً الغفران لهم (لو ٢٣ : ٣٤) فعل هو أيضاً .

عندما تردد الجلاد المكلف باعدام جورج ويشارت . اقترب منه جورج وقبله وقال له « هذا هو الدليل على أنى غفرت لك » .

إن أهم درس فى التاريخ أن الشخص الذى يتبع يسوع كل الطريق سيجد الشجاعة والقوة لصنع أشياء لا يمكن أن يعملها الإنسان الطبيعى .

٣ — بالنسبة لاسطفانوس انتهى المشهد الدامى بسلام عجيب . لقد نام ، لقد أحس اسطفانوس بالسلام الذى يحسه أى شخص عمل الواجب الذى عليه ولو أدى به هذا إلى الموت .

والشطر الأول من العدد الأول من الأصحاح الثامن يكمل هذا المشهد فنرى شاول يدخل فى هذا المنظر . فالرجل الذى سيكون رسول الأمم هو الذى كان واقفاً وراضياً بقتل اسطفانوس .

وفى هذا يقول أغسطينوس « إن الكنيسة تعتبر بولس وليد صلاة اسطفانوس » ولقد حاول شاول أن ينسى ذلك المنظر فلم يستطع أن ينسى أبداً الطريقة التى مات بها . لقد كانت دماء الشهداء التى سالت مبكراً هى بداية الكنيسة .

الـكنيسة تنطلق للخارج

إن الأصحاح الثامن هو أصحاح هام فى تاريخ الـكنيسة فقد بدأت الـكنيسة كنظمة يهودية بحتة . وفى الأصحاح السادس رأينا البداية وهى التذمر على قبول الأمم . لـكن اسطفانوس كان سابقاً لعصره فى هذا المضمار . والآن فى الأصحاح الثامن نرى الـكنيسة تنطلق للخارج . فالاضطهاد شتت الـكنيسة وحيثما ذهب المضطهدون كانوا ينشرون الإنجيل . ففى الأصحاح الثامن نرى فيلبس (واحد من السبعة) ويجب أن نفرق بينه وبين فيلبس التلميذ وهو واحد من الإثنى عشر . لقد وعظ فيلبس فى السامرة . وكانت السامرة بمثابة قنطرة بين اليهود والأمم لأنهم كانوا يعتبرون نصف يهود ونصف أمميين . ثم تأتى قصة الخصى الحبشى حيث ينتشر الإنجيل فى دائرة أوسع . لـكن الـكنيسة حتى ذلك الوقت لم تـكن تعرف ماذا تفعل ولا ما هى إرساليتها ولا ما معنى الإرسالية للعالم والـكنيسة الجامعة .

ولـكن عندما نقرأ هذا الأصحاح فى ضوء ما نعلم أنه سيحدث ، نرى الـكنيسة بطريقة لا شعورية لا يمـكن مقاومتها تتحرك إلى الهدف والرسالة الحقيقية .

اَلْأَصْحَاحُ اَلثَّامِنُ

محاولة تدمير الكنيسة

وَحَدَثَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ . وَحَمَلَ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ اسْتِفَانُوسَ وَعَمِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً . وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ .

فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ .

(أع ٨ : ١(ب) — ٤)

لقد كان موت اسطفانوس هو الشرارة الأولى للاضطهاد الذى اضطر عدداً من المسيحيين إلى التشتت طلباً للأمن فى أماكن متطرفة من البلاد . وهنا نجد شيئين مهمين فى هذا الجزء القصير :

١ — ثبات الرسل . فالآخرون هربوا أما الرسل فتشجعوا بغض النظر عن الأخطار وقد نجحوا فى ذلك لسببين :

(ا) كانوا رجالاً شجعان صمموا أن يواجهوا الموقف .

(ب) كانوا رجالاً أتقياء . لقد كان فيهم شيء يدعو إلى الاحترام . وجه أحدهم إلى أفلاطون تهمة ، فرد قائلاً « سأحيا بطريقة تجعل كل الناس يعرفون

أنها أكذوبة » . لقد كانت حياة الرسل مؤثرة حتى أنه فى وسط الاضطهاد لم يكن أحد يجرؤ أن يلقى القبض عليهم .

٢ — أما شاول فكان يسطو على الكنيسة . وكلمة السطو فى اللغة الأصلية تفيد عملاً وحشياً ، كما ينقض وحش على فريسته . والتغير الذى حدث فى شخصية هذا الإنسان الذى كان يسطو على الكنيسة فى هذا الأصحاح إلى الإنسان الذى سلم حياته كلية لله تغيير جذرى ولا شك .

فى السامرة

فَانْحَدَرَ فِيلُبُّسُ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ وَكَانَ يَكْرِزُ لَهُمْ بِالْمَسِيحِ . وَكَانَ الْجُمُوعُ يُصْغُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى مَا يَقُولُهُ فِيلُبُّسُ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِمْ وَنَظَرِهِمُ الآيَاتِ الَّتِي صَنَعَهَا . لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ أَرْوَاحٌ نَجِسَةٌ كَانَتْ تَخْرُجُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ . وَكَثِيرُونَ مِنَ الْمَفْلُوجِينَ وَالْعُرْجِ شُفُوا . فَكَانَ فَرَحٌ عَظِيمٌ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ قَبْلاً فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهِشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ قَائِلاً إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ . وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ هٰذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ

وَكَانُوا يَتْبَعُونَهُ لِكَوْنِهِمْ قَدْ انْدَهَشُوا زَمَاناً طَوِيلاً بِسِحْرِهِ. وَلَكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدُوا رِجَالاً وَنِسَاءً. وَسِيمُونُ أَيْضاً نَفْسُهُ آمَنَ. وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلاَزِمُ فِيلُبُّسَ. وَإِذْ رَأَى آيَاتٍ وَقُوَّاتٍ عَظِيمَةً تُجْرَى انْدَهَشَ.

(أع ٨ : ٥ — ١٣)

عندما تشتت المسيحيون ذهب فيلبس أحد الشمامسة السبعة إلى السامرة حيث أخذ يعظ. وقصة التبشير فى السامرة قصة عجيبة حقاً لأن من المعروف أن اليهود لا يعاملون السامريين (يو ٤ : ٩) فالخلاف بين اليهود والسامريين يرجع إلى قرون طويلة. ففى القرن الثامن قبل الميلاد غزا الأشوريون المملكة الشمالية التى كانت عاصمتها السامرة. وكما كان يفعل الغزاة فى تلك الأيام فقد نقلوا معظم السكان إلى أشور وجاءوا بسكان آخرين للإقامة. وفى القرن السادس قبل الميلاد غزا البابليون المملكة الجنوبية وعاصمتها أورشليم وحملوا سكانها إلى بابل لكنهم أبوا بكل إصرار أن يفقدوا شخصيتهم وظلوا يهوداً. وفى القرن الخامس قبل الميلاد سمح لهم بالعودة وبناء مدينتهم تحت قيادة نحميا وعزرا ولقد تزاوج سكان فلسطين مع الغرباء الذين سكنوا معهم وهكذا فقدوا الجنسية اليهودية الأصيلة وكان هذا فى نظر اليهود جريمة لا تغتفر. ولما عاد اليهود لبناء مدينتهم عرض عليهم أهل السامرة مساعدتهم لكنهم رفضوهم باحتقار لأنهم ليسوا يهوداً. ومن ذلك التاريخ نشأ نوع من الكراهية المرة

بين اليهود والسامريين ولكن ذهاب فيلبس إلى هناك وكذلك ذهاب الرسل والتبشير برسالة المسيح دل على تطور كبير بل على أهم خطوة فى تاريخ الكنيسة . وبدون أن يقصدوا فقد كان تبشيرهم لغير اليهود يعنى أن المسيح جاء للعالم أجمع . ونحن نعرف القليل عن شخصية فيلبس لكنه كان أحد مخططى الكنيسة المسيحية .

ويجب أن نلاحظ ما أحدثته الكنيسة فى حياة هؤلاء الناس .

١ — لقد قدمت لهم قصة يسوع كما قدمت لهم بكل بساطة محبة الله متجسدة فى شخص يسوع المسيح .

٢ — كما أحدثت فى حياتهم نتيجة لذلك فرحاً لم يعرفوه من قبل . إنها مسيحية زائفة تلك التى تقدم للناس حزناً لأن المسيحية الحقيقية تشع فرحاً حيثما حلت .

أشياء لا تباع ولا تشترى

وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا . اللَّذَيْنِ لَمَّا نَزَلاَ صَلَّيَا لأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ . غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ حِينَئِذٍ وَضَعَا الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ . وَلَمَّا رَأَى

سِيمُونُ أَنَّهُ بِوَضْعِ أَيْدِي الرُّسُلِ يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدُسُ قَدَّمَ لَهُمَا دَرَاهِمَ. قَائِلاً أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضاً هٰذَا السُّلْطَانَ حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ. فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ مَوْهِبَةَ اللهِ بِدَرَاهِمَ. لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلاَ قُرْعَةٌ فِي هٰذَا الأَمْرِ. لِأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيماً أَمَامَ اللهِ. فَتُبْ مِنْ شَرِّكَ هٰذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ. لِأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ. فَأَجَابَ سِيمُونُ وَقَالَ اطْلُبَا أَنْتُمَا إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِي لِكَيْ لاَ يَأْتِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُمَا. ثُمَّ إِنَّهُمَا بَعْدَ مَا شَهِدَا وَتَكَلَّمَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَبَشَّرَا قُرًى كَثِيرَةً لِلسَّامِرِيِّينَ.

(أع ٨ : ١٤ — ٢٥)

لم يكن سيمون شخصية شاذة فى ذلك العصر. لكنه كان واحداً من كثيرين من السحرة والمشعوذين الذين كان لهم تأثيراً كبيراً على الناس. وكانوا يكتسبون مبالغ طائلة بهذه الطريقة.

ومن المدهش أنه حتى فى القرن العشرين لازال الناس يهتمون بالمستقبل ومعرفة الطالع كما نشاهد فى الصحف اليومية. ولم يكن سيمون وأتباعه

خادعين للناس بقدر ما نعتقد أن هذه الفئة انخدعت أولاً حتى اعتقدت بصحة ما تعمل ، ثم حاولت خداع الناس بطريقة غير مقصودة .

ولكى نفهم قصد سيمون يجب أن نتفهم الجو الذى عاشت فيه الكنيسة الأولى . ففى ذلك الوقت كان حلول الروح القدس على إنسان مرتبط بظاهرة محددة مرئية . وغالباً كانت العلامة هى التكلم بألسنة (أع ١٠: ٤٤—٤٦) .

فقد كان حلول الروح مصحوباً بنشوة تظهر فى شكل نطق أصوات غير مفهومة . وكان هذا غريباً لكنه كان مؤثراً جداً . وفى الممارسات اليهودية كان وضع الأيادى معروفاً وكان يرمز إلى انتقال صفات خاصة من شخص إلى آخر . ولا زلنا نمارس نفس العمل عند رسامة الرعاة . ويجب ألا نظن أن وضع الأيادى هو الوسيلة المادية لانتقال قوة الروح القدس من شخص لآخر .

إن شخصية واضع اليد عامل هام فى الموقف . فقد كان الناس يحترمون التلاميذ احتراماً كبيراً لدرجة أن وضع أيديهم على الناس كان فى حد ذاته كافياً لإعطائهم خبرة روحية . ولو سمح لى أن أذكر اختبارى الخاص فما زلت أذكر عندما كنت حدثاً صغيراً وذهبت لزيارة رجل عالم قديس . لقد كان كبيراً فى السن وكنت أنا صغيراً جداً ثم وضع يده على رأسى وباركنى . وقد مر على هذا الحادث عشرات السنين ولكنى لازلت أحس بالآثار كما لو كنت أعيش تلك اللحظة الآن .

وفى الكنيسة الأولى كان وضع الأيادى شبيه بذلك .

وقد دهش سيمون من النتائج المباشرة لوضع الأيادى وحاول أن يشترى هذه

للوهبة حتى يعمل ما يعمله الرسل . ومنذ ذلك التاريخ وكلمة (السيمونية) تستعمل للدلالة على الحصول على بيع وشراء الوظائف الكنسية بطريقة غير مشروعة .

ولقد أخطأ سيمون خطأين :

١ — لم يكن ملء الآخرين بالروح القدس هو موضوع اهتمامه لكنه كان مهتماً بالقوة والسلطان . والذات هى دائماً مصدر الخطر بالنسبة للواعظ أو المعلم . ولا شك أن الواعظ يجب أن يكون لامعاً فى نظر الناس حتى يتأثروا به لكننا لا نستطيع — كما قال دنى — أن نظهر أننا ماهرون وأن المسيح عجيب فى نفس الوقت .

٢ — نسى سيمون أنه توجد مواهب معينة تعتمد على الصفات وهذه لا يمكن شراؤها . ولهذا يجب أن يحذر الواعظ والمعلم .

فالوعظ هو الحق الذى نوصله خلال شخصياتنا . ولكى نجعل الناس يمتلئون بالروح القدس ، ليس من الضرورى أن نكون أغنياء بل يجب أن نختبر نحن الامتلاء من الروح القدس أولاً .

المسيح يتقابل مع حبشى

ثُمَّ إِنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ كَلَّمَ فِيلُبُّسَ قَائِلاً قُمْ وَاذْهَبْ نَحْوَ الْجَنُوبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى غَزَّةَ الَّتِي هِيَ

بَرِّيَّةٌ . فَقَامَ وَذَهَبَ . وَإِذَا رَجُلٌ حَبَشِيٌّ خَصِيٌّ وَزِيرٌ لِكَنْدَاكَةَ مَلِكَةِ الْحَبَشَةِ كَانَ عَلَى جَمِيعِ خَزَائِنِهَا . فَهٰذَا كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَسْجُدَ . وَكَانَ رَاجِعاً وَجَالِساً عَلَى مَرْكَبَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ النَّبِيَّ إِشَعْيَاءَ . فَقَالَ الرُّوحُ لِفِيلُبُّسَ تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هٰذِهِ الْمَرْكَبَةَ . فَبَادَرَ إِلَيْهِ فِيلُبُّسُ وَسَمِعَهُ يَقْرَأُ النَّبِيَّ إِشَعْيَاءَ فَقَالَ أَلَعَلَّكَ تَفْهَمُ مَا أَنْتَ تَقْرَأُ . فَقَالَ كَيْفَ يُمْكِنُنِي إِنْ لَمْ يُرْشِدْنِي أَحَدٌ . وَطَلَبَ إِلَى فِيلُبُّسَ أَنْ يَصْعَدَ وَيَجْلِسَ مَعَهُ . وَأَمَّا فَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُهُ فَكَانَ هٰذَا . مِثْلَ شَاةٍ سِيقَ إِلَى الذَّبْحِ وَمِثْلَ خَرُوفٍ صَامِتٍ أَمَامَ الَّذِي يَجُزُّهُ هٰكَذَا لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ . فِي تَوَاضُعِهِ انْتُزِعَ قَضَاؤُهُ وَجِيلُهُ مَنْ يُخْبِرُ بِهِ لِأَنَّ حَيَاتَهُ تُنْتَزَعُ مِنَ الْأَرْضِ . فَأَجَابَ الْخَصِيُّ فِيلُبُّسَ وَقَالَ أَطْلُبُ إِلَيْكَ . عَنْ مَنْ يَقُولُ النَّبِيُّ هٰذَا . عَنْ نَفْسِهِ أَمْ عَنْ وَاحِدٍ آخَرَ . فَفَتَحَ فِيلُبُّسُ فَاهُ وَابْتَدَأَ مِنْ هٰذَا الْكِتَابِ فَبَشَّرَهُ بِيَسُوعَ .

وَفِيمَا هُمَا سَائِرَانِ فِي الطَّرِيقِ أَقْبَلَا عَلَى مَاءٍ . فَقَالَ الْخَصِيُّ هُوَذَا مَاءٌ . مَاذَا يَمْنَعُ أَنْ أَعْتَمِدَ . فَقَالَ فِيلُبُّسُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ

كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ . فَأَجَابَ وَقَالَ أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ . فَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْمَرْكَبَةُ فَنَزَلاَ كِلاَهُمَا إِلَى الْمَاءِ فِيلُبُّسُ وَالْخَصِيُّ فَعَمَّدَهُ . وَلَمَّا صَعِدَا مِنَ الْمَاءِ خَطِفَ رُوحُ الرَّبِّ فِيلُبُّسَ فَلَمْ يُبْصِرْهُ الْخَصِيُّ أَيْضًا . وَذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ فَرِحًا . وَأَمَّا فِيلُبُّسُ فَوُجِدَ فِي أَشْدُودَ . وَبَيْنَمَا هُوَ مُجْتَازٌ كَانَ يُبَشِّرُ جَمِيعَ الْمُدُنِ حَتَّى جَاءَ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ .

(أع ٨ : ٢٦ — ٤٠)

كان هناك طريق من أورشليم إلى بيت لحم وحبرون . وهذا الطريق يلاق الطريق الرئيسى إلى مصر جنوب غزه . ولقد خربت غزه سنة ٩٣ ق . م ثم بنيت غزه جديدة جنوب الأولى سنة ٥٧ ق . م . لذلك سميت الأولى بغزه القديمة أو الصحراوية لتمييزها عن الثانية . ولقد كان هذا الطريق الذى يمر بغزه هو الطريق الرئيسى الذى تمر فيه نصف تجارة العالم . وفى هذا الطريق جاء الخصى الحبشى فى مركبته . وقد كان وزير مالية كنداكة . وكنداكة هو الإسم الذى يطلق على أى ملكة للحبشة (مثل شاه ايران) . ذهب هذا الخصى إلى أورشليم للعبادة .

وفى ذلك العصر كان كثيرون من الباحثين عن الحق يجيئون إلى أورشليم فتدهشهم الديانة اليهودية بعبادتها وأخلاقياتها فينضمون إليها بإحدى طريقتين : إما أن يختتنوا ويتهودوا أو أن يكتفوا بحضور الجامع والدراسة فقط . ولابد أن هذا الحبشى كان واحداً من أولئك الباحثين عن الحق . ولقد كان يقرأ الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء ومنه بدأ فيلبس يوضح له من هو يسوع .

وعندما آمن اعتمد . ولقد كان الدخول إلى اليهوديه عن طريق الختان والمعمودية . وفى العهد الجديد نلاحظ أن المعمودية كانت أساساً للكبار (ليس لأن الأطفال كانوا ممنوعين من المعمودية) بل لأن معظم الداخلين للمسيحية كانوا كباراً ولم تكن العائلات المسيحية قد تكونت بعد . وكانت للمعمودية لهؤلاء المسيحيين الأوائل بالتغطيس فى ماء جار . وكانت ترمز إلى ثلاثة أشياء :

١ — التطهير — فكما أن جسم الإنسان يتطهر بالماء كذلك تتطهر الروح بنعمة المسيح .

٢ — كانت علامة انتقال فى الحياة . كان أحد المرسلين يعمد الناس على ضفة النهر ويجعلهم يخرجون على الصفة المقابلة كما لو كان هناك خط فاصل فى الحياة بين القديم والجديد .

٣ — كانت المعمودية شركة حقيقية مع المسيح . فالإنسان الذى يغطس تماماً تحت سطح الماء يشبه إنساناً مات مع المسيح وعندما يخرج من الماء فذلك يشبه القيامة مع المسيح . فهو يخرج إنساناً جديداً لحياة جديدة (رو ٦ : ١ — ٤) .

ويقول التقليد إن هذا الخصى عاد إلى الحبشة وبشرها ونحن لا نشك أن هذا الإنسان الذى مضى فى طريقه فرحاً لم يستطع أن يكتم هذا الفرح فى نفسه .

الأَصْحَاحُ التَّاسِعُ

الخضوع

أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّداً وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ . فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ . وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاساً مِنَ الطَّرِيقِ رِجَالاً أَوْ نِسَاءً يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ . فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتاً قَائِلاً لَهُ شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي . فَقَالَ مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ . فَقَالَ الرَّبُّ أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ . صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ . فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ يَارَبُّ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ . فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ . وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَداً .

فَنَهَضَ شَاوُلُ عَنِ الْأَرْضِ وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لاَ يُبْصِرُ أَحَداً . فَاقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ . وَكَانَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ يُبْصِرُ فَلَمْ يَأْكُلْ ولَمْ يَشْرَبْ .

(أع ٩ : ١ — ٩)

في هذا الفصل نقرأ أشهر قصة تجديد فى التاريخ . وسنحاول أن ندخل قدر استطاعتنا فى تفكير بولس . وإذا استطعنا ذلك سنكتشف أن هـــذا التجديد لم يكن مفاجئاً لكنه كان خضوعاً فجائياً لقد بقيت فى مخيلة بولس صورة اسطفانوس ولم تفارقه أبداً . كيف يمكن أن يموت رجل خاطىء بهذه الطريقة ؟ . ولكى يزيح هذه الصورة من مخيلته اندفع بولس فى الهجوم على المسيحيين بأقصى صورة . وكثيراً ما يحاول الإنسان أن يسكت ضميره — بخصوص الأشياء التى يشك فيها — بالإندفاع فى الإتجاه المضاد حتى يقنع نفسه أنه على صواب . وكان أول أعماله إضطهاد المسيحيين فى أورشليم . ولكن هذا زاد حالته سوءاً لأنه كان يسأل نفسه باستمرار ما الذى يجعل هؤلاء الناس يتحملون كل هذه الآلام ويواجهون الموت دون خوف أو وجل . واستمر فى أعماله العنيفة وكأنه يسوق نفسه فى هـــذا التيار حتى جاء إلى السنهدريم . وعرف بولس أن بعض المسيحيين هربوا إلى دمشق . فطلب رسائل للتعريف بمهمته ليذهب إلى دمشق لتسليم هؤلاء الفارين . ولكن هذه الرحلة جعلت حالته أكثر سوءاً . فالطريق من أورشليم إلى دمشق حوالى ١٤٠ ميلاً والرحلة تأخذ أسبوعاً تقريباً . وكان يسير متقدماً مرافقيه من جنود السنهدريم . وخلال هذه المدة لم يكن له من شاغل إلا التفكير . وفى الطريق مر بالجليل الذى ذكره بكل شىء عن هذا الناصرى يسوع فازداد إضطرابه

ولما اقترب من دمشق كان لا بد أن يصعد على جبل حرمون ليجد مدينة دمشق البيضاء الجميلة فى وسط المروج الخضراء الزاهية وكان هواء الوادى الساخن يصعد ليلاقى هواء الجبل البارد فتتولد عواصف كهربائية . وفى هذه اللحظة أضاءت العاصفة بنور خاطف ومن العاصفة تكلم يسوع . وفى لحظة انتهت المعركة وخر بولس صريعاً خاضعاً ليسوع . وهكذا دخل إلى دمشق رجلاً جديداً . وأى تغيير !! هذا الرجل الذى كان ممتلئاً بالغضب والكراهية أراد أن يدخل دمشق منتقماً فإذا به يدخلها أعمى منقاداً كطفل عاجز لا حول له ولا طول .

وفى كلمات المسيح القائم لبولس كانت خلاصة المسيحية . « قم وأدخل إلى المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل » إلى هذه اللحظة كان بولس يفعل ما يشاء وما كان يظنه الأفضل وما كان يختار بارادته. ولكن من هذه اللحظة ينبغى أن يقال له ماذ يفعل . لن يذهب فى طريقه الخاص مرة أخرى لكنه سيسير فى طريق المسيح . فالمسيحى هو الشخص الذى لا يفعل ما يريد بل ما يريده المسيح .

ترحيب مسيحى

وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تِلْمِيذٌ اسْمُهُ حنَانِيَّا . فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ فِي رُؤْيَا يَا حنَانِيَّا . فَقَالَ هأَنَذَا يَارَبُّ. فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى الزُّقَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَقِيمُ وَاطْلُبْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا رَجُلاً طَرْسُوسِيًّا

اسْمُهُ شَاوُلُ . لأَنَّهُ هُوَذَا يُصَلِّي . وَقَدْ رَأَى فِي رُؤْيَا رَجُلاً اسْمُهُ حَنَانِيَّا دَاخِلاً وَوَاضِعاً يَدَهُ عَلَيْهِ لِكَيْ يُبْصِرَ . فَأَجَابَ حَنَانِيَّا يَارَبُّ قَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ عَنْ هٰذَا الرَّجُلِ كَمْ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ . وَهٰهُنَا لَهُ سُلْطَانٌ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُوثِقَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِكَ . فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ اذْهَبْ . لأَنَّ هٰذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ . لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي . فَمَضَى حَنَانِيَّا وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَوَضَعَ عَلَيْهِ يَدَيْهِ وَقَالَ أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ قَدْ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ يَسُوعُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ لِكَيْ تُبْصِرَ وَتَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ . فَلِلْوَقْتِ وَقَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ قُشُورٌ فَأَبْصَرَ فِي الْحَالِ وَقَامَ وَاعْتَمَدَ .

(أع ٩ : ١٠ — ١٨)

لا شك أن حنانيا هو أحد أبطال الكنيسة المجهولون . فإذا كانت الكنيسة مدينة لإسطفانوس الذى صلى فأثر فى بولس فإنها أيضاً مدينة لمحبة حنانيا وإخوته الصادقة التى عملت بولس .

لقد كانت شهرة بولس واسعة عندما جاءت رسالة الله إلى حنانيا لكى يذهب ويساعد بولس فى أحد البيوت فى زقاق يقال له المستقيم فى مدينة دمشق .

ولا شك أن حنانيا لم يستطع أن يعقل مثل هـــذه الرسالة فالله يقول لحنانيا « إذهب وساعد الإنسان الذى جاء إلى هنا ليلقى بك فى السجن والذى كان يتمنى أن يقتلك » وكنا نتوقع أن يقترب حنانيا من بولس فى شك وعدم إرتياح وكأنه شخص يقوم بعمل غير محبب إلى نفسه أو أن يبدأ الحديث بتقريع بولس ولومه على أفعاله ولكن حنانيا بدأ كلامه بالقول « أيها الأخ شاول » ما أعظم هذا الترحيب ! إنه مثال المحبة المسيحية المتسامية والتسامح المسيحى هذا ما يفعله المسيح بعد حملة تبشيرية قام بها ريان جرين فى أمريكا طلب من الحاضرين أن يشهدوا فى كلمات قليلة عن مافعلته هذه الحملة فى حياتهم. فوقفت فتاة زنجية لم تكن تحسن التعبير ولكنها بالكاد وضعت جملتين معاً قالت « فى هذه الحملة اختبرت المسيح وقد جعلنى قادرة أن أغفر للرجل الذى قتل أبى » نعم إنه جعلنى قادراً أن أغفر . . . هذا هو جوهر المسيحية ففى المسيح صار بولس وحنانيا أخوة بعد أن كانوا أعداء الداء .

الشهادة للمسيح

وَتَنَاوَلَ طَعَامًا فَتَقَوَّى . وَكَانَ شَاوُلُ مَعَ التَّلاَمِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ أَيَّامًا . وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ أَنْ هٰذَا هُوَ ابْنُ اللهِ . فَبُهِتَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا أَلَيْسَ هٰذَا هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهٰذَا الاِسْمِ . وَقَدْ جَاءَ إِلَى هُنَا لِهٰذَا لِيَسُوقَهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ . وَأَمَّا

شَاوُلُ فَكَانَ يَزْدَادُ قُوَّةً وَيُحَيِّرُ الْيَهُودَ السَّاكِنِينَ فِي دِمَشْقَ مُحَقِّقاً أَنَّ هٰذَا هُوَ الْمَسِيحُ .

(اع ٩ : ١٩ — ٢٢)

هذه رواية لوقا عن بولس بعد تجديده . لكن إن أردنا أن نرتب الحوادث ترتيباً زمنياً فلا بد أن نقرأ رواية بولس عن نفسه كما جاءت فى غلاطية ١ : ١٥ — ٢٤ وعندما نضع الروايتين معاً نجد حوادث القصة تسير كما يأتى :

١ — تجدد بولس فى الطريق إلى دمشق .

٢ — بولس يعظ فى دمشق .

٣ — ثم يذهب إلى العربية (غل ١ : ١٧) .

٤ — ثم يعود ويعظ فى دمشق ثلاث سنوات (غل ١ : ١٨) .

٥ — ثم يصعد إلى أورشليم .

٦ — ثم يهرب من أورشليم إلى قيصرية .

٧ — ثم يعود إلى أقاليم سوريا وكليكية . (غل ١ : ٢١)

وهكذا نرى أن بولس بدأ بأمرين :

(١) بدأ الشهادة فى مجامع دمشق — فقد كان فى دمشق يهود كثيرون . وغالباً كان هناك أكثر من مجمع فى دمشق . فقد كانت المجامع منتشرة فى ذلك الوقت إنتشار الكنائس فى أيامنا . وفى هذه المجامع بدأ بولس شهادته

للمسيح . وقد كان هذا دليلاً على الشجاعة الأدبية العظيمة . لقد أتى بولس برسائل من السنهدريم لإلقاء القبض على أعضاء هذه المجامع . لقد كان من السهل عليه أن يبدأ شهادته فى مكان لم تصل إليه شهرته وسيرته لكن ماضيه لم يقف حائلاً دون شهادته . لقد كان بولس يقول « لقد تغيرت وأنا مصمم أن يعرف عنى ذلك كل الذين عرفونى قبلاً » إن لسان حاله يقول « إنى لا أخجل من صليب المسيح » .

(ب) والعمل الثانى لم يذكره لوقا لكن ذكره بولس نفسه . فقد ذهب إلى العربية . لقد حدث هذا التغيير فى حياة بولس فأحس أنه فى حاجة إلى قضاء بعض الوقت مع الله . لكن كان فى حاجة أن يفكر فى مستقبل حياته ، لذلك رأى بولس أن يسأل الله أولاً . لقد كان يحتاج إلى شيئين رئيسيين :

قيادة له فى حياة جديدة غريبة عليه وقوة لعمل كبير أعطى له . لقد أعطاه الله الرؤية ، لذلك ذهب إلى الله ليأخذ القوة ليحقق هذه الرؤية .

هرب بجلده

وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ تَشَاوَرَ الْيَهُودُ لِيَقْتُلُوهُ . فَعَلِمَ شَاوُلُ بِمَكِيدَتِهِمْ . وَكَانُوا يُرَاقِبُونَ الأَبْوَابَ أَيْضاً نَهَاراً وَلَيْلاً لِيَقْتُلُوهُ . فَأَخَذَهُ التَّلاَمِيذُ لَيْلاً وَأَنْزَلُوهُ مِنَ السُّورِ مُدَلِّينَ إِيَّاهُ فِي سَلٍّ .

(أع ٩ : ٢٣ — ٢٥)

هنا نجد مثلاً حياً يوضح لنا كيف أن عبارة واحدة فى الكتاب تعنى أشياء كثيرة . فلوقا يسجل أنه « ولما تمت أيام كثيرة » فى دمشق حدثت هذه المكيدة . ولكن هـــذه العبارة تشير إلى فترة لاتقل عن ثلاث سنين (غل ١ : ١٨) قضاها بولس فى دمشق يعمل ويعظ . ولقد صمم اليهود على قتله حتى أنهم وضعوا حراساً على الأبواب حتى لا يهرب منهم . لكن المدن القديمة كانت محاطة بأسوار سميكة وكان سمك هذه الجدران أحياناً كبيراً لدرجة أن عربة صغيرة يمكن أن تسير عليه . وكانت نوافذ بعض المنازل تطل على هذا السور . وفى هدأة الليل أخذ بولس إلى أحد هذه المنازل وأنزل من على السور فى سلة . وهكذا هرب بولس من دمشق ليعود إلى أورشليم . وبهذا الحادث بدأت مغامرات بولس لأجل المسيح . ولو أنه يعتبر حادث بسيط بل بداءة للمتاعب ، لكنه هرب بجلده واضعاً رأسه على كفه .

والحادث كله يدل على شيئين فى حياة بولس .

١ — إنه شهادة على شجاعة بولس . كان بولس ولاشك على علم بما يجرى حوله فى المجامع وكان يتوقع مصيراً لا يختلف كثيراً عن مصير اسطفانوس بل كان يعرف تماماً ما كان ينوى هو شخصياً أن يعمله مع المسيحيين وكان يتوقع نفس المصير . وواضح أن المسيحية بالنسبة له لم تكن شيئاً سهلاً بل سلسلة من المتاعب لكننا نجد بولس يعبر عن إحساسه — وسط هذه المتاعب — بفرح لأنه يستطيع عن طريقها أن يوضح مدى ولائه للسيد الذى أحبه واستعداده للموت لأجله .

٢ — كانت شهادة لمدى فاعلية وعظ بولس . لقد كانت شهادته واضحة

ومفحمة حتى أن اليهود لما لم يجدوا سبيلاً للرد عليه فكروا فى إستخدام القوة لإسكاته . إن الإنسان لا يلجأ لقتل شخص خامل لا صفة له ولا تأثير . قال برناردشو مرة إن أعظم تقدير لكاتب أن تحرق كتبه . وقال آخر إن الذئب لا يهاجم صورة لشاة . فالمسيحية الزائفة فى أمان دائم بعكس المسيحية الحقيقية التى تتعرض لصنوف الألم والضيق . والمعاناة من الاضطهاد هى أكبر وسام لنا لأنها تدل على أن الناس ينظرون إلينا كأناس لهم وزنهم .

الرفض فى أورشليم

وَلَمَّا جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلاَمِيذِ . وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ . فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ . فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ . وَكَانَ يُخَاطِبُ وَيُبَاحِثُ الْيُونَانِيِّينَ فَحَاوَلُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ . فَلَمَّا عَلِمَ الإِخْوَةُ أَحْدَرُوهُ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ وَأَرْسَلُوهُ إِلَى طَرْسُوسَ .

وَأَمَّا الْكَنَائِسُ فِي جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْجَلِيلِ وَالسَّامِرَةِ فَكَانَ

لهَا سَلَامٌ وَ كَانَتْ تُبْنَى وَتَسِيرُ فِي خَوْفِ ٱلرَّبِّ وَبِتَعْزِيَةِ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ كَانَتْ تَتَكَاثَرُ .

(أع ٩ : ٢٦ — ٣١)

عند ما وصل بولس إلى أورشليم وجد نفسه محاطاً بعدم الثقة والشك . وهل كنا نتوقع غير ذلك ؟ فني هذه المدينة كان يتلف الكنيسة وكان يسوق الرجال والنساء موثقين إلى السجن .

وقد رأينا كيف أن بعض الشخصيات استطاعت التأثير فى بولس بينما هو فى ذروة هجومه على الكنيسة . وإن كانت الكنيسة مدينة لصلاة اسطفانوس التى ربحت بولس ولأخوة حنانيا التى قوت بولس ، فإنها مدينة أيضاً لقلب برنابا المتسع فى تثبيته ففى حين وقف الجميع من حوله ينظرون إليه شذراً فى شك ويظنون به الظنون أخذ برنابا بيده ووقف مسنداً له . وبهذا أظهر برنابا أنه مسيحى حقيقى .

١ — فقد كان الرجل الذى يرى أفضل ما فى الآخرين . فبينما نظر الباقون إلى بولس على اعتبار أنه جاسوس أو عميل مدسوس عليهم وثق بـه برنابا كمؤمن حقيقى أمين . والعالم ينقسم إلى قسمين فهناك أناس يرون أفضل ما فى الإنسان وهناك أناس لا يفكرون إلا فى الأسوأ ومن الأمور الطبيعية أن نرى فى الآخرين انعكاساً لما يدور فى نفوسنا ، ونعمل منهم الناس الذين نظنهم . فإن كنا نصر على معاملة إنسان بنوع من الشك فسينتهى به الأمر أن يتصرف على نحو يدعو إلى الشك . وإن وثقنا فى إنسان فسيحاول أن يثبت أنه جدير

بهذه الثقة . وكما قال بولس « المحبة لا تظن السوء » وما من شخص كان يثق في الناس كيسوع لذلك يكفى التلميذ فخراً أن يكون كسيده .

٢ — كان ذلك النوع من الناس الذى لا يجعل الماضى يؤثر عليه وعلى تفكيره . كم من مرة ندين إنساناً ونقف ضده لأنه أخطأ مرة . ومن أعظم صفات الله أنه لا يجعل خطايانا الماضية أمام عيوننا . ونحن أيضاً يجب ألا ندين أحداً لأنه أخطأ مرة أو فشل .

وفى هذا الفصل نرى بولس يعمل عملاً عجيباً . فقد بدأ يناقش اليونانيين . لقد كان اسطفانوس يونانياً ومن المرجح جداً أن بولس توجـــه إلى مجامع اليونانيين التى كان يعارض فيها اسطفانوس من قبل ليشهد بالحقيقة أن حياته تغيرت . لقد كان بولس رجلاً يواجه ماضيه ولا ينكره وهذا أصعب شيء فى الحياة .

وهنا أيضاً نرى حياة بولس فى خطر . لقد أصبحت حياة بولس سلسلة من الأخطار . ولقد هرب بولس إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس . نعم إنه يسير فى طريق مرسوم ليعود إلى وطنه ليشهد للمسيح يسوع الذى غير حياته .

إعمال بطرس

وَحَدَثَ أَنَّ بُطْرُسَ وَهُوَ يَجْتَازُ بِالْجَمِيعِ نَزَلَ أَيْضاً إِلَى الْقِدِّيسِينَ السَّاكِنِينَ فِي لُدَّةَ . فَوَجَدَ هُنَاكَ إِنْسَاناً اسْمُهُ إِينِيَاسُ مُضْطَجِعاً عَلَى سَرِيرٍ مُنْذُ ثَمَانِي سِنِينَ وَكَانَ مَفْلُوجاً . فَقَالَ لَهُ

بُطْرُسُ يَا إِينِيَاسُ يَشْفِيكَ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ . قُمْ وَٱفْرُشْ لِنَفْسِكَ . فَقَامَ لِلْوَقْتِ . وَرَآهُ جَمِيعُ ٱلسَّاكِنِينَ فِي لُدَّةَ وَسَارُونَ ٱلَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى ٱلرَّبِّ .

وَكَانَ فِي يَافَا تِلْمِيذَةٌ ٱسْمُهَا طَابِيثَا الَّذِي تَرْجَمَتُهُ غَزَالَةٌ . هٰذِهِ كَانَتْ مُمْتَلِئَةً أَعْمَالاً صَالِحَةً وَإِحْسَانَاتٍ كَانَتْ تَعْمَلُهَا . وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَنَّهَا مَرِضَتْ وَمَاتَتْ . فَغَسَّلُوهَا وَوَضَعُوهَا فِي عِلِّيَّةٍ . وَإِذْ كَانَتْ لُدَّةُ قَرِيبَةً مِنْ يَافَا وَسَمِعَ التَّلَامِيذُ أَنَّ بُطْرُسَ فِيهَا أَرْسَلُوا رَجُلَيْنِ يَطْلُبَانِ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَتَوَانَى عَنْ أَنْ يَجْتَازَ إِلَيْهِمْ . فَقَامَ بُطْرُسُ وَجَاءَ مَعَهُمَا . فَلَمَّا وَصَلَ صَعِدُوا بِهِ إِلَى الْعِلِّيَّةِ فَوَقَفَتْ لَدَيْهِ جَمِيعُ الأَرَامِلِ يَبْكِينَ وَيُرِينَ أَقْمِصَةً وَثِيَابًا مِمَّا كَانَتْ تَعْمَلُ غَزَالَةُ وَهِيَ مَعَهُنَّ . فَأَخْرَجَ بُطْرُسُ الْجَمِيعَ خَارِجًا وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْجَسَدِ وَقَالَ يَا طَابِيثَا قُومِي . فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا . وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ جَلَسَتْ . فَنَاوَلَهَا يَدَهُ وَأَقَامَهَا . ثُمَّ نَادَى الْقِدِّيسِينَ وَالأَرَامِلَ وَأَحْضَرَهَا

حَيَّةً. فَصَارَ ذَلِكَ مَعْلُومًا فِي يَافَا كُلِّهَا فَآمَنَ كَثِيرُونَ بِالرَّبِّ. وَمَكَثَ أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي يَافَا عِنْدَ سِمْعَانَ رَجُلٍ دَبَّاغٍ.

(اع ٩ : ٣٢ — ٤٣)

ظهر بولس على مسرح الأحداث لفترة، لكن هنا يظهر بطرس ثانية. وهذا الفصل فى الواقع هو تتمة ٨ : ٢٥ وهو يصور لنا بطرس يعمل. لكنه يبين لنا بصورة جلية كيف كان يعمل وما هو مصدر قوة بطرس عندما شفى بطرس اينياس لم يقل « أنا أشفيك » بل قال « يشفيك يسوع المسيح ».

وقبل أن يتحدث إلى طابيثا (كلمة عبرية معناها غزالة) صلى بطرس. إذن فلم يكن بطرس يعمل هذه الأعمال بقوته بل بقوة يسوع المسيح سيده ولم يدع بطرس أبداً أنه كان يعمل بقوته لكنه كان مجرد موصل لقوة الله. إننا نفكر كثيراً فيما نستطيع أن نعمله ولكننا قلما نفكر فيما يستطيع المسيح عمله بواسطتنا.

وتوجد كلمة مهمة فى هذا الفصل هى كلمة قديسين وقد ذكرت مرتين (٣٢، ٤١) وهى نفس الكلمة التى استخدمها حنانيا فى أول الأصحاح ليصف المسيحيين فى أورشليم (١٣) وهى نفس الكلمة التى يستخدمها بولس دائماً ليصف أعضاء الكنيسة لأنه يكتب دائماً إلى القديسين الذين فى .... والكلمة اليونانية هى (Hagios) وهى كلمة لها مرادفات كثيرة مرتبطة بها.

فهى تترجم أحياناً مقدس (Holy) لكن الأصل فى الكلمتين مختلف فالمقدس هو الشىء المختلف عن الأشياء العادية وبالتالى فالقديس هو الشخص المتميز عن أهل

العالم العاديين . ولكن ما سبب هذا الاختلاف ؟ لقد كانت الكلمة الأولى (Hagios) تستخدم لوصف شعب الله قديماً .

فقد كانوا مقدسين أى مختلفين عن باقى الشعوب . وسبب اختلافهم أن الله اختارهم من كل الشعوب ليكونوا له شعباً خاصاً وليتمموا رسالته . ولكن اسرائيل فشلت فى تحقيق هذه الأهداف . فقد كان شعباً معانداً لله وثار عليه وبذلك فقد هذا الامتياز وصارت الكنيسة هى اسرائيل العهد الجديد. وصارت الكنيسة هى المتميزة عن الناس . وصار المسيحيون أشخاصاً مختلفين لأن الله اختارهم حسب إرادته لتحقيق أهدافه السامية . لذلك فنحن لا نتميز عن الناس لأن الله اختارنا لمجد أومركز أرضى عظيم لكننا نتميز ونختلف لأن الله اختارنا لخدمة أعظم . فلقد خلصنا لنخدم الله .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلْعَاشِرُ

جندى تقى

وَكَانَ فِي قَيْصَرِيَّةَ رَجُلٌ ٱسْمُهُ كَرْنِيلِيُوسُ قَائِدُ مِئَةٍ مِنَ ٱلْكَتِيبَةِ ٱلَّتِي تُدْعَى ٱلْإِيطَالِيَّةَ . وَهُوَ تَقِيٌّ وَخَائِفُ ٱللهِ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ يَصْنَعُ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً لِلشَّعْبِ وَيُصَلِّي إِلَى ٱللهِ فِي كُلِّ حِينٍ . فَرَأَى ظَاهِرًا فِي رُؤْيَا نَحْوَ ٱلسَّاعَةِ ٱلتَّاسِعَةِ مِنَ ٱلنَّهَارِ مَلَاكًا مِنَ ٱللهِ دَاخِلًا إِلَيْهِ وَقَائِلًا لَهُ يَا كَرْنِيلِيُوسُ . فَلَمَّا شَخَصَ إِلَيْهِ وَدَخَلَهُ ٱلْخَوْفُ قَالَ مَاذَا يَا سَيِّدُ . فَقَالَ لَهُ . صَلَوَاتُكَ وَصَدَقَاتُكَ صَعِدَتْ تَذْكَارًا أَمَامَ ٱللهِ . وَٱلْآنَ أَرْسِلْ إِلَى يَافَا رِجَالًا وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ ٱلْمُلَقَّبَ بُطْرُسَ . إِنَّهُ نَازِلٌ عِنْدَ سِمْعَانَ رَجُلٍ دَبَّاغٍ بَيْتُهُ عِنْدَ ٱلْبَحْرِ هُوَ يَقُولُ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ . فَلَمَّا ٱنْطَلَقَ ٱلْمَلَاكُ ٱلَّذِي كَانَ يُكَلِّمُ كَرْنِيلِيُوسَ نَادَى ٱثْنَيْنِ مِنْ خُدَّامِهِ وَعَسْكَرِيًّا تَقِيًّا مِنَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُلَازِمُونَهُ . وَأَخْبَرَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى يَافَا .

(اع ١٠ : ١ — ٨)

إن هذا الأصحاح العاشر يسجل قصة تعتبر مرحلة تغيير فى تاريخ الكنيسة . فهذه أول مرة يدخل فيها أممى إلى الكنيسة . وحيث أن كرنيليوس شخصية هامة فى تاريخ الكنيسة بهذه الدرجة دعونا نلقى ضوءاً على شخصيته :

١ — لقد كان كرنيليوس قائد مائة مركزه قيصرية مركز رياسة حكومة فلسطين وكانت الفرقة مكونة من ٦٠٠٠ جندى وهذه مقسمة إلى كتائب ، كل كتيبة ٦٠٠ جندى وكل كتيبة مقسمة إلى فصائل كل منها ١٠٠ جندى . ويكون قائد المائة ملازم أول . هـذه الفصائل كانت بمثابة العمود الفقرى للجيش الرومانى وكان قائد المئة يتصف بصفات معينة وصفها مؤرخ بالقول « قائد المئة يجب ألا يكون مقداماً أكثر مما يجب بل يجب أن يكون قائداً محنكاً متزناً لا يبدأ العراك لكنه قادر على الدفاع والثبات إذا هوجم » . هذه هى صفات كرينليوس قائد المئة الذى كان يعرف معنى الشجاعة والولاء

٢ — كان كرنيليوس يخاف الله . وهذا اللفظ استخدم فى العهد الجديد لوصف الأمميين الذين تركوا عبادة الآلهة المتعددة وارتبطوا بالديانة اليهودية . فهم لم يختتنوا ولم يخضعوا للناموس لكنهم كانوا يواظبون على حضور المجمع وكانوا يؤمنون بالله الواحد وبأخلاقيات الديانة اليهودية . إذا فكرنيليوس كان باحثاً عن الله لذلك وجده الله .

٣ — كان يصنع حسنات كثيرة فهو ذلك النوع الطيب من الناس وبحثه عن الله جعل منه إنساناً محباً للناس ومن يحب الآخرين ليس بعيداً عن ملكوت الله .

٤ — كان رجل صلاة . ربما لم يكتشف الله بوضوح بعد ولكنه بحسب النور الذى وصل إليه كان يعيش بالقرب من الله .

بطرس يتعلم درساً

ثُمَّ فِي الْغَدِ فِيمَا هُمْ يُسَافِرُونَ وَيَقْتَرِبُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَعِدَ بُطْرُسُ عَلَى السَّطْحِ لِيُصَلِّيَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ . فَجَاعَ كَثِيرًا وَاشْتَهَى أَنْ يَأْكُلَ . وَبَيْنَمَا هُمْ يُهَيِّئُونَ لَهُ وَقَعَتْ عَلَيْهِ غَيْبَةٌ . فَرَأَى السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً وَإِنَاءً نَازِلاً عَلَيْهِ مِثْلَ مُلاءَةٍ عَظِيمَةٍ مَرْبُوطَةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ وَمُدَلاَةٍ عَلَى الأَرْضِ . وَكَانَ فِيهَا كُلُّ دَوَابِّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشِ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ . وَصَارَ إِلَيْهِ صَوْتٌ قُمْ يَا بُطْرُسُ اذْبَحْ وَكُلْ . فَقَالَ بُطْرُسُ كَلاَّ يَارَبُّ لأَنِّي لَمْ آكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنِسًا أَوْ نَجِسًا . فَصَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا صَوْتٌ ثَانِيَةً مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُدَنِّسْهُ أَنْتَ . وَكَانَ هٰذَا عَلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ ثُمَّ ارْتَفَعَ الإِنَاءُ أَيْضًا إِلَى السَّمَاءِ .

(اع ١٠: ٩ — ١٦)

وقبل أن يقبل كرنيليوس فى الكنيسة كان لابد أن يتعلم بطرس درسا لقد كان اليهودى المتزمت يعتقد أن الله لا شأن له بالأمم وأن معاملات الله

مع اليهود فقط . ولقد ذهبوا فى ذلك شأواً بعيداً حتى قالوا إنه لا يجب على أى يهودى أن يساعد إمرأة أممية وهى تضع طفلها لأن هذا يعنى أن طفلاً أممياً جديداً سيوجد فى الحياة . وكان يجب أن تمحى هذه التعاليم من ذهن بطرس قبل أن يقبل كرنيليوس فى الكنيسة . وكان هناك أمل فى محو هذه التعاليم المتزمتة من فكر بطرس إذ أنه كان نازلاً عند سمعان رجل دباغ (٩ : ٤٣ ، ١٠ : ٥) وكانت وظيفة الدباغة نجسة لأن عمله كان بين الحيوانات الميتة لذلك كان دائماً يعتبر نجساً (عد ١٩ : ١١ — ١٣) لذلك لم يكن اليهودى المتزمت يقبل أن يقيم فى بيت دباغ .

ولعل فكرة النجاسة هى التى جعلت سمعان يسكن بالقرب من شاطىء البحر خارج المدينة . لكن بطرس كان ضيفاً على مثل هذا الرجل . ولا بد أن هذا الرجل كان مسيحياً وقد أصبح بطرس يشعر أن المسيحية تمحو هذه المحرمات . وفى الظهيرة صعد بطرس إلى السطح ليصلى . وكان الناس يصعدون للسطح عادة للخلوة . فرأى ملاءة كبيرة أمامه وعليها حيوانات مختلفة وجاءه الصوت « إذبح وكل » لقد كان لليهود قوانين صارمة للأطعمة مذكورة فى (لاويين ١١) وعلى العموم لم يكن مسموحاً لليهودى أن يأكل إلا الحيوانات مشقوقة الظلف والتى تجتر ولقد صعق بطرس لهذا الأمر واحتج عليه بأنه لم يأكل نجساً ولكن الصوت ناداه « ما طهره الله لا تدنسه أنت » وحدث هذا ثلاث مرات حتى أنه لم يكن هناك أى احتمال للخطأ .

ربما وصف بطرس أحد الأمميين بالنجاسة لكن الله يعده لملاقاة الضيوف

القادمين . لذلك كان يجب أن ينسى فى لحظة كل شيء عن تقاليده التى عاشها كل حياته .

مقابلة بطرس لكرنيليوس

وَإِذْ كَانَ بُطْرُسُ يَرْتَابُ فِي نَفْسِهِ مَاذَا عَسَى أَنْ تَكُونَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا إِذَا الرِّجَالُ الَّذِينَ أُرْسِلُوا مِنْ قِبَلِ كَرْنِيلِيُوسَ . وَكَانُوا قَدْ سَأَلُوا عَنْ بَيْتِ سِمْعَانَ وَقَدْ وَقَفُوا عَلَى الْبَابِ . وَنَادَوْا يَسْتَخْبِرُونَ هَلْ سِمْعَانُ الْمُلَقَّبُ بُطْرُسَ نَازِلٌ هُنَاكَ . وَبَيْنَمَا بُطْرُسُ مُتَفَكِّرٌ فِي الرُّؤْيَا قَالَ لَهُ الرُّوحُ هُوَذَا ثَلاَثَةُ رِجَالٍ يَطْلُبُونَكَ . لَكِنْ قُمْ وَانْزِلْ وَاذْهَبْ مَعَهُمْ غَيْرَ مُرْتَابٍ فِي شَيْءٍ لأَنِّي أَنَا قَدْ أَرْسَلْتُهُمْ . فَنَزَلَ بُطْرُسُ إِلَى الرِّجَالِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِ كَرْنِيلِيوسَ وَقَالَ هَا أَنَا الَّذِي تَطْلُبُونَهُ . مَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي حَضَرْتُمْ لأَجْلِهِ . فَقَالُوا إِنَّ كَرْنِيلِيوسَ قَائِدَ مِئَةٍ رَجُلاً بَارًّا وَخَائِفَ اللهِ وَمَشْهُوداً لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةِ الْيَهُودِ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِمَلاَكٍ مُقَدَّسٍ أَنْ يَسْتَدْعِيَكَ إِلَى بَيْتِهِ وَيَسْمَعَ مِنْكَ كَلاَماً . فَدَعَاهُمْ إِلَى دَاخِلٍ وَأَضَافَهُمْ . ثُمَّ فِي الْغَدِ خَرَجَ بُطْرُسُ مَعَهُمْ وَأُنَاسٌ مِنَ الإِخْوَةِ الَّذِينَ مِنْ يَافَا رَافَقُوهُ .

وَفِي الْغَدِ دَخَلُوا قَيْصَرِيَّةَ . وَأَمَّا كَرْنِيلِيوسُ فَكَانَ يَنْتَظِرُهُمْ وَقَدْ دَعَا أَنْسِبَاءَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ الأَقْرَبِينَ . وَلَمَّا دَخَلَ بُطْرُسُ اسْتَقْبَلَهُ كَرْنِيلِيوسُ وَسَجَدَ وَاقِعاً عَلَى قَدَمَيْهِ . فَأَقَامَهُ بُطْرُسُ قَائِلاً قُمْ أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ . ثُمَّ دَخَلَ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُ وَوَجَدَ كَثِيرِينَ مُجْتَمِعِينَ . فَقَالَ لَهُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى رَجُلٍ يَهُودِيٍّ أَنْ يَلْتَصِقَ بِأَحَدٍ أَجْنَبِيٍّ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ . وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللهُ أَنْ لاَ أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ فَلِذٰلِكَ جِئْتُ مِنْ دُونِ مُنَاقَضَةٍ إِذِ اسْتَدْعَيْتُمُونِي . فَأَسْتَخْبِرُ كُمْ لأَيِّ سَبَبٍ اسْتَدْعَيْتُمُونِي. فَقَالَ كَرْنِيلِيُوسُ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ إِلَى هٰذِهِ السَّاعَةِ كُنْتُ صَائِماً . وَفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ كُنْتُ أُصَلِّي فِي بَيْتِي وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ وَقَفَ أَمَامِي بِلِبَاسٍ لاَمِعٍ . وَقَالَ يَا كَرْنِيلِيُوسُ سُمِعَتْ صَلاَتُكَ وَذُكِرَتْ صَدَقَاتُكَ أَمَامَ اللهِ . فَأَرْسِلْ إِلَى يَافَا وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ الْمُلَقَّبَ بُطْرُسَ . إِنَّهُ نَازِلٌ فِي بَيْتِ سِمْعَانَ رَجُلٍ دَبَّاغٍ عِنْدَ الْبَحْرِ . فَهُوَ مَتَى جَاءَ يُكَلِّمُكَ .

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ حَالاً . وَأَنتَ فَعَلْتَ حَسَناً إِذْ جِئْتَ . وَالآنَ نَحْنُ جَمِيعاً حَاضِرُونَ أَمَامَ اللهِ لِنَسْمَعَ جَمِيعَ مَا أَمَرَكَ بِهِ اللهُ .

(اع ١٠ : ١٧ — ٣٣)

فى هذا الفصل نجد أحداثاً غريبة . ولكى نتفهم الموقف يجب ألا يغيب عن أذهاننا نظرة اليهود لغيرهم من الأمم . ففى رأيهم أن الله يهتم بهم فقط وأن باقى الأمم لا يتمتعون برحمة الله والامتيازات المختلفة التى يعطيها للناس . واليهودى المدقق لا يختلط مطلقاً بأى أممى ولا حتى باليهودى الذى لا يحفظ الناموس . كما لا يقبل أن ينزل ضيفاً أو يستضيف أناساً لا يحفظون الناموس . بهذه الخلفية فى أذهاننا دعونا نرى ما فعله بطرس فقد وقف الرجال الذين أرسلهم كرنيليوس بالباب وإذا ببطرس يدخلهم ويستضيفهم (عدد ٢٣) وعندما وصل بطرس إلى قيصرية قابله كرنيليوس وهو يشك إن كان بطرس سيدخل بيته . لكن بطرس دخل (عدد ٢٧) وهكذا تحطمت الحواجز بطريقة تدعو إلى الدهشة . ولا شك أن هذا نتيجة لعمل المسيح . وصف مرسل شعوره وهو جالس إلى مائدة العشاء الربانى وحوله شيوخ من قبائل أفريقية متنافرة عاشت سنوات طويلة فى حرب وقتال لكن محبة المسيح وحدتهم ، فنسوا أحقادهم وصاروا واحداً فى المسيح .

وفى أيام الكنيسة الأولى كانت من أهم علامات المسيحية أنها كانت تحطم الحواجز ولا شك أن المسيحية ما زالت تحطم كل الحواجز بين البشر إن أعطيت الفرصة لذلك .

فَفَتَحَ بُطْرُسُ فَاهُ وَقَالَ . بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ . بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ . هٰذَا هُوَ رَبُّ الْكُلِّ . أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ بَعْدَ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّتِي كَرَزَ بِهَا يُوحَنَّا . يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ لِأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ . وَنَحْنُ شُهُودٌ بِكُلِّ مَا فَعَلَ فِي كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي أُورُشَلِيمَ . الَّذِي أَيْضًا قَتَلُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ . هٰذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِراً . لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الْأَمْوَاتِ . وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هٰذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ

اللهِ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ . لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا .

(اع ١٠ : ٣٤ — ٤٣)

من الواضح أن الكلام المذكور فى هذا الجزء هو خلاصة ما قاله بطرس لكرينليوس . ولا شك أن هذه الخلاصة هى جوهر أى عظة كانت تقدم فى السنين الأولى .

١ — فالمسيح مرسل من الله ممسوح بالروح القدس والقوة . فيسوع إذن هو هبة الله للناس . إننا نخطىء كثيراً عندما نفكر فى الله المنتقم الجبار بالمقارنة بيسوع اللطيف . لكن الوعاظ الأوائل لم ينادوا بهذا إطلاقاً . بل نادوا بأن مجىء المسيح إلى العالم هو نتيجة لمحبة الله .

٢ — كانت خدمة يسوع خدمة شفاء فقد كان فريداً فى حنانه ومساعدته للإنسان وكانت رغبة قلبه أن يلاشى كل ألم ووجع من العالم .

٣ — لكن الناس أخذوا يسوع وصلبوه . وإننا نلاحظ من خلال السطور مقدار أسى بطرس وجزعه لهذه الجريمة الشنعاء .

٤ — ثم قام المسيح من الأموات . إن القوة التى أرسلت يسوع والتى كانت فى يسوع لم تهزم . بل استطاعت أن تهزم كل ما يخيف الإنسان حتى الموت .

٥ — إن الرسالة الأساسية للواعظ أو المعلم أن يشهد ليسوع المقام وبالنسبة

لبطرس لم يكن يسوع مجرد قصة يقرأها فى كتاب أو يسمع عنها لكنه شخص حى موجود قابله وتحدث معه وجهاً لوجه .

٦ — ونتيجة لهذا كله يتمتع الناس بغفران الخطايا وعلاقة جديدة مع الله .

أما الخوف والعداوة فتطرد إلى خارج . ففى المسيح تعود العلاقة الوطيدة بين الإنسان والله هذه العلاقة التى أفسدتها الخطية .

دخول الأمم

فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهٰذِهِ ٱلْأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ . فَانْدَهَشَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ لِأَنَّ مَوْهِبَةَ ٱلرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ ٱنْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَمِ أَيْضًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ وَيُعَظِّمُونَ اللهَ . حِينَئِذٍ أَجَابَ بُطْرُسُ . أَتُرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ ٱلْمَاءَ حَتَّى لاَ يَعْتَمِدَ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضًا . وَأَمَرَ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ . حِينَئِذٍ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ أَيَّامًا .

(أع ١٠ : ٤٤ — ٤٨)

إذ كان بطرس يتكلم حدثت أمور لم يستطع من قبلوا المسيح من اليهود أن يعارضوها . فقد حل الروح القدس على كرنيليوس ومن معه . ووصلوا إلى درجة من النشوة حتى صاروا يتكلمون بألسنة . وكانت هذه علامة أكيدة أمام اليهود أن الرب قد أعطى الروح القدس للأمم . ويجب أن نلاحظ هنا شيئين :

١ — لقد تعمد هؤلاء الأمميين فى الحال ولا نجد فى سفر الأعمال أن هناك أناساً معينين لإجراء مراسيم المعمودية . لكن فى الكنيسة اليوم لا يقوم بإجراء المعمودية إلا القس المرتسم . والحقيقة العظيمة التى نجدها فى سفر الأعمال أن الكنيسة ككل هى التى كانت تقبل المتجددين لذلك يجب ألا نظن أن القس هو الذى يقبل الطفل لكن الكنيسة هى التى تقبل الطفل نيابة عن يسوع المسيح . وهذا يضع المسئولية على الكنيسة كلما أجرت مراسيم العماد تجاه الأطفال الذين تعمدهم ليشبوا فى شركة الكنيسة .

٢ — إن آخر آية فى الأصحاح لها مغزى خاص . فقد طلبوا أن يبقى معهم بطرس أياماً . لماذا ؟ لا بد أنهم أرادوا أن يعلمهم بطرس لذلك يجب أن ندرك أن انضمامنا إلى عضوية الكنيسة ليس النهاية بل البداية . فهى بداية للتعلم والتعمق كل يوم فى غنى المسيح الذى لا يستقصى .

الأَصْحَاحُ الحَادِي عَشَرَ

بطرس يدافع

فَسَمِعَ ٱلرُّسُلُ وَالْإِخْوَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ أَنَّ الْأُمَمَ أَيْضًا قَبِلُوا كَلِمَةَ ٱللهِ. وَلَمَّا صَعِدَ بُطْرُسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ خَاصَمَهُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ. قَائِلِينَ إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَالٍ ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ. فَابْتَدَأَ بُطْرُسُ يَشْرَحُ لَهُمْ بِالتَّتَابُعِ قَائِلاً. أَنَا كُنْتُ فِي مَدِينَةِ يَافَا أُصَلِّي فَرَأَيْتُ فِي غَيْبَةٍ رُؤْيَا إِنَاءً نَازِلًا مِثْلَ مُلَاءَةٍ عَظِيمَةٍ مُدَلَّاةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ مِنَ السَّمَاءِ فَأَتَى إِلَيَّ. فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ مُتَأَمِّلاً فَرَأَيْتُ دَوَابَّ الْأَرْضِ وَالْوُحُوشَ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ. وَسَمِعْتُ صَوْتًا قَائِلاً لِي قُمْ يَا بُطْرُسُ أَذْبَحْ وَكُلْ. فَقُلْتُ كَلاَّ يَارَبُّ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فَمِي قَطُّ دَنِسٌ أَوْ نَجِسٌ. فَأَجَابَنِي صَوْتٌ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ مَا طَهَّرَهُ اللهُ لَا تُنَجِّسْهُ أَنْتَ. وَكَانَ هٰذَا عَلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْتُشِلَ الْجَمِيعُ إِلَى السَّمَاءِ أَيْضًا.

(أع ١١ : ١ — ١٠)

يظهر مـــدى اهتمام لوقا بهذه القصة فى شرحها بإسهاب . فليس من عادة الـكتاب قديماً أن يـكتبوا كتابات مطولة لأن الـكتب فى شكلها الحاضر لم تـكن قد عرفت بعد . فـكانت الـكتب تـكتب على ورق البردى . لذلك كان حجم الـكتاب محدوداً بمقدرة الإنسان على حمله بسهولة . وأطول مخطوطة وجدت كان طولها حوالى ٣٥ قدما وهو على وجه التقريب الطول المطلوب لـكتابة سفر الأعمال وكان على لوقا أن يستغل هـــذه المساحة المتاحة ليملأها بمعلومات وأخبار كثيرة لا حصر لها . ولا شك أنه كان يختار بـكل دقة ما يدونه لـكنه يجد فى قصة بطرس وكرنيليوس أهمية خاصة تجعله يدونها مرتين بالتفصيل. ولقد كان لوقا على حق . فنحن لا نتصور كيف كانت المسيحية على وشك أن تصبح ديانة يهودية فقط من نوع آخر . كان كل المسيحين الأوائل يهوداً ولقد كانوا (بتأثير عاداتهم وتقاليدهم) على وشك أن يحتفظوا بما اختبروه فى المسيحية لأنفسهم ، باعتبار أن الله لا يقصد أبداً أن تـكون المسيحية للأمم المحتقرين .

لـكن لوقا يقدم لنا هذه الحادثة مرتين تفصيلاً لأنه يرى فيها نقطة تحول هامة فى طريق انتشار المسيحية لتصبح ديانة للعالم كله .

قصة مقنعة

وَإِذَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ قَدْ وَقَفُوا لِلْوَقْتِ عِنْدَ الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ مُرْسَلِينَ إِلَيَّ مِنْ قَيْصَرِيَّةَ . فَقَالَ لِي الرُّوحُ أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُمْ غَيْرَ مُرْتَابٍ فِي شَيْءٍ . وَذَهَبَ مَعِي أَيْضاً هؤُلاء

الإِخْوَةُ السِّتَّةُ . فَدَخَلْنَا بَيْتَ الرَّجُلِ . فَأَخْبَرَنَا كَيْفَ رَأَى الْمَلاَكَ فِي بَيْتِهِ قَائِماً وَقَائِلاً لَهُ أَرْسِلْ إِلَى يَافَا رِجَالاً وَاسْتَدْعِ سِمْعَانَ الْمُلَقَّبَ بُطْرُسَ . وَهُوَ يُكَلِّمُكَ كَلاَماً بِهِ تَخْلُصُ أَنْتَ وَكُلُّ بَيْتِكَ . فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضًا فِي الْبُدَاءَةِ . فَتَذَكَّرْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَاءٍ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتُعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ . فَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَعْطَاهُمُ الْمَوْهِبَةَ كَمَا لَنَا أَيْضًا بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَمَنْ أَنَا . أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللهَ . فَلَمَّا سَمِعُوا ذٰلِكَ سَكَتُوا وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ إِذاً أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضًا التَّوْبَةَ لِلْحَيٰوةِ .

(أع ١١ : ١١ — ١٨)

والخطأ الذى كان بطرس يحاول أن يدافع عنه هو أنه أكل مع أمميين (عدد ٣) وقد عرفنا أن اليهودى المتزمت لا يتعامل مع الأمميين . ولقد كان من الجائز أحياناً أن يدخل يهودى بيت أممى لو أنه كان أمراً غير مرغوب فيه أما أن يجلس ويأكل فهذا ما لا يصدقه إنسان .

ولا شك أن دخول بطرس وتناوله الطعام معهم هو تعدى صريح على تقاليد الآباء ونواميسهم . والآن دعونا نرى دفاع بطرس . إنه لم يناقش بل سرد

الحقائق كما هى . ومهما قال الذين كانوا ينتقدون تصرفاته فقد حل الروح القدس على هؤلاء الأميين فى أوضح صورة . لا جدال فى ذلك . وعدد ١٢ باقى ضوءاً له معنى ودلالة على القضية . فبطرس يقـول إنه أخذ معه ستة أشخاص . أى أن عدد اليهود بما فيهم بطرس كان سبعة . فى القانون المصرى (الذى كان معروفاً جيداً) كانت شهادة سبعة فى أية قضية كافية جداً . وفى القانون الرومانى (الذى كان معروفاً أيضاً) إذا وقع سبعة على وثيقة هامة صارت نافذة . وكأن بطرس يقول أنا لا أجادلكم لكنى أقرر حقيقة شهدها سبعة منا .

والحقائق تدعم الإيمان المسيحى دائماً فالبراهين الجدلية والأمثلة الشفوية قليلاً ما تقود إلى المسيحية لكن البرهان الأعظم للمسيحية أنها فعالة لأنها تغير حياة الناس من الظلمة إلى النور وتضع فى حياتهم الروح القدس فتصبح شهادة المؤمن لا مجرد كلمات لكن تطبيق عملى للإيمان . وبالعكس فإننا نرى أن حياة الإنسان التى تختلف عن مستوى أقواله أكبر دليل ضد المسيحية أما الحياة المدعمة بالكلمات التى نواجه بها العالم فهى أعظم حجة للمسيحية .

أشياء عظيمة فى أنطاكية

أَمَّا الَّذِينَ تَشَتَّتُوا مِنْ جَرَّاءِ الضِّيقِ الَّذِي حَصَلَ بِسَبَبِ أُسْتِفَانُوسَ فَاجْتَازُوا إِلَى فِينِيقِيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ وَهُمْ لاَ يُكَلِّمُونَ أَحَداً بِالْكَلِمَةِ إِلَّا الْيَهُودَ فَقَطْ . وَلٰكِنْ كَانَ

مِنْهُمْ قَوْمٌ وَهُمْ رِجَالٌ قُبْرُسِيُّونَ وَقَيْرَوَانِيُّونَ الَّذِينَ لَمَّا دَخَلُوا أَنطَاكِيَةَ كَانُوا يُخَاطِبُونَ الْيُونَانِيِّينَ مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُمْ فَآمَنَ عَدَدٌ كَثِيرٌ وَرَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ .

(أع ١١ : ١٩ — ٢١)

نقرأ فى هذه الأقوال القليلة عن أعظم حدث فى التاريخ . فلأول مرة نرى الإنجيل ينتشر بين الأمم بكل حرية . ولقد كانت كل الأشياء تعمل معاً للوصول إلى هذه النتيجة . وهناك ثلاث درجات على هذا السلم أو ثلاث علامات على الطريق .

فأولاً بشر فيلبس السامريين وكانت هذه هى أول خطوة ولكن السامريين يعتبرون يهوداً إلى حد ما وكانوا يمثلون قنطرة تربط اليهود بالأمم .

وثانياً قبل بطرس كرنيليوس . لكن يجب ألا ننسى حقيقة هامة فى حادثة كرنيليوس وهى أن كرنيليوس هو الذى أرسل يستدعى بطرس . فلم تبحث الكنيسة المسيحية عن كرنيليوس لكنه هو الذى بحث عن الكنيسة . كما لا يغيب عن أذهاننا ما ذكر عن كرنيليوس أنه كان رجلاً يخاف الله أى أنه كان قريباً جداً من حدود اليهودية .

أما ثالثاً وأخيراً فهو ما نراه فى أنطاكية فلم تحاول الكنيسة أن تبشر اليهود أو أنصاف اليهود ولم تنتظر أن يتقرب إليها الأمم لكنها ذهبت بطريقة

أصيلة مقصودة لتبشر الأمم بالإنجيل . لقد أستقرت المسيحية فى رسالتها وإرساليتها إلى العالم أجمع .

وهنا نرى شيئاً عجيباً : لقد خطت الكنيسة خطوة لها أهميتها ودلالتها . ونحن لا نعرف حتى أسماء أولئك الذين خطوا هذه الخطوة الجريئة وكل مانعرفه عنهم أنهم قبرصيون وقيروانيون ولن يعرف أحد أسماءهم . لكنهم بالنسبة للتاريخ يعتبرون قادة وأبطال مجهولون للمسيح . إن من أهم مشاكل الكنيسة أن العاملين فيها دائماً يتوقعون أن يعرفوا بأسمائهم وأن يمدحوا وأن يقدم لهم المدح والثناء إذا عملوا شيئاً يعتقدون أنه ذات قيمة . ولكن ما تحتاج إليه الكنيسة أكثر من أى شيء آخر هو ذلك النوع من الناس الذى يعمل ولا يأبه بالمكافأة أو المدح بل يهتم بالعمل لذاته . إن هؤلاء الناس لم يكتبوا أسماءهم فى كتب التاريخ لكنهم كتبوها فى سفر الحياة .

وهذا الفصل ينقل مسرح الحوادث فى الكنيسة الأولى إلى مدينة أنطاكية ثالث المدن الكبرى فى العالم فى ذلك الوقت ولم يكن يكبرها إلا روما والأسكندرية . وكانت تقع عند منبع نهر أورنتس على بعد خمسة عشر ميلا من البحر الأبيض المتوسط . كانت مدينة جميلة اشتهرت بالبذخ والبحث عن اللذة ليلا ونهاراً بكل ما فى هذه الكلمة من معانى . واشتهرت أيضاً بسباق خاص للعربات التى تجرها الخيل فإذا وصفناها بلغة العصر الحاضر لقلنا أنها مدينة تعشق الرياضة مملوءة بالنوادى الليلية للقمار . ولكن الأهم من هذا أنها كانت مشهورة بعبادة الإلهة دافن (Daphne) وكان معبدها على بعد خمسة أميال خارج المدينة وسط حديقة غناء . ودافن حسب تقاليدهم كانت احدى الفتيات

اللاتى أحبهن الإله أبولو . وقد طاردها حتى عثر عليها فى تلك الحديقة . لذلك كان هيكلها مليئاً بنساء كرسن أنفسهن للهيكل وفى كل مساء يعاد تمثيل قصة الحب الآثم بين أبولو ودافن . وكانت الكلمات « أخلاقيات دافن » تعنى الحياة الشهوانية . فى هذا الجو الغريب أليس عجيباً أن نرى المسيحية تخطو خطوتها الحاسمة لتكون ديانة عالمية . لكن هذا يدفعنا إلى التفكير فى أنه لا يوجد مستحيل ويجب ألا نيأس مهما كانت الحالة .

حكمة برنابا

فَسَمِعَ الْخَبَرُ عَنْهُمْ فِي آذَانِ الْكَنِيسَةِ الَّتِى فِى أُورَشَلِيمَ فَأَرْسَلُوا بَرْنَابَا لِكَيْ يَجْتَازَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ . الَّذِى لَمَّا أَتَى وَرَأَى نِعْمَةَ اللهِ فَرِحَ وَوَعَظَ الْجَمِيعَ أَنْ يَثْبُتُوا فِى الرَّبِّ بِعَزْمِ الْقَلْبِ . لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَمُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْإِيمَانِ . فَانْضَمَّ إِلَى الرَّبِّ جَمْعٌ غَفِيرٌ . ثُمَّ خَرَجَ بَرْنَابَا إِلَى طَرْسُوسَ لِيَطْلُبَ شَاوُلَ . وَلَمَّا وَجَدَهُ جَاءَ بِهِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ . فَحَدَثَ أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِى الْكَنِيسَةِ سَنَةً كَامِلَةً وَعَلَّمَا جَمْعًا غَفِيرًا . وَدُعِيَ التَّلَامِيذُ مَسِيحِيِّينَ فِى أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلاً .

(أع ١١ : ٢٢ — ٢٦)

عندما علم قادة الكنيسة فى أورشليم بما يجرى فى أنطاكية كان من الطبيعى أن يرسلوا ليتحروا الأمر . ولاشك أنه من نعمة الله أنهم أرسلوا هذا الرجل . فربما أرسلوا رجلاً ضيق الفكر يؤله الناموس والتقاليد . لكنهم اختاروا رجلاً يحمل أكبر قلب فى الكنيسة هو برنابا . ذلك الرجل الذى وقف بجانب بولس وتابعه عندما شك فيه كل الناس (أ ع ٩ : ٢٧) لقد برهن برنابا على مسيحيته الحقيقية بإحسانه إلى إخوته المحتاجين (أ ع ٤ : ٣٦ ، ٣٧) . وعندما جاء برنابا ورأى الأمم ينضمون إلى الكنيسة بأعداد كبيرة فرح وفكر فى شخص يأخذ على عاتقه هذا العمل . وهذا الشخص يجب أن تكون له خلفية مزدوجة فلابد أن يكون يهودياً تربى فى التقاليد اليهودية لكنه يستطيع أن يتعامل مع الأمم . كان لابد أن يكون شجاعاً مقداماً ليستطيع أن يتعامل مع أهل أنطاكية ، كما يجب أن يكون بارعاً فى الحوار والنقاش حتى يفحم اليهود والأمم على حد سواء . كان برنابا يعرف الرجل المطلوب . لمدة تسع سنوات لم نسمع شيئاً عن بولس ولعل آخر كلمة ذكرت عنه أنه هرب إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس (أ ع ٩ : ٣٠) ولا شك أنه خلال هذه السنوات التسع كان يبشر بالإنجيل فى وطنه . لقد كان يعد نفسه وها قد جاء العمل العظيم الذى خصص له . وبكل حكمة اختار برنابا بولس لهذا العمل .

وفى أنطاكية دعى التلاميذ مسيحيين . لقد بدأت كلمة مسيحى لتكون كنية للتهكم . وكان أهل أنطاكية مشهورين بإطلاق الأسماء المضحكة فلقد زارهم الإمبراطور جوليان وكانت له لحية صغيرة فأطلقوا عليه لفظ « التيس » تهكماً . وكلمة مسيحيين تعنى الجماعة التى تتبع المسيح وكانت كنية تحمل معانى

التهكم والاحتقار . لكن المسيحيين نشروا هذا الأسم فى كل العالم ، وبأعمالهم الجيدة غيروا معنى التهكم والسخرية إلى الشجاعة والحب . هذه للصفات التى فتنت المسكونة كلها .

المساعدة فى الضيق

وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ انْحَدَرَ أَنْبِيَاءُ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اسْمُهُ أَغَابُوسُ وَأَشَارَ بِالرُّوحِ أَنَّ جُوعًا عَظِيمًا كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَصِيرَ عَلَى جَمِيعِ الْمَسْكُونَةِ . الَّذِي صَارَ أَيْضًا فِي أَيَّامِ كُلُودِيُوسَ قَيْصَرَ . فَحَتَمَ التَّلَامِيذُ حَسْبَمَا تَيَسَّرَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يُرْسِلَ كُلُّ وَاحِدٍ شَيْئًا خِدْمَةً إِلَى الْإِخْوَةِ السَّاكِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ . فَفَعَلُوا ذَلِكَ مُرْسِلِينَ إِلَى الْمَشَايِخِ بِيَدِ بَرْنَابَا وَشَاوُلَ .

(أع ١١ : ٢٧ — ٣٠)

هنا نرى الأنبياء فى الصورة . وقد كانوا فى غاية الأهمية أيام الكنيسة الأولى . فلقد ذكروا أيضاً فى (أع ١٣ : ١ ، ١٥ : ٣٢ ، ٢١ : ٩و١٠) وعلى وجه العموم فإن قادة الكنيسة كانوا ثلاث فئات :

١ — الشيوخ وهم القادة المحليون . وكانت سلطتهم محدودة بالأماكن التى يعيشون فيها . فقد كانوا قادة محليون لكنائس محلية .

٢ — الأنبياء ووظيفتهم تتضح من اسمهم والنبي هو الشخص الذى يخبر بأمور آتية أو الذى يعلن بالأمور الجارية . كان بعضهم يتكلمون عن المستقبل والبعض الآخر يعلن إرادة الله . ولم تكن لهم مناطق محدودة . ولم يرتبطوا بكنيسة بعينها . بل كانوا أناساً يعيشون فى حضرة الله بلا عائلة ولا ارتباطات من أى نوع بل كانوا يتنقلون من مكان لآخر ليعرفوا الناس بالله . وكانت لهم كرامة كبيرة . وفى كتاب « تعليم الرسل الأثنى عشر » الذى يرجع إلى سنة ١٠٠ ميلادية نجد نظام خدمة العشاء الربانى . لكن فى هذا الكتاب نجد العبارة التى تدل على أن الأنبياء لهم الحق أن يسيروا بهذه الخدمة كما يريدون . كانوا معروفين بأنهم يتميزون بمواهب خاصة لكن كانت لهم خطورتهم أيضاً . فإن وظيفة النبى يمكن أن تستغل لا بأعلى الدوافع وأعظمها بل بأردأ الدوافع وأدناها .

لقد عاشت فئة من الأنبياء الكذبة الذين كانوا يرتزقون من الكنيسة . وفى « تعاليم الرسل الإثنى عشر » نجد تحذيراً من هؤلاء الأنبياء الكذبة إذ يقول « إن النبى الذى يطلب مالاً أو طعاماً نبى كاذب . كما أن النبى الذى يستضاف أكثر من ليلة واحدة دون أن يعمل ليأكل نبى كاذب » .

وقصة عطاء الكنيسة لها معناها إذ أنها ترينا وحدة الكنيسة . فإذا كان هناك جوع فى فلسطين فإن أول ما يخطر ببال الكنيسة فى أنطاكية أن تساعد المحتاجين .

لقد عرفوا فى تلك الأيام أنهم جميعاً أعضاء جسد واحد هو جسد المسيح . لم يتصوروا أن أحد الأعضاء يقع فى ضيقة ولا يتحرك العضو الآخر . لقد كانوا بعيدين عن الإستقلالية بل كانت لهم النظرة العريضة التى ترى الكنيسة ككل . لم يكونوا أعضاء كنيسة أنطاكية بل كانوا أعضاء كنيسة المسيح .

الأصحاح الثاني عشر

سجن وافراج

وَفِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيءَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ . فَقَتَلَ يَعْقُوبَ أَخَا يُوحَنَّا بِالسَّيْفِ . وَإِذْ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ يُرْضِي الْيَهُودَ عَادَ فَقَبَضَ عَلَى بُطْرُسَ أَيْضاً وَكَانَتْ أَيَّامُ الْفَطِيرِ . وَلَمَّا أَمْسَكَهُ وَضَعَهُ فِي السِّجْنِ مُسَلِّماً إِيَّاهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرَابِعَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَحْرُسُوهُ نَاوِيًا أَنْ يُقَدِّمَه بَعْدَ الْفِصْحِ إِلَى الشَّعْبِ . فَكَانَ بُطْرُسُ مَحْرُوسًا فِي السِّجْنِ. وَأَمَّا الْكَنِيسَةُ فَكَانَتْ تَصِيرُ مِنْهَا صَلٰوةٌ بِلَجَاجَةٍ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِهِ .

وَلَمَّا كَانَ هِيرُودُسُ مُزْمِعًا أَنْ يُقَدِّمَهُ كَانَ بُطْرُسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَائِمًا بَيْنَ عَسْكَرِيَّيْنِ مَرْبُوطًا بِسِلْسِلَتَيْنِ . وَكَانَ قُدَّامَ الْبَابِ حُرَّاسٌ يَحْرُسُونَ السِّجْنَ . وَإِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ

أَقبَلَ وَنُورٌ أَضَاءَ فِي الْبَيْتِ . فَضَرَبَ جَنْبَ بُطْرُسَ وَأَيقَظَهُ قَائِلاً قُمْ عَاجِلاً . فَسَقَطَتِ السِّلْسِلَتَانِ مِنْ يَدَيْهِ . وَقَالَ لَهُ الْمَلاكُ تَمَنْطَقْ وَالْبَسْ نَعْلَيْكَ . فَفَعَلَ هٰكَذَا . فَقَالَ لَهُ اَلْبَسْ رِدَاءَكَ وَاتْبَعْنِي . فَخَرَجَ يَتْبَعُهُ . وَكَانَ لا يَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي جَرَى بِوَاسِطَةِ الْمَلاكِ هُوَ حَقِيقِيٌّ بَلْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْظُرُ رُؤْيَا . فَجَازَا الْمَحْرَسَ الأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَأَتَيَا إِلَى بَابِ الْحَدِيدِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْمَدِينَةِ فَانْفَتَحَ لَهُمَا مِنْ ذَاتِهِ فَخَرَجَا وَتَقَدَّمَا زُقَاقًا وَاحِداً وَلِلْوَقْتِ فَارَقَهُ الْمَلاكُ .

فَقَالَ بُطْرُسُ وَهُوَ قَدْ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ الآنَ عَلِمْتُ يَقِيناً أَنَّ الرَّبَّ أَرْسَلَ مَلاكَهُ وَأَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ هِيرُودُسَ وَمِنْ كُلِّ انْتِظَارِ شَعْبِ الْيَهُودِ .

(أع ١٢ : ١ — ١١)

بدأت موجة من الإضطهاد ضد الكنيسة وخصوصاً القادة . وكان خلف هذه الحركة سلطة الملك هيرودس . ولندرس الآن فروع عائلة هيرودس وعلاقتهم بحوادث العهد الجديد . وأولهم هيرودس الكبير . وقد ملك من سنة ٤١ — ١ قبل الميلاد تقريباً . وهو المذكور في إنجيل متى الأصحاح الثاني .

وهو الملك الذى ولد فى أيامه يسوع . وهو الذى قابل المجـــوس وقتل الأطفال . ولقد تزوج هيرودس الـكبير عشر مرات ومن نسله .

(ا) هيرودس فيليب الأول . وكان الزوج الأول لهيروديا التى تسببت فى موت يوحنا المعمدان . وذكر باسم فيلبس فى متى ١٤ : ٣ ومرقس ٦ : ١٧ ولوقا ٣ : ١٩ . ولم تـكن له وظيفة محددة وهو والد سالومى .

(ب) هيرودس انتيباس . وهو حاكم الجليل وبيريه . وهو الزوج الثانى لهيروديا . وهو الذى وافق على قتل يوحنا المعمدان . وهو نفس هيرودس الذى ذهب اليه المسيح بناء على رأى بيلاطس (لو ٢٣ : ٧) .

(ج) أرخيلاوس وكان حاكم اليهودية والسامرة وأدوم وكان حاكماً فاسداً وقد خلع ونفى . ذكر فى متى ٢ : ٢٢ .

(د) هيرودس فيليب الثانى . وكان حاكم تراخونيتس . وهو مؤسس قيصرية فيلبس التى سميت على اسمه . وقد ذكر اسمه فى لو ٣ : ١ .

(ه) ارستوبولس وهو أحد أبناء هيرودس الـكبير وكانت أمه مريم أميرة من نسل المـكابيين الأبطال . وقد قتله أبوه بنفسه ولـكن كان له ابن اسمه هيرودس أغريباس - وهو المقصود فى هذا الفصل من سفر الأعمال ولـكى نـكمل سلسلة النسب فقد كان لهيرودس أغريباس ابن اسمه هيرودس أغريباس الثانى الذى فحص بولس والذى أتى أمامه دفاعه المشهور (أع ٢٥ ، ٢٦). وقد ظهرت معه فى هذه الحادثة برنيكى أما دروسللا فقد كانت زوجة فيلـكس الذى وقف أمامه بولس (أع ٢٤ : ٢٤) .

من هذا النسب نرى أن هيرودس أغريباس الأول الذى نحن بصدده كان من أحفاد المكابيين وقد تعلم فى روما لكنه كان شديد المواظبة على حفظ الناموس اليهودى وكل الفرائض اليهودية . لذلك أحبه الناس ولكى يزيد حب الناس له خصوصاً اليهود المحافظين قرر أن يهاجم الكنيسة المسيحية وقادتها . لذلك كان يعقوب أحد ضحايا هذه الخطة التى وضعها هيرودس ونفذها . كما أن سجن بطرس كان خطوة فى سبيل تحقيق تلك الخطة . وحتى طريقته فى إلقاء القبض على بطرس ترينا بوضوح اهتمامه بإرضاء اليهود . فقد كان عيد الفصح فى ١٤ نيسان . وكان اليهود يمتنعون عن أكل الخمير من ذلك اليوم لمدة أسبوع . ولم يكن مسموحاً خلال هذا الأسبوع بإجراء أى محاكمة أو تنفيذ أية أحكام لذلك أجل هيرودس تنفيذ الحكم فى بطرس حتى نهاية الأسبوع والمأساة العظمى هنا أن موجة الإضطهاد لم تكن نتيجة مبادىء معينة اقتنع بها شخص ما لكنها كانت فقط لإرضاء اليهود .

فرحة العودة

ثُمَّ جَاءَ وَهُوَ مُنْتَبِهٌ إِلَى بَيْتِ مَرْيَمَ أُمِّ يُوحَنَّا الْمُلَقَّبِ مُرْقُسَ حَيْثُ كَانَ كَثِيرُونَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ . فَلَمَّا قَرَعَ بُطْرُسُ بَابَ الدِّهْلِيزِ جَاءَتْ جَارِيَةٌ اسْمُهَا رَوْدَا لِتَسْمَعَ . فَلَمَّا عَرَفَتْ صَوْتَ بُطْرُسَ لَمْ تَفْتَحِ الْبَابَ مِنَ الْفَرَحِ بَلْ رَكَضَتْ إِلَى دَاخِلٍ وَأَخْبَرَتْ أَنَّ بُطْرُسَ وَاقِفٌ قُدَّامَ الْبَابِ . فَقَالُوا

لهَا أنْتِ تَهْذِينَ . وَأَمَّا هِيَ فَكَانَتْ تُؤَكِّدُ أَنَّ هٰكَذَا هُوَ . فقَالُوا إِنَّهُ مَلاكُهُ . وَأَمَّا بُطْرُسُ فَلَبِثَ يَقْرَعُ . فَلَمَّا فَتَحُوا وَرَأَوْهُ انْدَهَشُوا . فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ لِيَسْكُتُوا وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَخْرَجَهُ الرَّبُّ مِنَ السِّجْنِ . وَقَالَ أَخْبِرُوا يَعْقُوبَ وَالإِخْوَةَ بِهٰذَا . ثُمَّ خَرَجَ وَذَهَبَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ .

فَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ حَصَلَ اضْطِرَابٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ بَيْنَ الْعَسْكَرِ تُرَى مَاذَا جَرَى لِبُطْرُسَ . وَأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا طَلَبَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ فَحَصَ الْحُرَّاسَ وَأَمَرَ أَنْ يَنْقَادُوا إِلَى الْقَتْلِ . ثُمَّ نَزَلَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ وَأَقَامَ هُنَاكَ .

(اع ١٢ : ١٢ — ١٩)

اتخذت كل الاحتياطات للتأكد من أن بطرس لن يهرب . فقام بحراسته أربعة أرابع من الجند . أى ستة عشر جنديا . كل أربعة يقومون بالحراسة ثلاث ساعات . ولقد كان المألوف أن توضع سلسلة فى كل من يدى السجين وتربط اليد اليمنى للسجين باليد اليسرى للحارس وبالعكس أما فى حالة بطرس فقد ربطت كلتا يداه إلى كل من الحارسين أما الحارسان الآخران فكانا يحرسان الباب . ولا يمكن أن نتخيل حراسة أشد من ذلك . وعندما خرج بطرس من السجن حوكم الحراس لأن القانون كان

يقضى بالحكم على الحراس بنفس العقوبة المحكوم بها على السجين فى حالة هروبه .

عندما خرج بطرس ذهب توا إلى بيت مريم أم يوحنا مرقس وهذا يرينا أن هذا البيت كان مركز قيادة الكنيسة . ويقال إن المسيح صنع العشاء الربانى فى نفس البيت ومنذ ذلك الوقت كان التلاميذ يجتمعون فيه (فى أورشليم) للصلاة . نعم عندما كانوا لا يجدون أى مكان كان الله يرحب بهم إذ يذهبون إليه مصلين .

وفى هذا الجزء يذكر لأول مرة أول قائد لكنيسة المسيح . فقد طلب بطرس أن يخبروا يعقوب بما حدث . وهو يعقوب أخو الرب وهنا سر حول شخصية يعقوب . فمن الطبيعى فى الشرق أن يتولى الأخ الأصغر أعمال أخيه عند موته لكن من رواية الأناجيل نجد أن أخوة الرب لم يؤمنوا به (يوحنا ٧:٥) بل ظنوه مختلا (مر ٣:٢١) ففى حياة المسيح لم يكن يعقوب أحد تابعى المسيح لكننا نعلم أن المسيح المقام ظهر ظهوراً خاصاً ليعقوب (١ كو ١٥ : ٧) وفى نسخة قديمة من إنجيل يدعى إنجيل العبرانيين يذكر أن يعقوب أقسم ألا يأكل أويشرب حتى يرى يسوع ثانية وأن يسوع ظهر له . إذن فما لم تفعله حياة المسيح فى يعقوب فعلته قيامته . ولا شك أن يعقوب عندما رأى يسوع يموت ويقوم عرف من هو ، وكرس حياته لخدمته . إن التغيير العجيب فى حياة يعقوب مثال لما يمكن أن يعمله الصليب فى تغيير حياة الناس .

نهاية فظيعة

وَكَانَ هِيرُودُسُ سَاخِطاً عَلَى الصُّورِيِّينَ وَالصَّيْدَاوِيِّينَ فَحَضَرُوا إِلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتَعْطَفُوا بَلاَسْتُسَ النَّاظِرَ عَلَى مَضْجَعِ الْمَلِكِ ثُمَّ صَارُوا يَلْتَمِسُونَ الْمُصَالَحَةَ لِأَنَّ كُورَتَهُمْ تَقْتَاتُ مِنْ كُورَةِ الْمَلِكِ. فَفِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ لَبِسَ هِيرُودُسُ الْحُلَّةَ الْمُلُوكِيَّةَ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلْكِ وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ. فَصَرَخَ الشَّعْبُ هٰذَا صَوْتُ إِلٰهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ. فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ لِلّٰهِ. فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ.

وَأَمَّا كَلِمَةُ اللّٰهِ فَكَانَتْ تَنْمُو وَتَزِيدُ. وَرَجَعَ بَرْنَابَا وَشَاوُلُ مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَمَا كَمَّلاَ الْخِدْمَةَ وَأَخَذَا مَعَهُمَا يُوحَنَّا الْمُلَقَّبَ مَرْقُسَ.

(أع ١٢ : ٢٠ — ٢٥)

هنا نرى نهاية هيرودس الفظيعة. فقد حدث بينه وبين أهل صور وصيداء خلاف. هذا الخلاف كان بالنسبة للأهالي شيئاً خطيراً. لأن أراضيهم كانت تقع شمال فلسطين.

ولقد كان هيرودس يستطيع إيذاءهم بطريقتين: إما أن يستغني عن موانيهم

فى التجارة ليصابوا بخسارة فادحة أو أن يقطع عنهم الطعام الذى كانوا يحصلون عليه من مدن فلسطين . ولقد نجح الأهالى فى استمالة ياور الملك ويدعى بلاستوس فصنع وليمة . ويذكر المؤرخ يوسيفوس كيف أنه فى اليوم الثانى من هذه المناسبة دخل هيرودس فى ثوب فضى كان يلمع فى ضوء الشمس فصرخ الناس هذا إله يأتى إلينا . وفى الحال مرض مرضاً خطيراً لم يشف منه . وانتهى كبرياء الرجل أمام غضب الله .

أما الأعداد ٢٤ ، ٢٥ فهى تعود بنا إلى أ ع ١١ : ٢٧ — ٣٠ حيث نجد بولس وبرنابا قد أنهيا الأعمال الخيرية التى قاما بها فى أورشليم وعادا إلى أنطاكية ومعهم يوحنا مرقس .

الرحلة التبشيرية الأولى

فى الأصحاحين الثالث عشر والرابع عشر نجد تفاصيل الرحلة التبشيرية الأولى . بدأ بولس وبرنابا من أنطاكية . ولقد كانت أنطاكية على بعد ١٥ ميلا من الشاطىء وهى تقع على نهر أورنتس أما الميناء الحقيقى الذى أبحرا منه فهو ميناء سلوكية . وقد توجها إلى قبرص حيث وعظا فى سلاميس وبافوس . ثم أبحرا من بافوس إلى برجة بمفيلية . وهى مقاطعة منخفضة على الساحل . ولم يعظا هناك . وكما سنرى أن هذه المنطقة المنخفضة لم تناسب صحة بولس . لذلك لم يعظ فيها . بل إتجها إلى الداخل إلى أنطاكية بسيدية . ولما تأزمت الأمور هناك إتجها إلى أيقونية وهى تقع على بعد ٩٠ ميلا من أنطاكية . وقد تعرضت حياتهما للخطر فاتجها إلى لسترة على بعد ٢٠ ميلا . ثم عادا فتعرضا لهجوم

خطو فانجها إلى دربة ولم يعرف على التحديد موقعها . ومن دربة عادا فى نفس الطريق متجهين إلى موطنهما الأصلى مارين بلسترة وأيقونية وأنطاكية بسيدية ثم إلى الساحل فى مقاطعة بمفيلية وفى هذه المرة وعظا فى برجة . ثم أخذا سفينة من ميناء أتاليا الميناء الرئيسى فى تلك المقاطعة ووصلا إلى سلوكية ثم عادا إلى أنطاكية . ولقد استغرقت هذه الرحلة حوالى ثلاث سنوات .

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ

أفرزهما الروح القدس

وَكَانَ فِي أَنْطَاكِيَةَ فِي الْكَنِيسَةِ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ وَمُعَلِّمُونَ بَرْنَابَا وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى نِيجَرَ وَلُوكِيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ وَمَنَايِنُ الَّذِي تَرَبَّى مَعَ هِيرُودُسَ رَئِيسِ الرُّبْعِ وَشَاوُلُ . وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ . فَصَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلَّوْا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الأَيَادِيَ ثُمَّ أَطْلَقُوهُمَا .

(أع ١٣ : ١ — ٣)

قررت الكنيسة المسيحية أخطر قرار بإختيارها أن توصل رسالة الإنجيل إلى العالم كله . وقد اتخذت الكنيسة هذه الخطوة الجريئة بإرشاد الروح القدس. ومن الحقائق الهامة فى تاريخ الكنيسة الأولى أن رجالها لم يعملوا ما شاءوا بل كانوا يعملون دائماً ما يريده الله .

وهـذا الفصل يتحدث عن الأنبياء والمعلمين . ولكل منهم وظيفته . فالأنبياء لم يرتبطوا بكنيسة معينة بل كانوا يجولون متحدثين بكلمة الله فى

كل مكان . أما المعلمون فكانوا عبارة من أناس فى كل كنيسة يقومون بتعليم الذين ينضمون إلى المسيحية والإيمان المسيحى .

وهذه القائمة المذكورة من الأنبياء تبين جاذبية الإنجيل فى كل العالم . فبرنابا يهودى من قبرص ولوكيوس من القيروان فى شمال أفريقيا . وسمعان كان يهودياً أيضاً وكان اسمه الرومانى نيجر وهـــذا يدل على أنه عاش فى أوساط رومانية . ومناين كان رجلاً ارستقراطياً له إتصالات كثيرة .

وبولس نفسه كان يهودياً من طرسوس فى سيلسيا وهو ربى يهودى متدرب وفى هذه الزمرة القليلة تتمثل قوة المسيحية فى توحيد قلوب الناس . فهنا نرى أناساً من مناطق مختلفة وثقافات متنوعة لكنهم اكتشفوا السر الذى يوحد القلوب ويجمعها معاً وهو المسيح نفسه .

وهناك ملاحظة جديرة بالإهتمام وهى أن سمعان الذى دعى نيجر غالباً جاء من أفريقيا لأن نيجر إسم أفريقى .

وهناك رأى يقـــول إن سمعان هـــذا هو نفس سمعان القيروانى الذى حمل صليب المسيح (لو ٢٣ : ٢٦) ولا شك أنه أمر جدير بالإهتمام أن نرى الشخص الذى تعرف بالمسيح فى أسوأ الظروف — إذ لا بد أنه قاوم مهمة حمل الصليب إبكل ما أوتى من قوة — نراه واحداً من الأشخاص المهمين المسئولين عن إذاعة قصة الصليب على العالم أجمع .

فَهٰذَانِ إِذْ أُرْسِلَا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ انْحَدَرَا إِلَى سَلُوكِيَةَ وَمِنْ هُنَاكَ سَافَرَا فِي الْبَحْرِ إِلَى قُبْرُسَ . وَلَمَّا صَارَا فِي سَلَامِيسَ نَادَيَا بِكَلِمَةِ اللهِ فِي مَجَامِعِ الْيَهُودِ . وَكَانَ مَعَهُمَا يُوحَنَّا خَادِمًا وَلَمَّا اجْتَازَا الْجَزِيرَةَ إِلَى بَافُوسَ وَجَدَا رَجُلاً سَاحِرًا نَبِيًّا كَذَّابًا يَهُودِيًّا اسْمُهُ بَارْيَشُوعُ . كَانَ مَعَ الْوَالِي سَرْجِيُوسَ بُولُسَ وَهُوَ رَجُلٌ فَهِيمٌ . فَهٰذَا دَعَا بَرْنَابَا وَشَاوُلَ وَالْتَمَسَ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ . فَقَاوَمَهُمَا عَلِيمٌ السَّاحِرُ . لِأَنْ هٰكَذَا يُتَرْجَمُ اسْمُهُ . طَالِبًا أَنْ يُفْسِدَ الْوَالِيَ عَنِ الْإِيمَانِ .

وَأَمَّا شَاوُلُ الَّذِي هُوَ بُولُسُ أَيْضًا فَامْتَلَأَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَشَخَصَ إِلَيْهِ . وَقَالَ أَيُّهَا الْمُمْتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ يَا ابْنَ إِبْلِيسَ يَا عَدُوَّ كُلِّ بِرٍّ أَلَا تَزَالُ تُفْسِدُ سُبُلَ اللهِ الْمُسْتَقِيمَةَ . فَالْآنَ هُوَذَا يَدُ الرَّبِّ عَلَيْكَ فَتَكُونُ أَعْمَى لَا تُبْصِرُ الشَّمْسَ إِلَى حِينٍ . فَفِي الْحَالِ سَقَطَ عَلَيْهِ ضَبَابٌ وَظُلْمَةٌ فَجَعَلَ يَدُور

مُلْتَمِسًا مَنْ يَقُودُهُ بِيَدِهِ . فَالْوَالِي حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى مَا جَرَى آمَنَ مُنْدَهِشًا مِنْ تَعْلِيمِ الرَّبِّ .

(أع ١٣ : ٤ — ١٢)

توجه بولس وبرنابا إلى قبرص أولا . ولا شك أن برنابا كان خلف هذا التخطيط . لأنه كان قبرصى الجنس (أ ع ٤ : ٣٦) وهو أمر طبيعى لكل من عرف المسيح فهو يريد أن يشرك أهل وطنه فى الكنز الذى عثر عليه يسوع . ولقد كانت قبرص مشهورة بمناجم النحاس وصناعة بناء السفن . وكانت تسمى مكاريا أى الجزيرة السعيدة . لأن جوها كان ممتازاً على مدار السنة ، وموارد الرزق كانت متنوعة ووفيرة ، لذلك كان يجد فيها الإنسان كل مايتمناه ليصبح سعيداً . أما بولس فلم يكن يختار أسهل الطرق بل بدأ ببافوس فوعظ فيها هو وبرنابا . وكانت بافوس مشهورة بعبادة الزهرة إلهة الحب وهى رمز الشهوة الرديئة . وكان والى قبرص يدعى سرجيوس بولس وكانت الخرافات منتشرة فى تلك الأيام . والخرافات علامة الحضارة المتدهـــورة . وكان معظم الناس المشهورين مثل سرجيوس بولس يحتفظون بسحرة خصوصيين للتنجيم ومعرفة الغيب والسحر وبار يشوع أو عليم (وهى كلمة عربية تعنى العالم بالأمور) كان هو الساحر الخاص لسرجيوس بولس . ولقد تأكد بار يشوع أن إيمان الوالى بالمسيحية معناه إنتهاء عمله . لكن بولس تعامل معه بطريقة حاسمة .

وحتى هذا الجزء من سفر الأعمال كان بولس يدعى شاول وفى تلك الأيام كان لمعظم اليهود إسمان أحدهما إسم يهودي يعرف به فى الأوساط اليهودية

والآخر يونانى يعرف به فى باقى أجزاء العالم . وأحياناً كان الإسم اليونانى ترجمة للإسم العبرانى . فمثلاً صفا فى العبرية وبطرس فى اليونانية لهما نفس المعنى أى الصخرة . وأحياناً يكون الإسمان متشابهين فى النطق مثل يشوع ويسوع. وهكذا كان شاول وبولس (Saul , Paul) ويظهر أنه منذ هذا الفصل قبل أن يكون رسول الأمم فصمم أن يستخدم الإسم اليونانى (أى الأممى) فإن كان الأمر كذلك فهذا دليل أنه بدأ منذ ذلك الوقت فى الإرسالية المحددة التى أفرزه لها الروح القدس وهى إرسالية لا رجعة فيها فقد بدأ ولم يتراجع للخلف أبداً .

المتراجع

ثُمَّ أَقْلَعَ مِنْ بَافُوسَ بُولُسُ وَمَنْ مَعَهُ وَأَتَوْا إِلَى بَرْجَةِ بَمْفِيلِيَّةَ . وَأَمَّا يُوحَنَّا فَفَارَقَهُمْ وَرَجَعَ إِلَى أُورُشَلِيمَ .

(أ ع ١٣ : ١٣)

دون أن يذكر اسم برنابا فى هذا العدد نجد أعظم صفات برنابا . فحتى هذا العدد كان الترتيب المذكور فى الكتاب برنابا وشاول (أ ع ١٣ : ٢) كان برنابا هو القائد للرحلة . لكن الآن نرى بولس وبرنابا . ثم نرى بولس قائداً للرحلة . ومن محبة برنابا لا نراه يتذمر على هذا الوضع . فلقد كان الرجل المعد لأن يأخذ المكان الثانى وفى رأيه ليكن ما يكون المهم أن يتم عمل الله .

لكن أهم ما فى هذا العدد أنه نقطة حاسمة فى حياة يوحنا مرقس . لأن

يوحنا المذكور هنا هو الرجل المعروف باسم مرقس وهو المتراجع الذى أراد أن ينقذ نفسه .

كان مرقس شاباً صغيراً جداً ، وكان بيت أمه غالباً مركز الكنيسة فى أورشليم (أ ع ١٢ : ١٢) وكان مرقس قريباً جداً لمركز الإيمان . ولقد أخذه برنابا وبولس ليكون مساعداً لهما . وهو أحد أقارب برنابا . لكنه تراجع وعاد لوطنه ولم نعرف السبب . ربما احتج لأن برنابا لم يصبح فى مكان القيادة . وربما خاف من الرحلة إلى أنطاكية بسيدية لأن الطريق اليها كان من أصعب وأخطر الطرق . وربما شك فى جدوى الكرازة للأمم لأنه جاء من أورشليم وربما كانت هذه شخصيته ، شخصية الشاب الغر الذى يبدأ أى شيء بحماس لكنه لا يكمله أو ربما اشتاق إلى أمه كما قال كريسوستم . المهم أنه عاد . ولقد عانى بولس من هذا الحادث مدة طويلة ولم يستطع أن يغفر . ولما خرج فى رحلته الثانية أراد برنابا أن يصطحب معه مرقس لكن بولس رفض (أ ع ١٥ : ٣٨) وكانت النتيجة أن افترق بولس وبرنابا نهائياً . ومنذ هذه اللحظة اختفى اسم مرقس من التاريخ وإن كان التقليد الشائع يقول إن مرقس ذهب إلى الأسكندرية فى مصر وأسس الكنيسة هناك .

وعندما كتب بولس إلى كولوسى وهو فى السجن فى روما طلب منهم أن يقبلوا مرقس إن أتى اليهم . وهكذا نرى مرقس مع بولس مرة أخرى . وقرب نهاية حياة بولس عندما كتب إلى تيموثاوس قال له « خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة » ٢ تيمو ٤ : ١١ فالشخص المتراجع الهارب من الخدمة أصبح نافعاً لبولس . وكما قال فزدك « ليس من الضرورى أن يظل

الإنسان كما هو » فبنعمة الله أصبح المتراجع هو كاتب الإنجيل وهو الرجل الذى أراد بولس أن يبقيه معه لأنه نافع للخدمة .

رحلة خطرة لرجل مريض

وَأَمَّا هُمْ فَجَازُوا مِنْ بَرْجَةَ وَأَتَوْا إِلى أَنْطَاكِيَةِ بِيَسِيدِيَّةَ وَدَخَلُوا الْمَجْمَعَ يَوْمَ السَّبْتِ وَجَلَسُوا . وَبَعْدَ قِرَاءةِ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُؤَسَاءُ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ إِنْ كَانَتْ عِنْدَكُمْ كَلِمَةُ وَعْظٍ لِلشَّعْبِ فَقُولُوا .

(أع ١٣ : ١٤ ، ١٥)

من الأمور المدهشة فى سفر أعمال الرسل أن كثيراً من أعمال البطولة الفذة لا تذكر إلا فى عبارة واحدة . فأنطاكية بسيدية تقع على ارتفاع ٣٦٠٠ قدما فوق سطح البحر ولكى يصل إليها برنابا وبولس كان لا بد لهما أن يعبرا جبال طوروس فى طريق يعد من أصعب الطرق فى آسيا الصغرى . وهو طريق ملىء باللصوص وقطاع الطرق . ولنا أن نسأل لماذا لم يعظ بولس أو برنابا فى بمفيلية ؟ لماذا لم يقدما الكلمة على هـذا الطريق الصعب ؟ كتب بولس رسالة إلى أنطاكية بسيدية ليس بعد ذلك الوقت بكثير ووجه الرسالة أيضاً إلى أيقونية ولسترة ودربة وهى الرسالة المعروفة لنا برسالة غلاطية . لأن كل هذه المدن كانت تقع فى مقاطعة تسمى غلاطية . وقد ذكر فى هذه الرسالة « ولكنكم تعلمون أنى بضعف الجسد بشرتكم فى الأول » غلاطية ٤ : ١٣

وهذا يدلنا على أنه عندما جاء إلى تلك للقاطمة كان مريضاً . ومن المعروف أن بولس كانت عنده شوكة فى الجسد وقد تضرع لأجلها مراراً لكنها ظلت تؤلمه (٢ كو ١٢ : ٧، ٨) وقد حاول كثيرون أن يستنتجوا هذه الشوكة . وأول فكرة وأقدمها أن بولس كان يعانى من صداع مستمر وأكثر هذه الاستنتاجات احتمالا أن بولس كان مصاباً بالملاريا التى كانت منتشرة فى الأماكن المنخفضة على الساحل فى آسيا الصغرى . ويقول أحد السائحين أن الصراع الناشىء عن آلام الملاريا مثل حديدة محماة تنفذ فى جبهة الإنسان . ومن المحتمل أن تكون هذه الملاريا قد أصابته فى بمفيلية وكان من اللازم أن يتجه فوراً إلى المنطقة الجبلية العالية . ولكن لنلاحظ أن كل هذا لم يقف حائلا دون نزول بولس ثانية إلى تلك المنطقة . لقد صعد بولس الجبال العالية وهو يعانى من المرض . ورغم ما كان يقاسيه من مرضه فلم يهن عزمه على مواصلة رحلته وسعيه لأجل المسيح . وهكذا نرى فى هذين العددين بطولة عظيمة مخفاة بين السطور لمن يستطيع أن يراها .

عظة بولس

فَقَامَ بُولُسُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ وَقَالَ .

أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ اسْمَعُوا . إِلٰهُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ هٰذَا اخْتَارَ آبَاءَنَا وَرَفَعَ الشَّعْبَ فِي الْغُرْبَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ . وَبِذِرَاعٍ مُرْتَفِعَةٍ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا . وَنَحْوَ مُدَّةِ أَرْبَعِينَ

سَنَةً أَحْتَمَلَ عَوَائِدَهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ . ثُمَّ أَهْلَكَ سَبْعَ أُمَمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَقَسَمَ لَهُمْ أَرْضَهُمْ بِالْقُرْعَةِ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ فِي نَحْوِ أَرْبَعِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً أَعْطَاهُمْ قُضَاةً حَتَّى صَمُوئِيلَ النَّبِيِّ . وَمِنْ ثَمَّ طَلَبُوا مَلِكًا فَأَعْطَاهُمُ اللهُ شَاوُلَ بْنَ قَيْسٍ رَجُلاً مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . ثُمَّ عَزَلَهُ وَأَقَامَ لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكًا الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضًا إِذْ قَالَ وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي . مِنْ نَسْلِ هٰذَا حَسَبَ الْوَعْدِ أَقَامَ اللهُ لِإِسْرَائِيلَ مُخَلِّصًا يَسُوعَ ، إِذْ سَبَقَ يُوحَنَّا فَكَرَزَ قَبْلَ مَجِيئِهِ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ . وَلَمَّا صَارَ يُوحَنَّا يُكَمِّلُ سَعْيَهُ جَعَلَ يَقُولُ مَنْ تَظُنُّونَ أَنِّي أَنَا . لَسْتُ أَنَا إِيَّاهُ لٰكِنْ هُوَذَا يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ أَحُلَّ حِذَاءَ قَدَمَيْهِ .

أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ بَنِي جِنْسِ إِبْرٰهِيمَ وَالَّذِينَ بَيْنَكُمْ يَتَّقُونَ اللهَ إِلَيْكُمْ أُرْسِلَتْ كَلِمَةُ هٰذَا الْخَلَاصِ . لِأَنَّ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَرُؤَسَاءَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا هٰذَا . وَأَقْوَالُ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُقْرَأُ

كُلَّ سَبْتٍ تَمَّمُوهَا إِذْ حَكَمُوا عَلَيْهِ . وَمَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا عِلَّةً وَاحِدَةً لِلْمَوْتِ طَلَبُوا مِنْ بِيلاَطُسَ أَنْ يُقْتَلَ . وَلَمَّا تَمَّمُوا كُلَّ مَا كُتِبَ عَنْهُ أَنْزَلُوهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَوَضَعُوهُ فِي قَبْرٍ . وَلٰكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ . وَظَهَرَ أَيَّامًا كَثِيرَةً لِلَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ هُمْ شُهُودُهُ عِنْدَ الشَّعْبِ . وَنَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا . إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هٰذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضًا فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ . إِنَّهُ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ غَيْرَ عَتِيدٍ أَنْ يَعُودَ أَيْضًا إِلَى فَسَادٍ فَهٰكَذَا قَالَ إِنِّي سَأُعْطِيكُمْ مَرَاحِمَ دَاوُدَ الصَّادِقَةَ . وَلِذٰلِكَ قَالَ أَيْضًا فِي مَزْمُورٍ آخَرَ لَنْ تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا . لأَنَّ دَاوُدَ بَعْدَ مَا خَدَمَ جِيلَهُ بِمَشُورَةِ اللهِ رَقَدَ وَانْضَمَّ إِلَى آبَائِهِ وَرَأَى فَسَادًا . وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ فَلَمْ يَرَ فَسَادًا . فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ أَنَّهُ بِهٰذَا يُنَادَى لَكُمْ بِغُفْرَانِ الْخَطَايَا . وَبِهٰذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى . فَانْظُرُوا لِئَلاَّ

يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ مَا قِيلَ فِي الأَنْبِيَاءِ . أُنظُرُوا أَيُّهَا الْمُتَهَاوِنُونَ وَتَعَجَّبُوا وَاهْلِكُوا لِأَنَّنِي عَمَلاً أَعْمَلُ فِي أَيَّامِكُمْ . عَمَلاً لاتُصَدِّقُونَ إِنْ أَخْبَرَكُمْ أَحَدٌ بِهِ .

(أع ١٣ : ١٦ — ٤١)

يعتبر هذا الجزء من أهم وأطرف أجزاء سفر الأعمال لأنه يحتوى على عظة كاملة لبولس . وإذا قارناها بعظة بطرس فى أعمال ٢ نجد أنها تحتوى على نفس العناصر الرئيسية . فعظة بولس تحوى خمس أفكار رئيسية :

١ — فبولس يرى أن مجىء المسيح هو كمال التاريخ . وهى ملخص تاريخ الأمة القومى ليثبت أن المسيح هو مركز هذا التاريخ . كان الرواقيون يعتقدون أن التاريخ يسير فى دوائر وأن العالم عقب كل دورة يدمر بواسطة حريق هائل ثم تبدأ نفس العملية من جديد . فالتاريخ عندهم يكرر نفسه . ويرى آخرون أن التاريخ سجل لخطايا الناس وأخطائهم وضعفاتهم . أما النظرة المسيحية للتاريخ فهى نظرة متفائلة ، فالمسيحية ترى أن التاريخ يسير قدماً نحو هدف حدده الله .

٢ — يسجل بولس أن الناس لم يفهموا إعلان الله فى المسيح يسوع فالإنسان باختياره الطريق الذى يسير فيه وبرفضه طريق الله يصل إلى حالة من العمى فلا يبصر . إن سوء استخدام الإرادة الحرة لا يؤدى إلى الحرية بل إلى الإنحلال والهلاك .

٣ — مع أن الناس العميان رفضوا يسوع وصلبوه لكن الله لا يمكن أن

ينهزم . والقيامة هي الدليل على انتصار الله وتحقيق كل إرادته . في ليلة عاصفة نظر طفل إلى والده وقال « ياأبي يظهر أن الزمام قد أفلت من الله هذه الليلة » . إن القيامة دليل على أن الزمام لا يمكن أن يفلت من الله إذ أن إرادته وقصده يسودان .

٤ — ويستخدم بولس طريقة الجدل اليهودية . فهو يثبت أن القيامة هي تحقيق النبوات . لأن الوعود التي أعطيت لداود لم تتحقق له وفيه لكنها تحققت في المسيح . ومهما كان هذا البرهان بالنسبة لعصرنا الحاضر لكنه يرينا أن التاريخ يسير للأمام نحو تحقيق هدف الله . فهو لا يسير في دوائر ولا يسير بلا هدف لكنه يسير نحو شيء عينه الله ولا بد أن يكون .

٥ — إن مجيء المسيح ورسالته بالنسبة لمجموعة من الناس هي الأخبار السارة لذلك عاش هؤلاء الناس طبقا للناموس وطبيعي أن الناس لم يستطيعوا أن يكملوا كل الناموس بحسب كل مطاليبه لذلك كان الإنسان باستمرار شاعراً بالعجز والخطية التي لا مفر منها لكن في المسيح يسوع — في حياته وموته — يجد الإنسان القوة المحررة الغافرة التي تطلقه حراً من كل إدانة وبالتالي يجد الإنسان نفسه في علاقة حب وصداقة مع الله .

٦ — لكن ما قصد به أن يكون أخباراً سارة هو أخبار سيئة لفئة أخرى من الناس . فهذه الأخبار ستصير لهم سبب دينونة أردأ لأنهم إذ هم عميان رأوا كل شيء ورفضوه وعصوا ولم يقبلوا يسوع . يوجد عذر للشخص الذي لم يسمع لكن ما عذر الإنسان الذي رأى عظمة وغنى عطية الله ورفضها . إن عطية المحبة لبعض الناس الذين يقبلونها هي دينونة للذين يرفضونها .

اضطرابات في انطاكية

وَبَعْدَمَا خَرَجَ الْيَهُودُ مِنَ الْمَجْمَعِ جَعَلَ الأُمَمُ يَطْلُبُونَ إِلَيْهِمَا أَنْ يُكَلِّمَاهُمْ بِهٰذَا الْكَلَامِ فِي السَّبْتِ الْقَادِمِ . وَلَمَّا انْقَضَتِ الْجَمَاعَةُ تَبِعَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالدُّخَلَاءِ الْمُتَعَبِّدِينَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا اللَّذَيْنِ كَانَا يُكَلِّمَانِهِمْ وَيُقْنِعَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي نِعْمَةِ اللهِ. وَفِي السَّبْتِ التَّالِي اجْتَمَعَتْ كُلُّ الْمَدِينَةِ تَقْرِيبًا لِتَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ. فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الْجُمُوعَ امْتَلأُوا غَيْرَةً وَجَعَلُوا يُقَاوِمُونَ مَاقَالَهُ بُولسُ مُنَاقِضِينَ وَمُجَدِّفِينَ .فَجَاهَرَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَقَالاَ كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلاً بِكَلِمَةِ اللهِ وَلٰكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيٰوةِ الأَبَدِيَّةِ هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ . لِأَنَّ هٰكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ . قَدْ أَقَمْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ أَنْتَ خَلاَصًا إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ . فَلَمَّا سَمِعَ الأُمَمُ ذٰلِكَ كَانُوا يَفْرَحُونَ وَيُمَجِّدُونَ كَلِمَةَ الرَّبِّ وَآمَنَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا مُعَيَّنِينَ لِلْحَيٰوةِ الأَبَدِيَّةِ .وَانْتَشَرَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ فِي كُلِّ الْكُورَةِ . وَلٰكِنَّ الْيَهُودَ حَرَّكُوا النِّسَاءَ

الْمُتَعَبِّدَاتِ الشَّرِيفَاتِ وَوُجُوهَ الْمَدِينَةِ وَأَثَارُوا اضْطِهَادًا عَلَى بُولُسَ وَبَرْنَابَا وَأَخْرَجُوهُمَا مِنْ تُخُومِهِمْ . أَمَّا هُمَا فَنَفَضَا غُبَارَ أَرْجُلِهِمَا عَلَيْهِمْ وَأَتَيَا إِلَى إِيقُونِيَةَ . وَأَمَّا التَّلَامِيذُ فَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مِنَ الْفَرَحِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.

(أع ٢١ : ٤٢ — ٥٢)

أنطاكية بسيدية من المدن التي يمكن إحداث اضطرابات فيها بسهولة . أنشأها أحد خلفاء الأسكندر الأكبر سنة ٣٠٠ ق . م . تدفق عليها اليهود منذ انشائها كما تعودوا أن يسكنوا أية مدينة جديدة . ولما كانت أنطاكية مدينة هامة فقد اعتبرت كولونية رومانية سنة ٦ ق . م . وقد كان سكانها خليطاً من اليونانيين واليهود والرومان وعدد غير قليل من المواطنين القريجيين وهم عاطفيون غير مستقرين. في مثل هذا الخليط من السكان كانت أية شرارة كافية لإشعال نيران الفتنة . وكان أكثر ما يغيظ اليهود أن يحسوا بأن مواعيد الله يمكن أن يتمتع بها غير المختونين (أى الأمم) . لذلك بدأ اليهود الخطوة الأولى فى تلك الفتنة . وفى ذلك الوقت كانت الديانة اليهودية محبوبة جداً من النساء فى عصر انتشر فيه الفساد والشرور وخصوصاً التحرر الجنسى الذى كانت تقاسى منه النساء . فالعلاقات الأسرية كانت فى طريقها إلى الإنحلال فى حين كانت اليهودية تدعو إلى قيم أخلاقية سامية وتحبذ طهارة الحياة ونقاوتها . وقد كان النساء يجتمعن فى المجامع اليهودية — وكن غالباً من الطبقات العالية — حيث يجدن ما يصبون إليه من تعاليم .

وقد تهود عدد كبير من هؤلاء النسوة . والأخريات كن خائفات الله فقط . وكان اليهود يغرون هؤلاء النسوة أن يؤثرن على أزواجهن — وكانوا من ذوى الحيثية — أن يقاوموا المسيحية والمبشرين المسيحيين . والنتيجة الطبيعية لذلك هى انتشار اضطهاد المسيحيين . لذلك أصبح بقاء برنابا وبولس مخاطرة ، فقررا مغادرة المدينة . لقد كان قصد اليهود الاحتفاظ بمواعيد الله لهم فقط أما المسيحية فقد رأت أن عظمة هذه للمواعيد فى اشتراك أكبر عــدد فيها . قصد اليهود إغلاق الباب أمام الأمم أما المسيحية فقد رأت من البدء أن الباب يجب أن يفتح على مصراعيه وكما قيل « إن اليهود يعتبرون الوثنيين وقوداً للحريق أما المسيح فرآهم حصاداً يجب جمعه إلى مخازن الله » . وكنيسة المسيح يجب أن تكون لها نفس الرؤية للعالم فترى العالم للمسيح .

اَلْأَصْحَاحُ اَلرَّابِعُ عَشَرَ

إلى إيقونية

وَحَدَثَ فِي إِيقُونِيَةَ أَنَّهُمَا دَخَلاَ مَعًا إِلَى مَجْمَعِ الْيَهُودِ وَتَكَلَّمَا حَتَّى آمَنَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ. وَلٰكِنَّ الْيَهُودَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ غَرُّوا وَأَفْسَدُوا نُفُوسَ الْأُمَمِ عَلَى الْإِخْوَةِ. فَأَقَامَا زَمَانًا طَوِيلاً يُجَاهِرَانِ بِالرَّبِّ الَّذِي كَانَ يَشْهَدُ لِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ وَيُعْطِي أَنْ تُجْرَى آيَاتٌ وَعَجَائِبُ عَلَى أَيْدِيهِمَا. فَانْشَقَّ جُمْهُورُ الْمَدِينَةِ فَكَانَ بَعْضُهُمْ مَعَ الْيَهُودِ وَبَعْضُهُمْ مَعَ الرَّسُولَيْنِ. فَلَمَّا حَصَلَ مِنَ الْأُمَمِ وَالْيَهُودِ مَعَ رُؤَسَائِهِمْ هُجُومٌ لِيَبْغُوا عَلَيْهِمَا وَيَرْجُمُوهُمَا شَعَرَا بِهِ فَهَرَبَا إِلَى مَدِينَتَيْ لِيكَأُونِيَّةَ لِسْتْرَةَ وَدَرْبَةَ وَإِلَى الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ. وَكَانَا هُنَاكَ يُبَشِّرَانِ.

(أع ١٤ : ١ — ٧)

ذهب بولس وبرنابا إلى أيقونية التى تبعد ٩٠ ميلا عن أنطاكية . وهى مدينة قديمة يعتقد سكانها أنها أقدم من دمشق وقد كان لها ملك فى العصور

القديمة جداً اسمه ننا كوس حتى أنهم يقولون فى الأمثال « من أيام ننا كوس » أى منذ بدء الزمان . وقد بدأ بولس وبرنابا رسالتهما كالمعتاد فى المجمع اليهودى وقـــد لقيا نجاحاً لا بأس به لـكن اليهود الحاسدين أثاروا الجموع عليهم فاضطروا إلى مغادرة المدينة . ونلاحظ أن بولس وبرنابا وضعا رأسيهما على كفيهما كما نقول ، إذ أن الهدف من حركة أيقونية كان اغتيالهما . وكلما توغلا فى رحلتهما بعدا عن الحضارة . ولا شك أن وجودهما فى المدن المتحضرة كان فيه نوع من الحماية لهما إذ كانت القوات الرومانية متحـكمة وكانت تستطيع على الأقل أن تحاكم من يغتالهما . أما وجودهما فى هذه المجاهل بعيداً عن الحضارة الرومانية فـكان يعرضهما لثورة الجموع التى يسهل استثارتها بواسطة اليهود . ولا شك أن هذين الرجلين كانا يتمتعان بقدر كبير من الشجاعة . ولا شك أن الإنسان يحتاج إلى قدر من الشجاعة لـكى يصير مسيحياً لأن المسيحى شخص مختلف عن الناس .

ظنوهما آلهة فى لسترة

وَكَانَ يَجْلِسُ فِي لِسْتْرَةَ رَجُلٌ عَاجِزُ الرِّجْلَيْنِ مُقْعَدٌ مِنْ بطنِ أُمِّهِ وَلَمْ يَمْشِ قَطُّ . هٰذَا كَانَ يَسْمَعُ بُولسَ يَتَكَلَّمُ فَشَخَصَ إِلَيْهِ وَإِذْ رَأَى أَنَّ لَهُ إِيمَانًا لِيُشْفَى . قَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قُمْ عَلَى رِجْلَيْكَ مُنْتَصِبًا . فَوَثَبَ وَصَارَ يَمْشِي . فَالْجُمُوعُ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ بُولسُ رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِلُغَةِ لِيكَأُونِيَّةَ قَائِلِينَ إِنّ

الآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بالنَّاسِ وَنَزَلوا إِلَيْنَا . فَكَانُوا يَدْعُونَ بَرْنَابا زَفسَ وَبُولُسَ هَرْمَسَ إِذْ كَانَ هُوَ الْمتقَدمَ فِي الكَلاَمِ . فَأَتَى كَاهِنُ زَفْسَ الَّذِي كانَ قُدَّامَ الْمَدِينَةِ بِثِيرَانٍ وَأَكَالِيلَ عِنْدَ الْأَبْوَابِ مَعَ الجُمُوعِ وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَ . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّسُولاَنِ بَرْنَابَا وَبُولسُ مَزَّقَا ثِيَابَهُمَا وَانْدَفَعَا إِلى الْجَمْعِ صَارِخَيْنِ . وَقَائِلَيْنِ أَيُّهَا الرِّجَالُ لِمَاذَا تَفْعَلونَ هٰذَا نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلُكُمْ نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هٰذِهِ الْأَبَاطِيلِ إِلى الْإِلٰهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ والْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكلَّ مَا فِيهَا . الذِي فِي الْأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ تَرَكَ جَمِيعَ الْأُمَمِ يَسْلُكُونَ فِي طرُقِهِمْ . مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطارًا وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا . وَبِقَوْلِهِمَا هٰذَا كَفَّا الْجُمُوعَ بِالْجَهْدِ عَنْ أَنْ يَذْبَحُوا لَهُمَا .

(أع ١٤ : ٨ —

من أيقونية ذهب بولس وبرنابا إلى لسترة وهناك حدثت لهم حادثة غاية في الغرابة . وشرح هذه الحادثة يرجع إلى التاريخ الخرافي لمقاطعة ليكأونية . فالناس حول لسترة يقولون إن زفس وهرمس جاءا إلى الأرض متخفيين .

ولم يكرمهما أى شخص فى المدينة وأخيراً وجدهما فلاح اسمه فليمون وزوجته بوكس فأخذاهما إلى البيت وأكرماهما . وكان من نتيجة ذلك أن الآلهة قتلت كل السكان ما عدا فليمون وزوجته الذين أصبحا حارسين للمعبد العظيم والذين تحولا إلى شجرتين عظيمتين بعد وفاتهما . لذلك عندما شفى بولس الإنسان المقعد صمم سكان لسترة ألا يتجاهلوا الآلهة مرة أخرى حتى لا يقعوا فى نفس الخطأ . ولا بد أن منظر برنابا كان مهيباً لذلك أطلقوا عليه اسم زفس ملك الآلهة أما هرمس فهو إله الخطابة ورسول الآلهة لذلك سموا بولس هرمس لأنه كان المتحدث لكن هذا الفصل الطريف يصور لنا طريقة بولس فى التفاهم مع مجموعة من الوثنيين وليس لهم أى خلفية يهودية يمكن أن يبدأ منها حديثه . وعندما بدأ بولس حديثه معهم بدأ يتكلم عن الطبيعة حتى يصل من ذلك إلى الله . ولا شك أن كل الناس يعرفون عن المطر والشمس والزرع والحصاد لذلك بدأ بولس بهذه المقدمة ليقودهم إلى الله الذى يدبر كل هذه الأمور . ولقد عمل بولس المعلم العظيم ما كان يجب أن يعمله أى معلم آخر فبدأ من المنظور والحاضر واستطرد إلى غير المنظور والبعيد . ولا شك أنه يجدر بنا أحيانا أن نتذكر أن العالم صنع يدى القدير . يقال إن مجموعة من رفاق نابليون كانت تركب معه سفينة تسير فى البحر الأبيض المتوسط وفيما هم يتكلمون فى أمور شتى استبعدوا وجود الله نهائياً . وكان نابليون يستمع إليهم ولا يشاركهم الحديث لكنه رفع بصره وأشار إلى السماء والبحر المتسع وقال لهم « يارفاق من صنع هذا ؟ » يحسن بنا أن ننظر إلى العالم ونتذكر أن الله هو الذى صنع كل هذا .

شجاعة بولس

ثُمَّ أَتَى يَهُودٌ مِنْ أَنْطَاكِيَةَ وَإِيقُونِيَةَ وَأَقْنَعُوا الْجُمُوعَ فَرَجَمُوا بُولُسَ وَجَرُّوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ظَانِّينَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ. وَلٰكِنْ إِذْ أَحَاطَ بِهِ التَّلَامِيذُ قَامَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَفِي الْغَدِ خَرَجَ مَعَ بَرْنَابَا إِلَى دَرْبَةَ.

(أع ١٤: ١٩، ٢٠)

وفى وسط أحداث لسترة وصلت جماعة من اليهود. غالباً جاءوا لأحد سببين: ربما قصدوا تتبع بولس وبرنابا لهدم كل ما يقومان به. وربما جاءوا للمدينة للتجارة، فقد كانت المنطقة المحيطة بلسترة تزرع القمح، وكان التجار يحضرون لشراء القمح وإرساله إلى أيقونية وأنطاكية. فإن كانوا مجرد تجار فربما فوجئوا ببولس وهو يصر على وعظ الناس لذلك غضبوا وأثاروا الناس ضده.

ومع أن لسترة كولونية رومانية لكنها كانت مدينة متطرفة بعيداً. ولما رأى الناس مافعلوا خافوا وهذا مادعاهم إلى سحب بولس — الذى ظنوه قتيلا — خارج المدينة. لا شك أنهم خافوا من بطش القوة الرومانية والقانون الرومانى لذلك حاولوا التخلص من جثمان بولس ليتجنبوا العقاب. لكن الشىء البارز فى هذه القصة هو شجاعة بولس الواضحة، فإن أول ما فعله عندما عاد إلى رشده أنه رجع إلى نفس المدينة التى رجم فيها ولم يجل بخاطره أن يهرب. لقد كان جون ويسلى يقول دائماً «لاتخف من الجمهور»

لقـــد كانت منتهى الشجاعة من بولس أن يرجع ثانية إلى نفس المدينة التى حاولت قتله . ولا شك أن عملاً كهذا لهو أقوى من مائة عظة . ولاشك أن للناس كانوا يتساءلون ما هو مصدر هذه الشجاعة الفائقة .

تشديد الكنيسة

فَبَشَّرَا فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَتَلْمَذَا كَثِيرِينَ . ثُمَّ رَجَعَا إِلَى لِسْتْرَةَ وَإِيقُونِيَةَ وَأَنْطَاكِيَةَ . يُشَدِّدَانِ أَنْفُسَ التَّلاَمِيذِ وَيَعِظَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ . وَانْتَخَبَا لَهُمْ قُسُوسًا فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ ثُمَّ صَلَّيَا بِأَصْوَامٍ وَاسْتَوْدَعَاهُمْ لِلرَّبِّ الَّذِي كَانُوا قَدْ آمَنُوا بِهِ . وَلَمَّا اجْتَازَا فِي بِيسِيدِيَّةَ أَتَيَا إِلَى بَمْفِيلِيَّةَ . وَتَكَلَّمَا بِالْكَلِمَةِ فِي بَرْجَةَ ثُمَّ نَزَلاَ إِلَى أَتَّالِيَةَ . وَمِنْ هُنَاكَ سَافَرَا فِي الْبَحْرِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ حَيْثُ كَانَا قَدْ أُسْلِمَا إِلَى نِعْمَةِ اللهِ لِلْعَمَلِ الَّذِي أَكْمَلاَهُ . وَلَمَّا حَضَرَا وَجَمَعَا الْكَنِيسَةَ أَخْبَرَا بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ مَعَهُمَا وَأَنَّهُ فَتَحَ لِلأُمَمِ بَابَ الإِيمَانِ . وَأَقَامَا هُنَاكَ زَمَانًا لَيْسَ بِقَلِيلٍ مَعَ التَّلاَمِيذِ .

(أع ١٤ : ٢١ — ٢٨)

يلقى هذا الجزء أضواء على عقلية بولس :

١ — فنرى إخلاصه المطلق وأمانته للناس الذين صاروا مسيحيين . لقد بين لهم جهاراً أنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله . إنه لم يقدم لهم طريقاً سهلاً بل اتبع نفس أسلوب يسوع الذى جاء لا ليجعل الحياة سهلة بل ليخلق أناساً عظماء .

٢ — وفى رحلة العودة انتخب بولس قسوساً (شيوخاً) لكل مجموعة من المؤمنين الجدد . فلم يترك المؤمنين ليعيشوا كأفراد منعزلين عن بعضهم . وهكذا أوضح لنا بولس أنه مقتنع تماماً بأن المسيحية التى نعيشها يجب أن نعيشها فى شركة معاً . وقد قال أحد الآباء مرة « لا يمكن لإنسان أن يتخذ الله أباً ما لم تكن الكنيسة هى أمه » وقال يوحنا وسلى « لا يمكن أن يوجد إنسان فى السماء وحيداً . فهو إما أن يذهب مع أصدقائه أو يصنع له أصدقاء » ومن بدء الكنيسة كان هدف بولس لا أن يوجد عدداً من المؤمنين كأفراد بل أن يبنى هؤلاء الأفراد ليصيروا فى شركة معاً .

٣ — لم يظن بولس أو برنابا لحظة أن قوتهما صنعت شيئاً ما . لكنهما كانا يتحدثان عن قوة الله التى عملت بهم . ونظرا إلى نفسيهما فقط كعاملين مع الله . عقب الانتصار العظيم فى موقعة أجنكورت أمر الملك هنرى بألا تنشد الأناشيد أو الأغانى ممجدة هذا الانتصار بل أن يعطى المجد كله لله . وأننا نبدأ فهم المسيحية الحقيقية ومعنى الخدمة المسيحية عندما نعمل لا لمجد أنفسنا أو للحصول على مراكز أو سلطة بل لمجد الله واثقين أننا مجرد أدوات فى يده .

مشكلة عصيبة

إن تبشير الأمم ودخولهم إلى الكنيسة أوجد مشكلة تطلبت حلا . إن العقلية اليهودية لم تكن تدرك إلا أنهم الشعب المختار . وكان مفهومهم ليس مجرد أن الله اختصهم لكن أكثر من ذلك أنهم امتلكوا الله لهم ليكون إلها خاصاً بهم وحدهم . لذلك كانت المشكلة هل يتهود الأممى قبل أن يصبح مسيحيا ؟ أى هل يلزم أن يختتن وأن يخضع لناموس موسى ؟ أم يمكن أن يدخل المسيحية كما هو ؟ وهل من الممكن قبوله لأنه انسان ؟ وحتى لو أمكن حل هذه المشكلة فإن مشكلة أخرى تنشأ بعدها . فإن اليهودى المتطرف لا يتعامل مع الأممى ولا يقبله ضيفا عنده ولا يشترك معه فى أى عمل تجارى . إذن فحتى لو قبل الأمم فى الكنيسة فإلى أى مدى يمكن أن يتعاون اليهود والأمم فى الحياة الاجتماعية فى الكنيسة وفى العالم ؟ أم هل تظل الحدود الفاصلة موجودة داخل الكنيسة ؟ وهل يمكن أن يعيش الأمم واليهود على قدم المساواة فى الكنيسة ؟

هذه هى المشاكل التى كان يتحتم حلها. ولم يكن الحل سهلاً لكن الكنيسة حسمت الأمر فى النهاية مقررة أنه لا يجب أن يكون هناك أى فوارق بين اليهود والأمم على الإطلاق . وفى الأصحاح الخامس عشر نجد تفاصيل مجمع أورشليم الذى قرر هذا القرار . وكانت قرارات هذا المجمع بمثابة صك التحرير للأمم .

الأَصْحَاحُ الخَامِس عَشَرَ

المشكلة تتأزم

وَانْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ أَنَّه إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأُنَاسٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايِخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هَـذِهِ الْمَسْأَلَةِ . فَهؤُلاَءِ بَعْدَمَا شَيَّعَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ اجْتَازُوا فِي فِينِيقِيَةَ وَالسَّامِرَةِ يُخْبِرُونَهُمْ بِرُجُوعِ الأُمَمِ وَكَانُوا يُسَبِّبُونَ سُرُورًا عَظِيمًا لِجَمِيعِ الإِخْوَةِ . وَلَمَّا حَضَرُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ وَالرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ مَعَهُمْ . وَلٰكِنْ قَامَ أُنَاسٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا إِنَّه يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَتَنُوا وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى

(أع ١٥ : ١ – ٥)

لعله بمحض الصدفة أن معظم الأشياء المصيرية حدثت فى أنطاكية . لقد كان الإنجيل يقـــدم إلى اليهود والأمم فى أنطاكية وعاش اليهود والأمم متآخين . لكن كان هناك بعض اليهود الذين نظروا إلى الأمر نظرتهم إلى شيء غير معقول لم يستطيعوا أن ينسوا مركزهم كمختارى الله . كانوا على استعداد تام لقبول الأمم فى الكنيسة بشرط أن يتهودوا أولاً . ولو ساد هذا الرأى فى الكنيسة لأصبحت مجرد شيعة يهودية . وقد جاء بعض هؤلاء اليهود المتعصبون إلى أنطاكية وحاولوا إقناع المتجددين أنهم سيفقـــدون كل شيء ما لم يتهودوا . وبديهى أن بولس وبرنابا ناقشا هذا الفكر وحارباه بكل قوة لكن الأمر انتهى إلى طريق مسدود ولم يكن هناك حل إلا رفع الأمر إلى المركز الرئيسى فى أورشليم . حتى يتخذوا قراراً على أى وجه . وكانت القضية التى طرحها بولس وبرنابا هى مجرد عرض لما حدث فعلاً . وتركوا الأمور تتحدث عن نفسها . كانوا يعرفون كل شيء عن الفريسيين الذين دخلوا المسيحية . إن معنى كلمة فريسى هو الشخص المعتزل عن الناس ليحاول أن يطبق التفاصيل الدقيقة للناموس . وكان الفريسيون مصممين على أن يتهود الأمم أولا بمعنى أن يختتنوا وأن يحفظوا الناموس .

وكان المبدأ المعروض للمناقشة فى غاية البساطة : هل عطية الله لقلة مختارة أو للعالم كله ؟ وإذا كنا قد أخذنا هذه العطية فهل هى ملك خاص لنا أم مسئولية أعطيت لنا ؟ وقد لا نواجه مثل هذه المشكلة فى أيامنا الحاضرة بنفس الصورة

لكننا نلاحظ أن الفوارق بين طبقة وأخرى ودولة وأخرى ولون وآخر ما زالت موجودة . وعندما نهدم الجدران التى تفصل بين الناس فإننا ندرك معنى المسيحية الحقيقية .

بطرس يشرح القضية

فاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هٰذَا الأَمْرِ . فَبَعْدَمَا حَصَلَتْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ قَامَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِفَمِي يَسْمَعُ الأُمَمُ كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ . وَاللهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضًا . وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ إِذْ طَهَّرَ بِالإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ . فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلاَمِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلاَ نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ . لٰكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولٰئِكَ أَيْضًا . فَسَكَتَ الْجُمْهُورُ كُلُّهُ . وَكَانُوا يَسْمَعُونَ بَرْنَابَا وَبُولُسَ يُحَدِّثَانِ بِجَمِيعِ مَا صَنَعَ اللهُ مِنَ الآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ فِي الأُمَمِ بِوَاسِطَتِهِمْ .

(أع ١٥ : ٦ — ١٢)

والإجابة على اعتراضات الفريسيين والمتزمتين من اليهود وقف بطرس يذكرهم بما حدث له شخصياً عندما قبل كرنيليوس فى الكنيسة منذ حوالى عشر سنوات . وقد ساق بطرس دليلاً قوياً على صحة تصرفه أن الله أعطى الروح القدس لأولئك الأمميين الذين قبلوا الإيمان . وبحسب الناموس كان هؤلاء الأمميون غير طاهرين لكن الله عمل عملاً عظيماً إذ طهر قلوبهم بالروح القدس . ثم قال بطرس « هل وجد أى إنسان السعادة فى ظل الناموس » ؟ فإن محاولة إطاعة أوامره المتنوعة والحصول على الخلاص محاولة فاشلة . والطريق الوحيد أمام أى إنسان هو قبول عطية الله المجانية بالخضوع التام لعمل نعمة الله والإيمان .

لقد دخل بطرس بكلامه إلى لب الموضوع مباشرة . فجوهر المشكلة كان « هل يستطيع الإنسان أن يتمتع برضى الله ؟ » هل يمكن أن يتبرر الإنسان بمجهوداته الشخصية ؟ هل يتبرر الإنسان بطاعة الناموس ؟ أم هل يجب أن يعترف أنه عاجز وبلا حول أو قوة ويظهر استعداده أن يقبل ما تقدمه له نعمة الله ؟ كان اليهود يرون أن « الدين معناه التمتع برضى الله بحفظ الناموس » أما بطرس فقال « إن الدين معناه أن نلقى بأنفسنا على نعمة الله ومحبته » وهنا يتضح الفرق بين دين الأعمال ودين النعمة . فالسلام لا يحل فى قلب إنسان يداين الله بأعماله لكنه يحل فى قلب الإنسان الذى يأخذ ما يقدمه له الله بالنعمة . وفى المسيحية أشياء ترى أنها متناقضة فالطريق للنصرة هو الخضوع والتسليم . والطريق للقوة هو الاعتراف بالعجز .

وَبَعْدَمَا سَكَتَا أَجَابَ يَعْقُوبُ قَائِلاً أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ اَسْمَعُونِي. سِمْعَانُ قَدْ أَخْبَرَ كَيْفَ افْتَقَدَ اللهُ أَوَّلاً الأُمَمَ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْبًا عَلَى اسْمِهِ. وَهٰذَا تُوَافِقُهُ أَقْوَالُ الأَنْبِيَاءِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ. سَأَرْجِعُ بَعْدَ هٰذَا وَأَبْنِي أَيْضًا خَيْمَةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ وَأَبْنِي أَيْضًا رَدْمَهَا وَأُقِيمُهَا ثَانِيَةً. لِكَيْ يَطْلُبَ الْبَاقُونَ مِنَ النَّاسِ الرَّبَّ وَجَمِيعُ الأُمَمِ الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ الصَّانِعُ هٰذَا كُلَّهُ. مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ. لِذٰلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لاَ يُثَقَّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللهِ مِنَ الأُمَمِ. بَلْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ وَالزِّنَا وَالْمَخْنُوقِ وَالدَّمِ. لأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَالٍ قَدِيمَةٍ لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ إِذْ يُقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ.

(أع ١٥ : ١٣ — ٢١)

فى هذا الجزء نرى قضية قبول الأمم موضوعة فى الميزان وفى هذه اللحظة الفاصلة تكلم يعقوب. وكان يعقوب يشغل مركزاً هاماً إذ كان قائد كنيسة

أورشليم . ولكنه لم يكن قائداً معيناً كوظف يقوم بعمل بل كان قائداً بحكم شخصيته كرجل مرموق أحبه الناس وأسلموا له القيادة . وهو أخو الرب . ولقد ظهر له الرب ظهوراً خاصاً (١ كو ١٥ : ٧) وكان عاموداً فى كنيسة الرب (غل ١ : ١٩) ولقد كان مواظباً على الصلاة راكعاً طول الوقت حتى قيل أن ركبتيه كانتا كركبتى الجمل . ولقد كان يتمتع بسمعة ممتازة حتى اشتهر بيعقوب العادل . ولكن الأهم من ذلك أنه كان رجلاً محافظاً يحفظ الناموس . فإذا كان هذا الرجل العادل والمحافظ المدقق يقتنع بدخول الأمم فإن كل شيء سيسير على ما يرام . وهذا ماحدث بالفعل . فقد حكم بدخول الأمم دون وضع عوائق فى طريقهم. ولكن بعض الأحكام الإجتماعية كان لها دخل فى الموضوع .

فكيف يتعامل يهودى مدقق مع أممى ؟ لذلك اقترح يعقوب بعض التنظيمات التى يجب أن يلتزم بها الأممى . فيجب أن يمتنع عن أكل ماذبح للأوثان . فقد كان أكل اللحم المذبوح للوثن من أهم مشاكل الكنيسة الأولى . وقد شرح بولس هذا الموضوع باسهاب فى ١ كو ٨ و٩ . ترى ما هى خلفية هذه المشكلة ؟ عندما كان الوثنى يقدم ذبيحة للوثن فإنه كان يقدم جزءاً بسيطاً للإله أما الباقى فكان يأخذه ليأكله مع أصدقائه فى وليمة غالباً فى أحد أروقة الهيكل أو فى منزله . وكان الكهنة يحصلون على جزء من الذبيحة وغالباً كانوا يبيعونها فى الأسواق . هذا اللحم هو الذى أطلق عليه ماذبح للأوثان وكان فى رأيهم أنه مذبوح للشياطين . ولم يكن أى مسيحى يجرؤ على التنجس بأكل هذا اللحم .

أما النواهى الأخرى فهى الامتناع عن الزنا . ولقد قيل أن العفة هى الفضيلة

الجديدة التى أدخلتها المسيحية إلى العالم . فالمسيحى يجب أن يكون طاهراً فى عالم غير طاهر .

كما يجب أن يمتنعوا عن المخنوق والدم . فالدم بالنسبة لليهودى هو الحياة فإذا ما أريق الدم ذوت جذوة الحياة .

لذلك لا يأكل اليهودى إلا اللحم المذبوح بعد تصفية دمه . لأن الدم هو الحياة والحياة ملك لله . لذلك نصح الأمم بأكل اللحم المذبوح على الطريقة اليهودية . ولو لم يتبع الأمميون هذه القوانين والتنظيمات البسيطة لما كان هناك انسجام بين اليهود والأمم فى الكنيسة . لكن هذه التنظيمات أزالت كل الحواجز ووحدت بين الناس فى الكنيسة .

إذاعة القرار

حِينَئِذٍ رَأَى الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ مَعَ كُلِّ الْكَنِيسَةِ أَنْ يَخْتَارُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ فَيُرْسِلُوهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا يَهُوذَا الْمُلَقَّبَ بَرْسَابَا وَسِيلَا رَجُلَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الْإِخْوَةِ . وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ هٰكَذَا . الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ وَالْإِخْوَةُ يُهْدُونَ سَلَاماً إِلَى الْإِخْوَةِ الَّذِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَنْطَاكِيَةَ وَسُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ . إِذْ قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ أُنَاسًا خَارِجِينَ مِنْ عِنْدِنَا أَزْعَجُوكُمْ بِأَقْوَالٍ مُقَلِّبِينَ أَنْفُسَكُمْ وَقَائِلِينَ أَنْ تَخْتَتِنُوا وَتَحْفَظُوا

النَّامُوسَ . الَّذِينَ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْهُمْ . رَأَيْنَا وَقَدْ صِرْنَا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ وَنُرْسِلَهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ حَبِيبَيْنَا بَرْنَابَا وَبُولُسَ . رَجُلَيْنِ قَدْ بَذَلاَ أَنْفُسَهُمَا لأَجْلِ اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ . فَقَدْ أَرْسَلْنَا يَهُوذَا وَسِيلاَ وَهُمَا يُخْبِرَانِكُمْ بِنَفْسِ الأُمُورِ شِفَاهًا . لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ غَيْرَ هٰذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ . أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ وَعَنِ الدَّمِ وَالْمَخْنُوقِ وَالزِّنَا الَّتِي إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْهَا فَنِعِمَّا تَفْعَلُونَ . كُونُوا مُعَافَيْنَ .

فَهٰؤُلاَءِ لَمَّا أُطْلِقُوا جَاءُوا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَجَمَعُوا الْجُمْهُورَ وَدَفَعُوا الرِّسَالَةَ . فَلَمَّا قَرَأُوهَا فَرِحُوا لِسَبَبِ التَّعْزِيَةِ . وَيَهُوذَا وَسِيلَا إِذْ كَانَا هُمَا أَيْضًا نَبِيَّيْنِ وَعَظَا الإِخْوَةَ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ وَشَدَّدَاهُمْ . ثُمَّ بَعْدَمَا صَرَفَا زَمَانًا أُطْلِقَا بِسَلاَمٍ مِنَ الإِخْوَةِ إِلَى الرُّسُلِ . وَلٰكِنَّ سِيلَا رَأَى أَنْ يَلْبَثَ هُنَاكَ . أَمَّا بُولُسُ وَبَرْنَابَا فَأَقَامَا فِي أَنْطَاكِيَةَ يُعَلِّمَانِ وَيُبَشِّرَانِ مَعَ آخَرِينَ كَثِيرِينَ أَيْضًا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ .

(أع ١٥ : ٢٢ — ٣٥)

عندما توصلت الكنيسة إلى قرار فعال مناسب كتبت القرار فى خطاب . وقد أرسلت الكنيسة هذا الخطاب مع رسولين ممتازين يهوذا وسيلا الذين ذهبا مع بولس وبرنابا إلى أنطاكية . عاد بولس وبرنابا وحدهما فربما ساور أعداءهما الشك فى القرار لكن يهوذا وسيلا كانا بمثابة رسوليين رسميين من الكنيسة للشهادة على صحة القرار . ولقد كان هذا حكمة من الكنيسة أن ترسل الخطاب والرسولين .

قال أحد الكتاب المسيحيين الأوائل أنه تعلم الكثير من الكلام الحقيق الذي كان يسمعه أكثر من كل ما قرأه . فالخطاب وحده كان يوصى بالرسميات الجامدة أما كلمات يهوذا وسيلا المشجعة فقد أضافت إلى الخطاب دفء المحبة المسيحية التى لا يستطيع أى خطاب أن يوصلها . ولعلنا نتذكر فى حياتنا مواقف عديدة كانت الخطابات وحدها مثار مشكلات كان يمكن تفاديها لو قمنا بزيارة لمن نريد محادثته .

إن الكنيسة لم تتخذ قراراً حاسماً فقط ، لكنها اختارت أفضل وسيلة لتنفيذ هذا القرار .

بولس يسافر ثانية

ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ بُولُسُ لِبَرْنَابَا لِنَرْجِعْ وَنَفْتَقِدْ إِخْوَتَنَا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ نَادَيْنَا فِيهَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ كَيْفَ هُمْ . فَأَشَارَ بَرْنَابَا أَنْ يَأْخُذَا مَعَهُمَا أَيْضاً يُوحَنَّا الَّذِى يُدْعَى مَرْقُسَ . وَأَمَّا

بُولُسُ فَكَانَ يَسْتَحْسِنُ أَنَّ الَّذِي فَارَقَهُمَا مِنْ بَمْفِيلِيَّةَ وَلَمْ يَذْهَبْ مَعَهُمَا لِلْعَمَلِ لَا يَأْخُذَانِهِ مَعَهُمَا . فَحَصَلَ بَيْنَهُمَا مُشَاجَرَةٌ حَتَّى فَارَقَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ . وَبَرْنَابَا أَخَذَ مَرْقُسَ وَسَافَرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى قُبْرُسَ . وَأَمَّا بُولُسُ فَاخْتَارَ سِيلَا وَخَرَجَ مُسْتَوْدَعاً مِنَ الإِخْوَةِ إِلَى نِعْمَةِ اللهِ . فَاجْتَازَ فِي سُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ يُشَدِّدُ الْكَنَائِسَ .

(أع ١٥ : ٣٦ — ٤١)

كان بولس مغامراً لا يطيق البقاء فى مكان واحد . لذلك صمم على السفر مرة أخرى . لكن هذا القرار انتهى إلى مأساة . فقد طلب برنابا أن يأخذ معه يوحنا مرقس أما بولس فقد أصر على ألا يتعامل مع شخص تركه فى رحلته الأولى فى بمفيلية . ولقد كان الخلاف حاداً حتى أنهما انفصلا عن بعضهما ولم يعملا معاً بعد ذلك أبداً . ومن الصعب أن نحكم أيهما كان على صواب . لكن من المؤكد أن مرقس كان سعيد الحظ أن كان له صديق كبرنابا . فلقد رأينا مرقس يثبت وجوده فى النهاية . وربما كانت صداقة برنابا ذى القلب الكبير المحب هى التى علمت مرقس أن يثق فى نفسه ويصمم على العمل . إن أعظم ما يغير الإنسان أن يجد شخصاً يثق به . لقد وثق برنابا بمرقس واستطاع مرقس فى النهاية أن يثبت أنه كان جديراً بهذه الثقة .

الرحلة التبشيرية الثانية

نجد تفاصيل رحلة بولس التبشيرية الثانية التى استمرت ثلاث سنوات من أ ع ١٥ : ٣٦ إلى أ ع ١٨ : ٢٣ .

ولقد بدأت من أنطاكية ، وزار بولس أولا كنائس سوريا وكليكية ثم عاد لزيارة كنائس دربه ولستره وإيقونية وأنطاكية بسيدية . ثم وصل إلى نقطة لم تتضح فيها رؤية الطريق الذى يجب أن يسلكه بعد ذلك ولكن هذه الفترة انتهت برؤيا فى ترواس فعبر من هناك إلى نيابوليس ثم فيلبى ومنها إلى تسالونيكى وبيريه . ثم اتجه إلى أثينا ثم كورنثوس حيث صرف حوالى ثمانية عشر شهراً . ثم سافر إلى أورشليم ماراً بأفسس وأخيراً عاد إلى أنطاكية نقطة البداية . ولعل أهم خطوة فى هذه الرحلة أن بولس تجاوز آسيا الصغرى وتوغل إلى أوربا .

الأَصْحَاحُ السَّادِسَ عَشَرَ

ابن في الإيمان

ثُمَّ وَصَلَ إِلَى دَرْبَةَ وَلِسْتْرَةَ وَإِذَا تِلْمِيذٌ كَانَ هُنَاكَ ٱسْمُهُ تِيمُوثَاوُسُ ٱبْنُ ٱمْرَأَةٍ يَهُودِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَلٰكِنَّ أَبَاهُ يُونَانِيٌّ. وَكَانَ مَشْهُوداً لَهُ مِنَ الإِخْوَةِ الَّذِينَ فِي لِسْتْرَةَ وَإِيقُونِيَةَ. فَأَرَادَ بُولُسُ أَنْ يَخْرُجَ هٰذَا مَعَهُ فَأَخَذَهُ وَخَتَنَهُ مِنْ أَجْلِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي تِلْكَ الأَمَاكِنِ لِأَنَّ الْجَمِيعَ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَبَاهُ أَنَّهُ يُونَانِيٌّ. وَإِذْ كَانُوا يَجْتَازُونَ فِي الْمُدُنِ كَانُوا يُسَلِّمُونَهُمُ الْقَضَايَا الَّتِي حَكَمَ بِهَا الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ لِيَحْفَظُوهَا. فَكَانَتِ الْكَنَائِسُ تَتَشَدَّدُ فِي الإِيمَانِ وَتَزْدَادُ فِي الْعَدَدِ كُلَّ يَوْمٍ.

(أع ١٦ : ١ — ٥)

عاد بولس إلى لسترة التي وعظ فيها منذ خمس سنوات سابقة ولا شك أن قلبه كان مفعما بالفرح وهو يرى الكنيسة وخصوصا عندما رأى الشاب الذى

صار من أحب الناس إليه . وكان من الطبيعى أن يبحث بولس عن شاب يحمل محل مرقس .

فلقد كان فى تخطيطه أن يدرب جيلاً جديداً للعمل مستقبلاً . ولقد وجد فى تيموثاوس ضالته المنشودة . ولعلنا نستغرب أن بولس ختن تيموثاوس مع أنه انتصر فى معركة هامة عندما أعلن أن الختان ليس ضروريا . لكن يجب ألا ننسى أن تيموثاوس يهودى وأن بولس لم يقل أبداً إن الختان ضرورى لليهود بل كان الإذن للأمم فقط لكى لا يتهودوا . وفى الحقيقة فإن اعتبار بولس أن تيموثاوس شخص يهودى يرينا مقدار تحرر بولس من الفكر اليهودى لأن تيموثاوس كان ابناً لزواج مختلط . واليهودى المحافظ كان يرفض الاعتراف بهذا النوع من الزواج . ففى نظر اليهودى إذا تزوج يهودى أممية أو تزوج أممى يهودية يعتبر الطرف اليهودى فى الزواج ميتاً لدرجة أنهم كانوا يعملون جنازة . لذلك فقبول تيموثاوس كأخ يهودى يوضح بكل تأكيد أن بولس حطم كل الحواجز القومية . وتيموثاوس كان شاباً ممتازاً كانت له أم طيبة وجدة تقية (٢ تى ١ : ٥) ولقد أصبح رسول بولس الذى يحمل رسائله (١ كو ٤ : ١٧ ، ١ تس ٣ : ٢ — ٦) وكان مع بولس فى أثناء سجنه فى روما (فيلبى ١ : ١ ، ٢ : ١٩ وكو ١ : ١ وفل ١) وكان على صلة شديدة ببولس حتى أنه لما كتب إلى كورنثوس (١ كو ٤ : ١٧) دعاه الإبن الحبيب . ولما كتب إلى فيلبى قال إنه ليس له أحد نظير نفسه أى أن فكر تيموثاوس يطابق فكر بولس تماما (فيلبى ٢ : ١٩) وفى الغالب رأى بولس فى تيموثاوس خليفته فى العمل بعد انتهاء رسالته . ما أسعد الإنسان [illegible] تعليمه خليفته الذى يحمل الحمل بعده .

الإنجيل يصل إلى أوربا

وَبَعْدَمَا اجْتَازُوا فِي فِرِيجِيَّةَ وَكُورَةِ غَلاَطِيَّةَ مَنَعَهُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِالْكَلِمَةِ فِي أَسِيَّا . فَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مِيسِيَّا حَاوَلُوا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى بِثِينِيَّةَ فَلَمْ يَدَعْهُمُ الرُّوحُ . فَمَرُّوا عَلَى مِيسِيَّا وَانْحَدَرُوا إِلَى تَرُوَاسَ . وَظَهَرَتْ لِبُولُسَ رُؤْيَا فِي اللَّيْلِ رَجُلٌ مَكِدُونِيٌّ قَائِمٌ يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ وَأَعِنَّا . فَلَمَّا رَأَى الرُّؤْيَا لِلْوَقْتِ طَلَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ مُتَحَقِّقِينَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَانَا لِنُبَشِّرَهُمْ .

(أع ١٦ : ٦ – ١٠)

ظل بولس وقتاً يحس أن كل الأبواب موصدة أمامه ولابد أنه تعجب من أن الروح القدس يمنعه من العمل في مقاطعات آسيا الصغرى التي وجدت فيها كنيسة أفسس وغيرها من الكنائس السبع التي جاء ذكرها في سفر الرؤيا . وحتى بثينيا أغلقت في وجهه . لكن كيف كان الروح القدس يعطي بولس تعليماته ؟ ربما عن طريق أنبياء ، أو رؤى أو عن طريق اقتناع داخلي صحيح لا يمكن معاندته . لكن يبقى الاحتمال أن ما منع بولس من التجول في هذه المناطق هو ضعف صحة بولس نتيجة للشوكة التي عاني منها في الجسد ومما يجعل هذا الاحتمال متوقعاً هو ظهور ضمير الجماعة (نحن) فجأة في عدد ١٠ . وتتغير القصة من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم . وهذا يدلنا على أن لوقا كان شاهد عيان لهذا الحادث

بينما كان مع بولس لماذا يظهر لوقا فجأة على مسرح الحوادث ؟ وما هى وظيفة لوقا ؟ لقد كان لوقا طبيبا . بل ربما كان أقرب إلى الاحتمال أن بولس قابل لوقا عندئذ واستبقاه معه للاستفادة من خدماته الطبية إذ أن صحته كانت ضعيفة وهذا ما منعه من عمل الرحلات التى كان يريدها . فإن كان هذا الرأى صحيحاً فإن هذا يبين لنا درساً عظيماً إذ أن بولس نظر حتى إلى ضعفه ومرضه كرسالة من الله . وكانت رؤيا الرجل المكدونى هى التى أرشدت بولس إلى المكان الذى يجب أن يتجه إليه . لكن من كان هذا الرجل المكدونى الذى رآه بولس فى الحلم ؟ يعتقد البعض أن هـذا الرجل ليس إلا لوقا نفسه . إذ ربما كان لوقا مكدونيا . لكن يرى البعض الآخر أننا يجب ألا نسأل مثل هذا السؤال لأن الرؤى لا يجب أن تفسر بهذه الطريقة . لكن توجد نظرية جذابة لتفسير ذلك . لقد نجح شخص واحـد فى غزو العالم كله وهـو الأسكندر الأكبر . وربما تآلفت كل الظروف حتى يتذكر بولس الأسكندر الأكبر . فإن الإسم الكامل لمدينـة ترواس هو ترواس الأسكندرية التى سميت على اسم الأسكندر وعبر البحر كانت مدينة فيلبى التى سميت على اسم أبيه . وعلى بعد منها مدينة تسالونيكى التى سميت على اسم أخت غير شقيقة للأسكندر ، فالمنطقة كلها تعج بالذكريات عن الأسكندر الأكبر الذى جعل له هدفاً أن « يقرن الشرق بالغرب » ليجعل منهما عالماً واحداً . وربما جال بفكر بولس إذ كان يخطو من الشرق إلى الغرب ، من آسيا الصغرى إلى أوربا ، كل هذه الأفكار وتذكر الأسكندر الذى غزا العالم وربما كانت هذه الأفكار رافعة لبولس لغزو العالم وجعله عالماً واحداً تحت راية المسيح .

أول متجدد فى أوربا

فَأَقْلَعْنَا مِنْ تَرُوَاسَ وَتَوَجَّهْنَا بِالاسْتِقَامَةِ إِلَى سَامُوثْرَاكِي وَفِي الْغَدِ إِلَى نِيَابُولِيسَ . وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى فِيلِبِّي الَّتِي هِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ مِنْ مُقَاطَعَةِ مَكِدُونِيَّةَ وَهِيَ كُولُونِيَّةُ . فَأَقَمْنَا فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ أَيَّامًا . وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ خَرَجْنَا إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ نَهْرٍ حَيْثُ جَرَتِ الْعَادَةُ أَنْ تَكُونَ صَلٰوةٌ فَجَلَسْنَا وَكُنَّا نُكَلِّمُ النِّسَاءَ اللَّوَاتِي اجْتَمَعْنَ . فَكَانَتْ تَسْمَعُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا لِيدِيَّةُ بَيَّاعَةُ أُرْجُوَانٍ مِنْ مَدِينَةِ ثِيَاتِيرَا مُتَعَبِّدَةٌ لِلّٰهِ فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ . فَلَمَّا اعْتَمَدَتْ هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا طَلَبَتْ قَائِلَةً إِنْ كُنْتُمْ قَدْ حَكَمْتُمْ أَنِّي مُؤْمِنَةٌ بِالرَّبِّ فَادْخُلُوا بَيْتِي وَامْكُثُوا . فَأَلْزَمَتْنَا .

(أع ١٦ : ١١ — ١٥)

نابوليس — واسمها الحديث كافالا — هى ميناء فيلبى . وفيلبى مدينة لها تاريخ طويل . كانت تسمى مدينة الينابيع . حصنها الأسكندر لتكون قلعة أمام التراكيين وأطلق عليها اسمه . كانت فى عصر من العصور مشهورة بمناجم الذهب لكن فى أيام بولس كانت هذه المناجم قد استنفدت . ولقد كانت مسرحاً لموقعة من أهم المواقع عندما كسب أغسطس قيصر الدولة الرومانية

لنفسه. ولقد كانت فيلبى كولونية رومانية أو بمعنى آخر تعتبر مدينة رومانية فى قلب منطقة أجنبية . ولقد كانت الكولونيات الرومانية نقطاً استراتيجية عادة تسكنها القوات الرومانية التى أتمت خدمتها العسكرية . وقد كان سكان هذه الكولونيات يلبسون الملابس الرومانية ويتحدثون اللاتينية ويخضعون للقوانين الرومانية أينما كانوا . وقد كان أهلها يتباهون بجنسيتهم الرومانية .

ولم يكن فى فيلبى مجمع لليهود يمكن البدء منه . ولكن اليهود تعودوا إذا لم يوجد لهم مجمع خاص أن يجتمعوا فى مكان مخصص للصلاة وعادة كانت هذه الأماكن على ضفة النهر . ذهب بولس ورفاقه إلى هذا المكان يوم السبت وقابلوا النساء هناك . ومن الأمور المدهشة فى خدمة بولس فى فيلبى أنواع الناس الذين تعامل معهم وربحهم للمسيح . وكانت أول هذه الشخصيات ليديا وقد جاءت من طبقة تعتبر قمة السلم الاجتماعى . فقد كانت تاجرة أرجوان . وكانت هذه الصبغة الأرجوانية تجمع نقطة نقطة من حيوان مائى يعيش فى صدفة (Shell fish) وقد كانت هذه الصبغة غالية الثمن جداً حتى أن وزن الرطل المصبوغ من الصوف كان يباع بما قيمته ٤٠ جنيهاً . كانت ليديا سيدة غنية وأميرة من أمراء التجارة . وقد ربحها بولس للمسيح . ويجب أن نراعى استجابتها السريعة فقد عرضت فى الحال أن تستضيف بولس وأصدقاءه . عندما يصف بولس سجايا الشخصية المسيحية يقول « عاكفين على إضافة الغرباء» رو١٢: ١٣ . وبطرس كان يستحث المسيحيين أن يقوموا بواجبهم نحو المتجددين حديثى الإيمان فيقول « كونوا مضيفين بعضكم بعضا بلا دمدمة» ١ بط ٤ : ٩ . إن البيت المسيحى يجب أن يكون بيتاً مفتوحاً دائماً .

جارية بها روح عرافة

وَحَدَثَ بَيْنَمَا كُنَّا ذَاهِبِينَ إِلَى الصَّلٰوةِ أَنَّ جَارِيَةً بِهَا رُوحُ عِرَافَةٍ اسْتَقْبَلَتْنَا . وَكَانَتْ تُكْسِبُ مَوَالِيَهَا مَكْسَبًا كَثِيرًا بِعِرَافَتِهَا . هٰذِهِ اتَّبَعَتْ بُولُسَ وَإِيَّانَا وَصَرَخَتْ قَائِلَةً هٰؤُلَاءِ النَّاسُ هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ الَّذِينَ يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلَاصِ . وَكَانَتْ تَفْعَلُ هٰذَا أَيَّامًا كَثِيرَةً . فَضَجِرَ بُولُسُ وَالْتَفَتَ إِلَى الرُّوحِ وَقَالَ أَنَا آمُرُكَ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا . فَخَرَجَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ .

فَلَمَّا رَأَى مَوَالِيهَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ رَجَاءُ مَكْسَبِهِمْ أَمْسَكُوا بُولُسَ وَسِيلَا وَجَرُّوهُمَا إِلَى السُّوقِ إِلَى الْحُكَّامِ . وَإِذْ أَتَوْا بِهِمَا إِلَى الْوُلَاةِ قَالُوا هٰذَانِ الرَّجُلَانِ يُبَلْبِلَانِ مَدِينَتَنَا وَهُمَا يَهُودِيَّانِ . وَيُنَادِيَانِ بِعَوَائِدَ لَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْبَلَهَا وَلَا نَعْمَلَ بِهَا إِذْ نَحْنُ رُومَانِيُّونَ . فَقَامَ الْجَمْعُ مَعًا عَلَيْهِمَا وَمَزَّقَ الْوُلَاةُ ثِيَابَهُمَا وَأَمَرُوا أَنْ يُضْرَبَا بِالْعِصِيِّ . فَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً وَأَلْقَوْهُمَا فِي السِّجْنِ وَأَوْصَوْا حَافِظَ السِّجْنِ أَنْ يَحْرُسَهُمَا

بِضَبْطٍ . وَهُوَ إِذْ أَخَذَ وَصِيَّةً مِثْلَ هٰذِهِ أَلْقَاهُمَا فِي السِّجْنِ الدَّاخِلِيِّ وَضَبَطَ أَرْجُلَهُمَا فِي الْمِقْطَرَةِ .

(أع ١٦ : ١٦ — ٢٤)

قلنا إن الناس الذين تعامل معهم بولس وجندهم كانوا مجموعة غريبة من الناس من قطاعات مختلفة . فإن كانت ليديا من قمة السلم الاجتماعى فإن هذه الجارية فى نهاية السلم . كانت وظيفة هــذه الفتاة عرافة أى أنها تقول أشياء لإرشاد الناس عن المستقبل . لقد كانت مجنونة وكان الناس فى العصور القديمة يحترمون المجانين بطريقة غريبة لأنهم كانوا يعتقدون أن الآلهة التى حرمتهم العقل أعطتهم من روحها . وغالباً كانت تتكلم من بطنها . ولقد وقعت فريسة فى يد أناس لا ضمير لهم استغلوا حالتها البائسة للربح . وعندما شفاها بولس من جنونها لم يشعر هؤلاء الناس بالفرح لأن أخت لهم فى الإنسانية استعادت صحتها وعقلها بل كان الشعور الوحيد الذى خالجهم هو الغضب لزوال مكسبهم . ولقد كان هؤلاء الناس من الدهاء حتى أنهم لعبوا على الأوتار الحساسة عنــد الناس . فأثاروا عداء السامية عند الشعب كما أثاروا حمية الرومان ضد بولس وسيلا حتى قبض عليهم وعوملوا معاملة سيئة جزاء أعمالهم الحسنة . وحيثما تتعرض المسيحية للقمة العيش تثور المشاكل . فمن الطبيعى عنــد الناس أنه إذا مس أحد جيوبهم أو هدد مكاسبهم فإنهم يحاربونه بكل الأسلحة ولكن ليسأل كل إنسان نفسه « هل المال الذى أكسبه يساوى الثمن الذى أدفعه؟ هل أحصل على المال نتيجة ما أقوم به من مجهود وخدمة أو نتيجة استغلال الناس » غالباً إن لم يكن دائماً يكون العائق فى اتباع المسيح هو حب الناس لذواتهم .

وَنَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ كَانَ بُولُسُ وَسِيلَا يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ وَالْمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا . فَحَدَثَ بَغْتَةً زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى تَزَعْزَعَتْ أَسَاسَاتُ السِّجْنِ . فَانْفَتَحَتْ فِي الْحَالِ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا وَانْفَكَّتْ قُيُودُ الْجَمِيعِ . وَلَمَّا اسْتَيْقَظَ حَافِظُ السِّجْنِ وَرَأَى أَبْوَابَ السِّجْنِ مَفْتُوحَةً اسْتَلَّ سَيْفَهُ وَكَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ ظَانًّا أَنَّ الْمَسْجُونِينَ قَدْ هَرَبُوا . فَنَادَى بُولُسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً لَا تَفْعَلْ بِنَفْسِكَ شَيْئًا رَدِيًّا لِأَنَّ جَمِيعَنَا هٰهُنَا . فَطَلَبَ ضَوْءًا وَانْدَفَعَ إِلَى دَاخِلٍ وَخَرَّ لِبُولُسَ وَسِيلَا وَهُوَ مُرْتَعِدٌ . ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا وَقَالَ يَا سَيِّدَيَّ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ . فَقَالَا آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ . وَكَلَّمَاهُ وَجَمِيعَ مَنْ فِي بَيْتِهِ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ فَأَخَذَهُمَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَغَسَّلَهُمَا مِنَ الْجِرَاحَاتِ وَاعْتَمَدَ فِي الْحَالِ هُوَ وَالَّذِينَ لَهُ أَجْمَعُونَ . وَلَمَّا أَصْعَدَهُمَا إِلَى بَيْتِهِ قَدَّمَ لَهُمَا مَائِدَةً وَتَهَلَّلَ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ إِذْ كَانَ قَدْ آمَنَ بِاللهِ .

وَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ أَرْسَلَ الْوُلَاةُ الْجَلَّادِينَ قَائِلِينَ أَطْلِقْ ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ . فَأَخْبَرَ حَافِظُ السِّجْنِ بُولُسَ بِهٰذَا الْكَلَامِ أَنَّ الْوُلَاةَ قَدْ أَرْسَلُوا أَنْ تُطْلَقَا فَاخْرُجَا الْآنَ وَاذْهَبَا بِسَلَامٍ. فَقَالَ لَهُمْ بُولُسُ ضَرَبُونَا جَهْرًا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ رَجُلَانِ رُومَانِيَّانِ وَأَلْقَوْنَا فِي السِّجْنِ . أَفَالْآنَ يَطْرُدُونَنَا سِرًّا . كَلَّا . بَلْ لِيَأْتُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ وَيُخْرِجُونَا . فَأَخْبَرَ الْجَلَّادُونَ الْوُلَاةَ بِهٰذَا الْكَلَامِ فَاخْتَشَوْا لَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُمَا رُومَانِيَّانِ . فَجَاءُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِمَا وَأَخْرَجُوهُمَا وَسَأَلُوهُمَا أَنْ يَخْرُجَا مِنَ الْمَدِينَةِ. فَخَرَجَا مِنَ السِّجْنِ وَدَخَلَا عِنْدَ لِيدِيَّةَ فَأَبْصَرَا الْإِخْوَةَ وَعَزَّيَاهُمْ ثُمَّ خَرَجَا .

(أع ١٦ : ٢٥ - ٤٠)

إن كانت ليديا من قمة السلم الاجتماعى والجارية من نهايته فإن السجان يعتبر من الطبقة المتوسطة . وهكذا نرى هذا الثالوث يمثل المجتمع كله . ودعونا نرى أولاً منظر هذا الفصل ، فهذا الجزء من العالم كان معرضاً للهزات الأرضية . فلم تكن الزلازل شيئاً غير مألوف فى هذه البقعة . وكان الباب مغلقاً بما يسميه أهل الريف (السقاطة) وهى قطعة من الخشب تنزل فى شقين فى كل من جزئى الباب . لذلك فعندما تزلزلت الأرض سقطت هذه القطعة وفتح

الباب . ولجأ السجان إلى الانتحار لأن القانون الرومانى كان يقضى على السجان (فى حالة هرب مسجون) بنفس العقوبة التى كان يستحقها السجين . ولندرس الآن شخصيات القصة :

نجد بولس ونلاحظ ثلاثة أشياء :

١ — استطاع أن يرنم رغم أنه كان فى السجن الداخلى ورجلاه مربوطتان بالسلاسل . الشيء الوحيد الذى لا تستطيع أن تنتزعه من المسيحى هو الله والشعور بحضور يسوع المسيح . ومع الله نحس بالحرية حتى فى السجن وفى نصف الليل نشعر بنور الله .

٢ — كان على أتم الاستعداد أن يفتح باب الخلاص للسجان الذى أغلق عليه باب السجن . لم يكن من طبعه التذمر أو الحقد فهو يعظ للرجل الذى ربط رجليه بالسلاسل .

٣ — كان رجلاً يحترم نفسه ويطالب بحقوقه كمواطن رومانى . كان جلد الرومانى جريمة عقوبتها الإعدام لكن بولس لم يطالب بحقوقه لأجل نفسه بل لأجل المسيحيين الذين تركهم فى فيلبى . فلقد أراد أن يظهر للناس أن لهم أصدقاء ذوى نفوذ . أما الشخصية الثانية فهى شخصية السجان . ولعل أهم مايلفت النظر فى شخصيته كيف تصرف ليثبت تجديده . فما كاد يتجدد حتى غسل جراحهما التى حدثت لهما على ظهورهما وصنع لهما وليمة وظهرت مسيحيته بأجلى بيان عملى وشفقة مسيحية . إن لم تجعل المسيحية الإنسان شفوقاً فهى ليست مسيحية على الإطلاق وما لم يصحب التغيير الداخلى القلب تغير خارجى فى الأعمال فإن التغيير يكون زائفاً .

الأَصْحَاحُ السَّابِعُ عَشَرَ

فى تسالونيكى

فَاجْتَازَا فِي أَمْفِيبُولِيسَ وَأَبُولُونِيَّةَ وَأَتَيَا إِلَى تَسَالُونِيكِي حَيْثُ كَانَ مَجْمَعُ الْيَهُودِ. فَدَخَلَ بُولُسُ إِلَيْهِمْ حَسَبَ عَادَتِهِ وَكَانَ يُحَاجُّهُمْ ثَلاَثَةَ سُبُوت مِنَ الْكُتُبِ مُوَضِّحًا وَمُبَيِّنًا أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَأَنَّ هٰذَا هُوَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ الَّذِي أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ. فَاقْتَنَعَ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَانْحَازُوا إِلَى بُولُسَ وَسِيلاَ وَمِنَ الْيُونَانِيِّينَ الْمُتَعَبِّدِينَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ وَمِنَ النِّسَاءِ الْمُتَقَدِّمَاتِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ. فَغَارَ الْيَهُودُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاتَّخَذُوا رِجَالاً أَشْرَارًا مِنْ أَهْلِ السُّوقِ وَتَجَمَّعُوا وَسَجَّسُوا الْمَدِينَةَ وَقَامُوا عَلَى بَيْتِ يَاسُونَ طَالِبِينَ أَنْ يُحْضِرُوهُمَا إِلَى الشَّعْبِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُمَا جَرُّوا يَاسُونَ وَأُنَاسًا مِنَ الإِخْوَةِ إِلَى حُكَّامِ الْمَدِينَةِ صَارِخِينَ إِنَّ هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمَسْكُونَةَ حَضَرُوا إِلَى هٰهُنَا أَيْضًا. وَقَدْ قَبِلَهُمْ

يَاسُونَ . وَهٰؤُلَاءِ كُلُّهُمْ يَعْمَلُونَ ضِدَّ أَحْكَامِ قَيْصَرَ قَائِلِينَ إِنَّهُ يُوجَدُ مَلِكٌ آخَرُ يَسُوعُ . فَأَزْعَجُوا الْجَمْعَ وَحُكَّامَ الْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعُوا هٰذَا . فَأَخَذُوا كَفَالَةً مِنْ يَاسُونَ وَمِنَ الْبَاقِينَ ثُمَّ أَطْلَقُوهُمْ .

(أ ع ١٧ : ١ — ٩)

إن دخول المسيحية إلى تسالونيكى يعتبر حادثة لها أهميتها العظمى . فالطريق الرومانى العظيم من بحر الإدرياتيك إلى الشرق الأوسط كان يسمى الطريق الأغناطى . وكان الشارع الرئيسى فى تسالونيكى جزءاً من هذا الطريق الكبير . فإذا استقرت المسيحية فى تسالونيكى فإن هذا يعنى انتشارها شرقاً وغرباً ويصبح هذا الطريق واسطة هامة لامتداد ملكوت الله . والعدد الأول من هذا الأصحاح يبين لنا كيف كان الكاتب يلخص ما يريد أن يكتبه . فالعدد الأول يطوى المسافة بين فيلبى وأمفيبوليس بسرعة وكأنها رحلة ممتعة ، لكن المسافة بينهما كانت ٣٣ ميلاً رومانياً . كما أن المسافة بين أمفيبوليس وأبولونية ٣٠ ميلا والمسافة بين أبولونية وتسالونيكى ٣٧ ميلاً . فالرحلة كلها تصل إلى أكثر من ١٠٠ ميل ذكرها الكاتب فى نصف سطر . وكالعادة بدأ بولس عمله فى تسالونيكى فى مجمع اليهود . وكان أكثر نجاحاً بين غير اليهود الذين كانوا يترددون على مجمع اليهود لما وجدوه من جاذبية فى الدين اليهودى . وهذا ما آثار حقد اليهود لأنهم كانوا يعتبرونهم الجماعة التى ربحوها من العالم واعتقدوا أن بولس سرق هؤلاء الناس منهم علناً وأمام عيونهم . وقد لجأ اليهود إلى طرق دنيئة لإيقاف نشاط بولس . فى أيام الثورة

الفرنسية نطقت مدام رولاند بجملتها المشهورة « أيتها الحرية . . كم من الجرائم ترتكب باسمك » . لجأ اليهود إلى أحط الوسائل لتعطيل رسالة بولس . بدأوا بإثارة السوقة من أهل تسالونيكى . ولما ساقوا ياسون وأصدقاءه إلى حكام المدينة واتهموا المسيحيين بالثورة السياسية وهى تهمة كانوا يعلمون تماماً أنها ملفقة . لكنها كانت تهمة خطيرة ولا شك « إن هؤلاء الذين فتنوا (قلبوا) المسكونة (أى العالم المتحضر فى ذلك الوقت) حضروا إلى هنا » . ولكن هذه التهمة كانت أعظم مدح قدم للمسيحيين . فاليهود لم يشكوا أبداً فى أن المسيحية شىء فعال جداً وتحد جبار . اقتبس جلوفر بكل سرور ماقاله طفل من أن العهد الجديد ينتهى بالثورات (Revolutions) بدلاً من الرؤيا (Revelation) إن المسيحية عندما تعمل فإنها تسبب ثورة فى حياة الفرد وفى حياة المجتمع .

إلى بيرية

وَأَمَّا الإِخْوَةُ فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلُوا بُولُسَ وَسِيلاَ لَيْلاً إِلَى بِيرِيَّةَ وَهُمَا لَمَّا وَصَلاَ مَضَيَا إِلَى مَجْمَعِ الْيَهُودِ . وَكَانَ هؤُلاَءِ أَشْرَفَ مِنَ الَّذِينَ فِي تَسَالُونِيكِي فَقَبِلُوا الْكَلِمَةَ بِكُلِّ نَشَاطٍ فَاحِصِينَ الْكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ هَلْ هذِهِ الأُمُورُ هكَذَا . فَآمَنَ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ وَمِنَ النِّسَاءِ الْيُونَانِيَّاتِ الشَّرِيفَاتِ وَمِنَ الرِّجَالِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ .

فَلَمَّا عَلِمَ الْيَهُودُ الَّذِينَ مِنْ تَسَالُونِيكِي أَنَّهُ فِي بِيرِيَّةَ أَيْضًا

نَادَى بُولُسُ بِكَلِمَةِ اللهِ جَاءُوا يُهَيِّجُونَ الْجُمُوعَ هُنَاكَ أَيْضًا. فَحِينَئِذٍ أَرْسَلَ الإِخْوَةُ بُولُسَ لِلْوَقْتِ لِيَذْهَبَ كَمَا إِلَى الْبَحْرِ. وَأَمَّا سِيلاَ وَتِيمُوثَاوُسُ فَبَقِيَا هُنَاكَ. وَالَّذِينَ صَاحَبُوا بُولُسَ جَاءُوا بِهِ إِلَى أَثِينَا. وَلَمَّا أَخَذُوا وَصِيَّةً إِلَى سِيلاَ وَتِيمُوثَاوُسَ أَنْ يَأْتِيَا إِلَيْهِ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ مَضَوْا.

(أع ١٧ : ١٠ — ١٥)

تقع بيرية على بعد ٦٠ ميلاً غرب تسالونيكى. وأننا نلاحظ فى هذا الجزء من الأصحاح ثلاثة أشياء:

١ — كان وعظ بولس كتابياً فقط مما جعل سكان بيرية يفحصون الكتب. إن الشىء الوحيد الذى جعل اليهود متأكدين أن يسوع ليس المسيا أنه صلب. فالبنسبة لهم رجل يصلب هو رجل ملعون. ولا شك أن بولس لجأ إلى الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء ليجعل الناس يرون ضوءاً يلقى على ماعمله المسيح.

٢ — يظهر هنا مقدار حقد اليهود فلم يكتفوا بمقاومته فى تسالونيكى بل لاحقوه فى بيرية أيضاً. والمأساة هنا أنهم كانوا يظنون أنهم يخدمون الله بإسكات صوت بولس ومن المؤلم أن نجد إنساناً يجعل أهدافه تمثل إرادة الله بدلاً من إخضاع طرقه وأهدافه لهذه الإرادة.

٣ — نرى هنا مرة أخرى شجاعة بولس لقد سجن فى فيلبى. وترك

تسالونيكي بعد أن تعرضت حياته للخطر واضطر للهرب ليلاً . وهنا نراه يضطر للهرب مرة أخرى لينجو بحياته . إن معظم الناس فى مثل هذه الظروف يهجرون هذا الكفاح المضنى الذى يؤدى إلى السجن بل والموت أيضاً . أما بولس فلم يفكر فى شيء من هذا . سئل داود لفنجستون « إلى أين أنت ذاهب » ؟ قال « لقد أعددت نفسى للذهاب إلى أى مكان مادام ذهابى للأمام دائماً » . إن فكرة الرجوع لم تخطر على بال بولس

وحيداً فى أثينا

وَبَيْنَمَا بُولُسُ يَنْتَظِرُهُمَا فِي أَثِينَا احْتَدَّتْ رُوحُهُ فِيهِ إِذْ رَأَى الْمَدِينَةَ مَمْلُوءَةً أَصْنَامًا . فَكَانَ يُكَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ الْيَهُودَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَالَّذِينَ يُصَادِفُونَهُ فِي السُّوقِ كُلَّ يَوْمٍ . فَقَابَلَهُ قَوْمٌ مِنَ الْفَلاَسِفَةِ الأَبِيكُورِيِّينَ وَالرِّوَاقِيِّينَ وَقَالَ بَعْضٌ تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هٰذَا الْمِهْذَارُ أَنْ يَقُولَ . وَبَعْضٌ إِنَّهُ يَظْهَرُ مُنَادِيًا بِآلِهَةٍ غَرِيبَةٍ . لأَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُمْ بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ . فَأَخَذُوهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى أَرِيُوسَ بَاغُوسَ قَائِلِينَ هَلْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَعْرِفَ مَا هُوَ هٰذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ الَّذِي تَتَكَلَّمُ بِهِ . لأَنَّكَ تَأْتِي إِلَى مَسَامِعِنَا بِأُمُورٍ غَرِيبَةٍ فَنُرِيدُ أَنْ نَعْلَمَ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ . أَمَّا الأَثِينَوِيُّونَ أَجْمَعُونَ وَالْغُرَبَاءُ الْمُسْتَوْطِنُونَ فَلاَ

يَتَفَرَّغُونَ لِشَيْءٍ آخَرَ إِلَّا لِأَنْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَسْمَعُوا شَيْئًا حَدِيثًا .

(أع ١٧ : ١٦ — ٢١)

بعد ما هرب من بيرية ، وجد بولس نفسه وحيداً فى أثينا . لكن سواء أكان بين رفاقه أو كان وحيداً فإن بولس لم يكن يتوقف عن المناداة بالإنجيل . كانت أثينا مدينة عظيمة لها ماض تليد لكنها كانت لاتزال أعظم جامعة فى العالم وكان يقصدها الباحثون عن العلم من كل مكان . وكانت مدينة لها آلهة متعددة . وكان عدد تماثيل الآلهة فى أثينا وحدها يزيد عن عدد هذه التماثيل فى كل بلاد اليونان حتى قيل أنه أيسر لك أن تقابل إلها فى أثينا من أن تقابل إنساناً .

وكان الناس لايعملون شيئاً سوى الإجتماع فى الميدان الرئيسى للمدينة للحديث . لقد إنتهى عصر الأعمال بالنسبة لهم ولم يبق إلا الكلام . وكانوا يتكلمون طول اليوم وجزءاً من الليل عن كل ماهو جديد من الأفكار . لذلك لم يجد بولس مشقة فى جمع الناس لسماعه . فقد اكتشفه الفلاسفة . كان هناك فلاسفة أبيقوريون نلخص أفكارهم فى أربع نقاط :

١ — كل ما يحدث يحدث بالصدفة .

٢ — الموت هو نهاية كل شىء .

٣ — آمنوا بالآلهة لكن هذه الآلهة — فى رأيهم — متباعدة عن الناس ولاتهتم بشىء .

٤ — اللذة هى الهدف الأساسى للإنسان . ولم يقصدوا باللذة اللذة الحسية

المادية العالمية بل قالوا بأن السعادة فى اللذة التى لا يعقبها ألم . وكان هناك فلاسفة رواقيون نلخص أفكارهم فى النقط التالية .

(١) كانوا يؤمنون بأن الله فى كل شىء حرفياً . فالله روح نارية . هذه الروح توجد فى المادة بصورة خامدة لكن الله فى كل شىء . إن سبب حياة الإنسان هى شرارة صغيرة من هذه الروح وأنه عند الموت تعود إلى الله . فعند الرواقيين كان كل شىء إلهاً .

(٢) آمنوا بالقدر لأن كل مايحدث هو إرادة الله لذلك يجب ألا نهتم بأى شىء يحدث . فهذه هى إرادة الله ويجب أن نقبلها .

(٣) اعتقدوا بأن العالم ينحل من وقت لآخر ويعود ليكرر نفس دورة حياته .

أخذوا بولس إلى أريوس باغوس وهى الكلمة اليونانية لجبل الإله مارس . وهى تطلق على الجبل كما تطلق على الميدان الذى كانوا يلتقون فيه . وكانت الجماعة التى تجتمع فى قاعة المناقشة جماعة مختارة لا تزيد على ثلاثين شخصاً . كانت موضوعات المناقشة عن الأخلاق العامة وعن موضوع القتل . وهكذا وقف بولس يعلن إيمانه ويشرحه أمام خلاصة المفكرين فى أعظم مدينة للفلاسفة . ربما يضايق هذا الموقف بعض الناس لكن بولس لم يكن يشعر بأى حرج أو خجل من إنجيل يسوع المسيح . ونظر إلى الموقف باعتبار أنه فرصة أخرى أتاحها الله له ليشهد للمسيح .

فَوَقَفَ بُولُسُ فِي وَسَطِ أَرِيُوسَ بَاغُوسَ وَقَالَ. أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَثِينَوِيُّونَ أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيرًا . لأَنَّنِي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ وَجَدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ . لإِلهٍ مَجْهُولٍ . فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هٰذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ . الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ هٰذَا إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي . وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ . إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَوةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ . وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ . لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا . لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ . كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضًا لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ . فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ اللاَّهُوتَ شَبِيهٌ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ حَجَرٍ نَقْشِ صِنَاعَةِ وَاخْتِرَاعِ

إِنْسَانٍ . فَاللّٰهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا مُتَغَاضِيًا عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ . لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ .

(أع ١٧ : ٢٢ — ٣١)

لم يكن فى أثينا مذبح واحد للإله المجهول بل وجدت عدة مذابح لهذا الإله المجهول . ولهذا الإله المجهول قصة . فقد اجتاح مدينة أثينا (قبل زيارة بولس بستمائة سنة) وباء الطاعون اللعين ولم يستطع شىء أن يقف فى وجهه . فقدم أحد الشعراء اقتراحاً بإطلاق قطيع من الغنم إبتداء من أريوس باغوس فى كل المدينة . وكل شاة ترقد بالقرب من تمثال أحد الآلهة كانت تقدم ذبيحة لهذا الإله . أما الخراف التى ترقد بعيداً أو بالقرب من إله غير معروف فكانت تذبح للإله المجهول . وأصبح فى أثينا نظام معترف به للآلهة المجهولة . ومن هنا يلتقط بولس الخيط ليبدأ عظته . كان بولس فناناً فى توجيه رسائله إلى أى مجموعة من السامعين . ونحن نلاحظ فى هذه العظة عدة خطوات :

١ — الله غير مخلوق بل هو الخالق . فالذى صنع كل شىء لا يعبد بأى شىء مصنوع بأيدى الناس . حقا أن الإنسان يعبد عادة ما يصنعه بيديه . فإن كان الإله هو من يقـــدم له الناس وقتهم وفكرهم وجهدهم فإن كثيرين يعبدون آلهة يصنعونها بأيديهم .

٢ — إن الله يوجه التاريخ فهو خلف قيام أى دولة أو سقوطها . فيد الله كانت وستظل تمسك بدفة الحياة .

٣ — لقد صنع الله الإنسان بحيث يشتاق دائماً إلى خالقه . فني الإنسان شيء غامض يدفعه للبحث عن الله فى ظلام الحياة لأنه ابن الله .

٤ — لقــد مضى زمان الجهل وزمان البحث العشوائى إذ كان الناس يعيشون فى ظلال يبحثون فيها عن الله . وكان الله يغفر لهم جهلهم وأخطاءهم. أما الآن فنى المسيح أشرق الله بكل نوره وإعلاناته وعلمه . فمضى عهد التماس الأعذار لأن الحق جاء .

٥ — إن يوم الدينونة لا ريب آت . فالحياة بالنسبة للإنسان ليست مجرد تقدم إلى العدم كما ادعى الأبيقوريون ولا مجرد طريق للتشبع بالله كما قال الرواقيون لكنها رحلة إلى كرسى الدينونة حيث يجلس يسوع المسيح ليدين العالم .

٦ — إن القيامة هى دليل على امتياز المسيح عن كل الآلهة . فهو ليس إلهاً مجهولاً بل إلهاً مقاماً وهو الإله الذى نتعامل معه .

رد الفعل فى أثينا

وَلَمَّا سَمِعُوا بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ كَانَ الْبَعْضُ يَسْتَهْزِئُونَ وَالْبَعْضُ يَقُولُونَ سَنَسْمَعُ مِنْكَ عَنْ هٰذَا أَيْضاً . وَهٰكَذَا خَرَجَ بُولُسُ مِنْ وَسْطِهِمْ . وَلٰكِنَّ أُنَاساً الْتَصَقُوا بِهِ وَآمَنُوا . مِنْهُمْ دِيُونِيسِيُوسُ الأَرِيُوبَاغِيُّ وَامْرَأَةٌ اسْمُهَا دَامَرِسُ وَآخَرُونَ مَعَهُمَا .

(أع ١٧ : ٣٢ — ٣٤)

يظهر أن بولس حقق أقل نجاح له فى أثينا . وهذا أمر طبيعى بالنسبة للأثينيين الذين لا هم لهم إلا مجرد الكلام . فهم لا يريدون أن يتخذوا قرارات أو أن يصلوا إلى نتائج محددة .

وكان كل المطلوب اللذة العقلية والتراكيب اللفظية .

ونلاحظ ثلاثة أنواع من الاستجابات :

١ — استهزأ البعض ببولس فقد استمتعوا برؤية هذا اليهودى الغريب الذى ألقى خطابه بكل حماس . أحيانا ننظر إلى الحياة وكأنها دعابة لكن أولئك الذين يرون فى الحياة كوميديا مضحكة لابد أن يكتشفوا أن نهايتها مأساة قاسية .

٢ — البعض قالوا « سنسمع منك عن هذا أيضاً » أو بمعنى آخر أجلوا إتخاذ قرار محدد . إن أخطر ما يتعرض له الإنسان أن يحس بسهولة التحدث عن الغد .

٣ — آخرون آمنوا . والإنسان العاقل يعرف أنه لا يمكن أن يرفض عطية الله إلا الإنسان الجاهل .

وهذا مثل يبين لنا الطرق المختلفة لاستجابة الناس لدعوة الله . لقد ذكر اسم اثنين من الذين تجددوا هم ديونيسيوس ودامرس . كانت هذه القاعة تضم كما قلنا حوالى ٣٠ شخصاً .

ولا شك أن ديونيسيوس كان واحداً من طبقة الأرستقراطية العلمية فى أثينا . أما بالنسبة لدامرس فإن المرأة كانت مقيدة إلى حد كبير فى أثينا حتى أنه كان من النادر أن تجد سيدة فى هذا الميدان لكن يظهر أن حياة هذه

السيدة تغيرت من النجاسة إلى الحياة الشريفة . وهذا يبين لنا أن الإنجيل يغير كل الناس من كل الطبقات .

الوعظ فى كورنثوس

إن موقع كورنثوس يجعل منها مدينة هامة فى بلاد اليونان . فالبحر يقسم بلاد اليونان إلى قسمين . على ضفة منه خليج سارون وميناؤه كنخريا وعلى الجانب الآخر خليج كورنثوس وبين الإثنين شريط من الأرض يقل عرضه عن خمسة أميال تقع عليه مدينة كورنثوس .

فكل الطرق التى تربط شمال اليونان بجنوبها تمر بمدينة كورنثوس . حتى كان يطلق عليها قنطرة اليونان . وكانت الرحلة حول جزر اليونان من ناحية الجنوب رحلة محفوفة بالمخاطر . وكان اليونانيون يقولون من أراد أن يبحر حول اليونان عليه أن يراجع نفسه عدة مرات . وبالتالى صار أسهل طريق بين تجارة الشرق والغرب عن طريق كورنثوس أيضاً . لذا فإن كورنثوس تعتبر سوق اليونان . لكن كورنثوس لم تكن مجرد مدينة تجارية لكنها كانت مشهورة ببطولة رياضية (Isthmiar games) تأتى فى المرتبة الثانية بعد الأولمبياد . لكن أهم شهرة لها أنها كانت مدينة شريرة جداً تمثل حياة الفساد وعندما كان اليونانيون يمثلون شخصية الكورنثى على المسرح كانوا يظهرونه سكراناً . وكان يطل على كورنثوس جبل اكروبوليس ولم يكن مجرد قلعة حصينة بل كان معبداً لأفروديت . وفى أيام مجد كورنثوس كان هذا المعبد يضم ألف زانية يعملن كاهنات للالهة أفروديت وكن ينزلن إلى المدينة كل مساء لممارسة تجارتهن الفاسدة . حتى قيل فى الأمثال «لا يستطيع كل إنسان أن يوفر المال اللازم لزيارة كورنثوس . »

فى مثل هذا الجو عاش بولس العظيم وعمل وأحرز انتصارات باهرة .
وعندما كتب إلى الكورنثيين كتب قائمة تشمل مختلف أنواع الشرور .
« ألستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله ؟ لا تضلوا ! لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور ، ولا سارقون ، ولا طماعون ، ولا سكيرون ، ولا شتامون ، ولا خاطفون ، يرثون ملكوت الله » ثم يأتى إلى قمة الانتصار « وهكذا كان أناس منكم » ١ كو ٦ : ٩ — ١١ فإن شرور كورنثوس كانت أعظم فرصة المسيح .

الأَصْحَاحُ الثَّامِنُ عَشَر

في أسوأ مدينة

وَبَعْدَ هٰذَا مَضَى بُولُسُ مِنْ أَثِينَا وَجَاءَ إِلَى كُورِنْثُوسَ . فَوَجَدَ يَهُودِيًّا اسْمُهُ أَكِيلاَ بُنْطِيَّ الْجِنْسِ كَانَ قَدْ جَاءَ حَدِيثًا مِنْ إِيطَالِيَةَ وَبِرِيسْكِلاَّ امْرَأَتَهُ . لأَنَّ كُلُودِيُوسَ كَانَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يَمْضِيَ جَمِيعُ الْيَهُودِ مِنْ رُومِيَةَ . فَجَاءَ إِلَيْهِمَا . وَلِكَوْنِهِ مِنْ صِنَاعَتِهِمَا أَقَامَ عِنْدَهُمَا وَكَانَ يَعْمَلُ لأَنَّهُمَا كَانَا فِي صِنَاعَتِهِمَا خِيَامِيَّيْنِ . وَكَانَ يُحَاجُّ فِي الْمَجْمَعِ كُلَّ سَبْتٍ وَيُقْنِعُ يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ . وَلَمَّا انْحَدَرَ سِيلاَ وَتِيمُوثَاوُسُ مِنْ مَكِدُونِيَّةَ كَانَ بُولُسُ مُنْحَصِرًا بِالرُّوحِ وَهُوَ يَشْهَدُ لِلْيَهُودِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ . وَإِذْ كَانُوا يُقَاوِمُونَ وَيُجَدِّفُونَ نَفَضَ ثِيَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ دَمُكُمْ عَلَى رُؤُوسِكُمْ . أَنَا بَرِيءٌ . مِنَ الآنَ أَذْهَبُ إِلَى الأُمَمِ . فَانْتَقَلَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ اسْمُهُ يُوسْتُسُ كَانَ مُتَعَبِّدًا لِلّٰهِ وَكَانَ بَيْتُهُ مُلاَصِقًا لِلْمَجْمَعِ . وَكِرِيسْبُسُ رَئِيسُ

الْمَجْمَعِ آمَنَ بِالرَّبِّ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ . وَكَثِيرُونَ مِنَ الْكُورِنْثِيِّينَ إِذْ سَمِعُوا آمَنُوا وَاعْتَمَدُوا .

فَقَالَ الرَّبُّ لِبُولُسَ بِرُؤْيَا فِي اللَّيْلِ لاَ تَخَفْ بَلْ تَكَلَّمْ وَلاَ تَسْكُتْ . لأَنِّي أَنَا مَعَكَ وَلاَ يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤْذِيَكَ لأَنَّ لِي شَعْباً كَثِيرًا فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ يُعَلِّمُ بَيْنَهُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ .

(اع ١٨ : ١ — ١١)

هنا نجد صورة لامعة براقة للحياة التي عاشها بولس . كان بولس رباى (Rabbi) وكان من تقاليد اليهود الربيين أن يحترف كل إنسان حرفة وعليه أن يتقاضى أجراً لقاء وعظه أو تعليمه الناس بل عليه أن يعتمد على نفسه وأن يعمل ليحصل على قوته . لقد كان اليهود يعظمون العمل « أحب عملك . ومن لا يعلم ابنه حرفة فهو يعلمه السرقة عظيم أن تعلم ابنك القانون لكن ذلك يسير جنباً إلى جنب مع تعلم حرفة لأن ممارسة الإثنين معا تجعل الإبن يبتعد عن الشر » من هذا نرى أن الربيين تعلموا المهن الشريفة ولم ينفصلوا عن الناس . كان بولس صانع خيام . ذلك لأنه فى طرسوس (مقاطعة كليكية) كانت توجد أنواع من الماعز لها صوف خاص يصلح لصناعة الخيام . والكلمة الأصلية لا تعنى مجرد صانع خيام بل عامل فى الجلود . ولا شك أن بولس كان عاملاً ماهراً . وقد كان يذكر ذلك بكل فخر فى أحيان كثيرة . كما كان يذكر أنه لا يثقل على أحد .

(١ تس ٢ : ٩ ، ٢ تس ٣ : ٨ ، ٢ كو ١١ : ٩) ولكن من المحتمل أن سيلا وتيموثاوس عندما جاءا لبولس أحضرا معهما هدية مالية من الكنيسة التي أحبت بولس جداً وهي كنيسة فيلبي مما جعله قادراً على التفرغ للوعظ .

وفي سنة ٤٩ م طرد كلوديوس كل اليهود من رومافجاء أكيلا وبريسكيلا (زملاء بولس في حرفته) إلى كورنثوس

كلم الله بولس عندما احتاج فعلاً إلى كلمة منه . لابد أنه أحس في وقت ما بأن لا فائدة ترجى إزاء ما كان يراه في كورنثوس . فقد كان قلب بولس يجيش بالعواطف ولا شك أنه كان يتأثر أحياناً لكن عندما يكلف الله إنساناً بمهمة فإنه يعطيه أيضاً القوة لتنفيذها . وبقوة الله وجد بولس الشجاعة والقوة .

نزاهة العدالة الرومانية

وَلَمَّا كَانَ غَالِيُونُ يَتَوَلَّى أَخَائِيَةَ قَامَ الْيَهُودُ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى بُولُسَ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ . قَائِلِينَ إِنَّ هٰذَا يَسْتَمِيلُ النَّاسَ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ بِخِلاَفِ النَّامُوسِ . وَإِذْ كَانَ بُولُسُ مُزْمِعاً أَنْ يَفْتَحَ فَاهُ قَالَ غَالِيُونُ لِلْيَهُودِ لَوْ كَانَ ظُلْماً أَوْ خُبْثاً رَدِيّاً أَيُّهَا الْيَهُودُ لَكُنْتُ بِالْحَقِّ قَدِ احْتَمَلْتُكُمْ . وَلٰكِنْ إِذَا كَانَ مَسْأَلَةً عَنْ كَلِمَةٍ وَأَسْمَاءٍ وَنَامُوسِكُمْ فَتُبْصِرُونَ أَنْتُمْ . لأَنِّي لَسْتُ أَشَاءُ أَنْ أَكُونَ قَاضِياً لِهٰذِهِ

الأُمُورِ . فَطَرَدَهُمْ مِنَ الْكُرْسِيِّ . فَأَخَذَ جَمِيعُ الْيُونَانِيِّينَ سُوسْتَانِيسَ رَئِيسَ الْمَجْمَعِ وَضَرَبُوهُ قُدَّامَ الْكُرْسِيِّ وَلَمْ يَهُمَّ غَالِيُونَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ .

(أع ١٨ : ١٢ — ١٧)

أثار اليهود المتاعب أمام بولس كالمعتاد . ولما أتى غاليون إلى أخائية حاول اليهود أن يستميلوه ليعاقب المسيحيين وحاولوا التأثير عليه قبل أن يستقر فى البلدة ويعرف ظروفها . وكان غاليون مشهوراً بلطفه حتى قال عنه أخوه سنيكا « حتى أولئك الذين يحبون أخي غاليون من كل قلوبهم لا يحبونه كما يستحق » كما قال « لا يوجد إنسان يحب آخر كما يحب غاليون الجميع » . لذلك حاول اليهود استمالته لكن غاليون كان يتمتع بالنزاهة والعدل . فقد عرف أن بولس ورفاقه لم يكونوا مجرمين وأن اليهود أرادوا استغلاله لتحقيق أغراضهم . فالتفت إلى الحراس الواقفين بجواره وأمرهم بطرد اليهود . وقد حاول اليهود تشويه سمعته لكن الكتاب يقول عنه « ولم يهم غاليون شيء من ذلك » وقد يظن البعض أن هذا يعنى أنه بليد أو غير مبال لكن الحقيقة أن هذه الجملة تعنى أنه كان تام النزاهة حتى رفض أن يؤثر عليه أحد بل أظهر العدل الرومانى بأجلى معانيه .

ولا ننسى أن نشير هنا إلى قيمة الحياة المسيحية النقية . فقد تأكد غاليون أنه لا تشوب حياة بولس ورفقائه أية شائبة . إن أعظم شاهد للمسيحية هو المسيحى نفسه .

العودة إلى أنطاكية

وَأَمَّا بُولُسُ فَلَبِثَ أَيْضًا أَيَّامًا كَثِيرَةً ثُمَّ وَدَّعَ الإِخْوَةَ وَسَافَرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى سُورِيَّةَ وَمَعَهُ بِرِيسْكِلاَّ وَأَكِيلاَ بَعْدَ مَا حَلَقَ رَأْسَهُ فِي كَنْخَرِيَا . لأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ نَذْرٌ . فَأَقْبَلَ إِلَى أَفَسُسَ وَتَرَكَهُمَا هُنَاكَ . وَأَمَّا هُوَ فَدَخَلَ الْمَجْمَعَ وَحَاجَّ الْيَهُودَ. وَإِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ زَمَانًا أَطْوَلَ لَمْ يُجِبْ . بَلْ وَدَّعَهُمْ قَائِلاً يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ أَعْمَلَ الْعِيدَ الْقَادِمَ فِي أُورُشَلِيمَ . وَلٰكِنْ سَأَرْجِعُ إِلَيْكُمْ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللهُ . فَأَقْلَعَ مِنْ أَفَسُسَ وَلَمَّا نَزَلَ فِي قَيْصَرِيَّةَ صَعِدَ وَسَلَّمَ عَلَى الْكَنِيسَةِ ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ . وَبَعْدَمَا صَرَفَ زَمَانًا خَرَجَ وَاجْتَازَ بِالتَّتَابُعِ فِي كُورَةِ غَلاَطِيَّةَ وَفَرِيجِيَّةَ يُشَدِّدُ جَمِيعَ التَّلاَمِيذِ .

(اع ١٨ : ١٨ — ٢٣)

فى طريق العودة إلى وطنه مر بميناء كنخريا (ميناء كورنثوس) ثم إلى أفسس ثم إلى قيصرية ثم اتجه إلى الكنيسة ليسلم عليها . وهذا يعنى أنه ذهب إلى قادة الكنيسة فى أورشليم وأخيراً عاد إلى موطنه فى أنطاكية التى بدأ منها .

في سياق القصة ذكر أنه في كنخريا حلق رأسه . عندما كان الرجل اليهودى يريد أن يقدم شكره لله لأجل بركة خاصة أو نجاته من حادث معين فإنه كان ينذر نذراً (عدد ٦ : ١ — ٢١) .

ولتحقيق النذر كاملاً كان على الشخص ألا يأكل لحماً أو يشرب خمراً مدة ثلاثين يوماً كما كان يترك شعره . وفى نهاية الشهر كان يقدم تقدمات معينة فى الهيكل ويحلق شعره ويحرقه على المذبح كتقدمة لله . ولابد أن بولس كان يفكر فى كل أعمال الله معه فأوفى نذره ليظهر عرفانه بالجميل .

ما أقل ما نعرفه عن بولس فإن الأعداد من ١٩ — ٢٣ تصف رحلة طولها ١٥٠٠ ميلاً . كم من البطولات التى قام بها بولس لا نعرف عنها شيئاً .

الرحلة التبشيرية الثالثة

تبدأ قصة الرحلة التبشيرية الثالثة من أ ع ١٨ : ٢٣ . وتبدأ بالمرور على غلاطية وفريجية وأفسس حيث مكث ثلاث سنوات تقريباً . ثم انتقل إلى مكدونية ثم عبر إلى ترواس ثم عاد عن طريق مالطة وصور وقيصرية ثم أورشليم .

دخول أبلوس

ثُمَّ أَقْبَلَ إِلى أَفَسُسَ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبُلُوسُ إِسْكَنْدَرِيُّ الْجِنْسِ رَجُلٌ فَصِيحٌ مُقْتَدِرٌ فِي الْكُتُبِ. كَانَ هٰذَا خَبِيرًا

فِي طَرِيقِ الرَّبِّ وَكَانَ وَهُوَ حَارٌّ بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ وَيُعَلِّمُ بِتَدْقِيقٍ مَا يَخْتَصُّ بِالرَّبِّ عَارِفًا مَعْمُودِيَّةَ يُوحَنَّا فَقَطْ . وَابْتَدأَ هٰذَا يُجَاهِرُ فِي الْمَجْمَعِ . فَلَمَّا سَمِعَهُ أَكِيلَا وَبِرِيسْكِلَّا أَخَذَاهُ إِلَيْهِمَا وَشَرَحَا لَهُ طَرِيقَ الرَّبِّ بِأَكْثَرِ تَدْقِيقٍ وَإِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَجْتَازَ إِلَى أَخَائِيَةَ كَتَبَ الْإِخْوَةُ إِلَى التَّلَامِيذِ يَحُضُّونَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوهُ . فَلَمَّا جَاءَ سَاعَدَ كَثِيرًا بِالنِّعْمَةِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا . لِأَنَّهُ كَانَ بِاشْتِدَادٍ يُفْحِمُ الْيَهُودَ جَهْرًا مُبَيِّنًا بِالْكُتُبِ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ .

(أع ١٨ : ٢٤ – ٢٨)

هنا نجد المسيحية توصف بأنها « طريق الرب » ومن أشهر الأسماء التى وردت فى سفر الأعمال عن المسيحية كلمة الطريق (٩ : ٢، ١٩ : ٩ و٢٣ ، ٢٢ : ٤ ، ٢٤ : ١٤ و ٢٢) وهذا الوصف يدل على أن المسيحية ليست مجرد تصديق أشياء معينة لكنها تعنى وضع هذه الأشياء موضع التنفيذ . فهى ليست نظاماً عقائدياً بل طريقة حياة . إنها إيمان لكنه إيمان معلن ومترجم فى أعمال.

هنا نتعرف بأبلوس . لقد جاء من الأسكندرية حيث كان يسكن مليون يهودى . وقد كان عدد اليهود كبيراً حتى أن المدينة كانت مقسمة إلى خمسة أقسام أو أحياء وكان اليهود يسكنون قسمين كاملين منها . وكانت الأسكندرية مدينة العلم والعلماء . وكانت بصفة خاصة مركز علماء العهد القديم الذين كانوا

يهتمون بالرموز والتفسير الرمزى للعهد القديم . فقد رأوا فى حوادث العهد القديم لا مجرد حوادث بل رموزاً لمعانى خفية أخرى .

ولهذا كان أبلوس قديراً فى إقناع اليهود لأنه كان يستطيع أن يثبت أن أى جزء فى العهد القديم يشير إلى المسيح وأن يؤكد لهم أن كل العهد القديم يلقى نوراً على حياة المسيح .

لكن رغم كل هذا كان ينقصه شيء هام . فقد كان يعرف معمودية يوحنا فقط . وعندما نأتى إلى الفصل التالى سنفهم بالضبط ما معنى هذا . لكننا نقول إن أبلوس عرف الحاجة إلى التوبة وفهم معنى تهديدات يوحنا التى كان يقدمها فى كلامه عن التوبة . ولابد أنه عرف يسوع كالمسيا لكنه لم يكن يعرف الأخبار السارة عن يسوع مخلص الناس وعن حلول الروح القدس بقوة .

لقد عرف المسئولية التى ألقاها يسوع على عاتق الناس لكنه لم يكن قد عرف بعد القوة التى يعطيها يسوع ليساعد الناس على حمل هذه المسئولية . لقد سمع الدعوة للانفصال والتوبة عن الماضى لكنه لم يكن قد عرف بعد القوة العظيمة التى تساعد الإنسان أن يحيا حياة جديدة متغيرة فى مستقبل حياته . لكنه تعلم من أقوال أكيلا وبريسكلا واكتشف أن يسوع الذى عرفه كشخص تاريخى هو شخصية حية وأنه بواسطة قوة المسيح كان يمكنه أن يضاعف قوة رسالته مئات المرات . لأنه يضيف إلى علمه قوة .

فى أفسس

أعمال ١٩ يصف أعمال بولس فى أفسس . بقى بولس فى أفسس مدة أطول من بقائه فى أية مدينة أخرى . مكث فيها حوالى ثلاث سنوات . لذلك يهمنا أن نعرف شيئاً عن مدينة أفسس .

١ — كانت أفسس تعتبر سوق آسيا الصغرى . فقد كانت التجارة تمر بوديان الأنهار وكانت أفسس تقع عند مصب نهر كيستر (Cayster) وهى منطقة من أغنى مناطق آسيا الصغرى . وإذا رجعنا إلى رؤيا ١٨ : ١٢ ، ١٣ سنجد وصفاً لتجارة أفسس فقد كانت تعتبر خزانة آسيا وكان يطلق عليها سوق أباطيل آسيا الصغرى .

٢ — كان الحاكم الرومانى ينتقل إليها فى أوقات معينة ليقضى فى القضايا الهامة . فعرفت المدينة أبهة الحكم وعظمة القوة الرومانية والعدالة الرومانية .

٣ — كانت مركزاً رياضياً هاماً . وكان كل الناس يأتون إليها لمشاهدة الألعاب الرياضية . وتنظيم هذه الألعاب والإشراف عليها كان يعتبر ميزة خاصة تتنافس عليها المدن الكبرى .

٤ — كانت ملجأ للمجرمين . فقد كان لمعبد ديانا حرمة خاصة حتى أن أى مجرم يستطيع الوصول إليه يصبح فى أمان . لذلك امتلأت أفسس بقطاع الطرق والقتلة والخارجين على القانون .

٥ — كانت مركزاً للسحر وكانت مشهورة « بخطابات أفسس » وهى أنواع من الأحجبة إدعوا أنها تضمن الإنسان فى سفره وتمنح أطفالاً للعاقر

وتجعل الإنسان محبوباً ... إلخ . وكان الناس يأتون من كل أنحاء العالم لشراء هذه الأحجبة وابسها .

٦ — أعظم أمجاد أفسس هيكل أرطاميس . وهذه الإلهة كانت تسمى ديانا أو أرطاميس . فديانا هو الإسم اللاتيني وأرطاميس هو الإسم اليوناني . وكان هيكلها أحد عجائب الدنيا السبع . طوله ٤٢٥ قدماً وعرضه ٢٢٠ قدماً وارتفاعه ٦٠ قدماً . وفيه ١٢٧ عاموداً وكل عامود من هذه الأعمدة كان هدية من ملك معين وكلها من المرمر منها ٣٦ عاموداً تعتبر تحفة فنية فى الحفر وقد شيد المذبح العظيم ونحته أعظم نحات فى بلاد اليونان فى عصره ولم يكن شكل تمثال أرطاميس جميلاً ، بل كان أسود اللون وكانت تتميز بعدة أثداء رمزا للخصوبة لكنه كان تمثالاً قديماً جداً لا يعرف من صنعه ولا من أى مادة صنع . وكانوا يقولون أنه سقط من السماء .

كانت أفسس إذن مركز أكبر عبادة وثنية فى عصرها . فى هذه المدينة العجيبة عاش بولس وعمل وربح نفوساً للمسيح .

الأَصْحَاحُ التَّاسِعَ عَشَرَ

المسيحية الناقصة

فَحَدَثَ فِيمَا كَانَ أَبُلُّوسُ فِي كُورِنْثُوسَ أَنَّ بُولُسَ بَعْدَمَا اجْتَازَ فِي النَّوَاحِي الْعَالِيَةِ جَاءَ إِلَى أَفَسُسَ . فَإِذْ وَجَدَ تَلاَمِيذَ . قَالَ لَهُمْ هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ . قَالُوا لَهُ وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ . فَقَالَ لَهُمْ فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ . فَقَالُوا بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا . فَقَالَ بُولُسُ إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ قَائِلاً لِلشَّعْبِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ أَيْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ . فَلَمَّا سَمِعُوا اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ . وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ وَكَانَ جَمِيعُ الرِّجَالِ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ .

(أع ١٩ : ١ — ٧)

قابل بولس فى أفسس بعض الرجال من المسيحيين لكن مسيحيتهم كانت ناقصة . لقد اعتمدوا بمعمودية يوحنا لكنهم لم يعرفوا بوجود الروح

القدس بحسب المفهوم المسيحى . ما الفرق بين معمودية يوحنا والمعمودية باسم يسوع ؟. إن من يقرأ كلمات يوحنا المعمدان (متى٣:٧-١٢،لو٣:٣-١١)يستطيع أن يجد فرقاً واحداً جوهرياً بين وعظ يوحنا ووعظ المسيح. فإن وعظ يوحنا كان للتهديد أما وعظ المسيح فكان أخباراً سارة (أى الإنجيل) . لا يمكن أن نصف وعظ يوحنا بأنه أخبار سارة لما احتواه من تهديد بالموت والخراب . لكن وعظ يوحنا كان مرحلة من مراحل الطريق . وكان يوحنا نفسه يعرف ذلك بل كان يعرف أنه مجرد صوت صارخ أو شخص يشير إلى شخص آخر آت (مت ٣ : ١١ ، لو ٣ : ١٦) . كان وعظ يوحنا إذن هو المرحلة الأولى لأن الحياة المسيحية تحتوى على مرحلتين :

اولا : نتيقظ على حقيقة أنفسنا وخطايانا واستحقاقنا للدينونة التى يجريها الله . وهذه المرحلة ترتبط غالباً بمحاولاتنا المتكررة أن نحسن أنفسنا ولكننا نفشل كل مرة لأننا نحاول بقوتنا نحن .

ثانيا : نعرف فى المرحلة الثانية أنه لا شيء من الدينونة علينا بواسطة نعمة يسوع المسيح وترتبط هذه المرحلة الثانية بما يصاحبها من قوة نكتشفها هى قوة الروح القدس التى تساعدنا فى محاولاتنا أن نصير أفضل وأننا بالروح نستطيع أن نعمل مالم نكن نستطيع عمله أبداً .

هؤلاء المسيحيون كانت مسيحيتهم ناقصة لأنهم عرفوا الدينونة وعرفوا الجانب الأخلاقى وعرفوا أنه يجب أن تكون حياتهم أفضل لكنهم لم يعرفوا نعمة المسيح ولا قوة الروح القدس . كانت حياتهم عبارة عن صراع ولم يصلوا إلى دين السلام . وهذه القصة توضح لنا حقيقة هامة واحدة ، أنه

لا وجود للمسيحية الكاملة الحقيقية بدون الروح القدس . فإننا ما اكتشفنا في أنفسنا أخطاء وأحسسنا بالحاجة إلى التوبة عنها وحتمنا أن نزيلها من طريقنا فإننا لن نستطيع ذلك بدون مساعدة الروح القدس الذي يساعدنا وحده والقادر على ذلك .

أعمال الله

ثُمَّ دَخَلَ الْمَجْمَعَ وَكَانَ يُجَاهِرُ مُدَّةَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ مُحَاجًّا
وَمُقْنِعًا فِي مَا يَخْتَصُّ بِمَلَكُوتِ اللهِ . وَلَمَّا كَانَ قَوْمٌ يَتَقَسَّوْنَ
وَلاَ يَقْتَنِعُونَ شَاتِمِينَ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْجُمْهُورِ اعْتَزَلَ عَنْهُمْ
وَأَفْرَزَ التَّلاَمِيذَ مُحَاجًّا كُلَّ يَوْمٍ فِي مَدْرَسَةِ إِنْسَانٍ اسْمُهُ
تِيرَانُّسُ وَكَانَ ذلِكَ مُدَّةَ سَنَتَيْنِ حَتَّى سَمِعَ كَلِمَةَ الرَّبِّ
يَسُوعَ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ فِي أَسِيَّا مِنْ يَهُودٍ وَيُونَانِيِّينَ . وَكَانَ
اللهُ يَصْنَعُ عَلَى يَدَيْ بُولُسَ قُوَّاتٍ غَيْرَ الْمُعْتَادَةِ . حَتَّى كَانَ
يُؤْتَى عَنْ جَسَدِهِ بِمَنَادِيلَ أَوْ مَآزِرَ إِلَى الْمَرْضَى فَتَزُولُ عَنْهُمُ
الأَمْرَاضُ وَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ مِنْهُمْ .

(أع ١٩ : ٨ — ١٢)

لما صار من المستحيل على بولس العمل في المجمع نتيجة مقاومة اليهود العنيفة غير بولس مركز عمله واتخذ من بيت فيلسوف إسمه تيرانس مقراً له . وقد وجدت

مخطوطة يونانية ألقت ضوءاً يعتبر شهادة شاهد عيان على عمل بولس إذ تقول. هـــذه المخطوطة إن بولس كان يعلم كل يوم في تلك القاعة من الساعة الحادية عشرة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر . وغالباً كان هذا الوقت هو الوقت الوحيد المناسب لبولس إذ أن تيرانس كان يستخدم القاعة قبل الساعة الحادية عشرة وبعد الساعة الرابعة مساء . فني المدن اليونانية كان العمل يتوقف في الساعة الحادية عشرة ولا يبدأ قبل الرابعة . فقد كان العمل بين الفترتين مرهقاً جداً . وكان الناس يحبون النوم ظهراً (كعادة الشرقيين) حتى أن عدد من يناموت الساعة الواحدة بعد الظهر أكثر جداً من عدد النائمين في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . أي أن بولس كان يشتغل طول الصباح وكل المساء في صناعته وكان يعلم في فترة الظهيرة . وهذا يرينا شيئين : حماس بولس التعليم وحماس المسيحيين للتعلم ، فإن الوقت الوحيد المتاح لهم هو وقت الراحة عندما ينام الناس في فترة الحر . وهذا ما يخجل كثيرين منا عندما نتكلم عن المواعيد غير المناسبة .

ومن الواضح أنه في هذا الوقت تمت أعمال عجيبة . ولم تكن المناديل إلا تلك التي كانت توضع تحت غطاء الرأس لتمتص العرق ولم تكن المآزر إلا مآزر العاملات البسيطات . وهنا نرى الوحي يقدم لنا فكرة - إن الله يصنع بيدي بولس - إن الله في كل مكان مازال يبحث عن أيدي ليستخدمها . قد لا نجري معجزات بأيدينا ولكن من المؤكد أننا نستطيع أن نقدم أيدينا لله ليعمل بها .

الضربة القاضية للسحر

فَشَرَعَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ الطَّوَّافِينَ الْمُعَزِّمِينَ أَنْ يُسَمُّوا عَلَى الَّذِينَ بِهِمِ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ قَائِلِينَ نُقْسِمُ عَلَيْكَ بِيَسُوعَ الَّذِي يَكْرِزُ بِهِ بُولُسُ. وَكَانَ سَبْعَةُ بَنِينَ لِسَكَاوَا رَجُلٍ يَهُودِيٍّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ الَّذِينَ فَعَلُوا هٰذَا. فَأَجَابَ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ وَقَالَ أَمَّا يَسُوعُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ وَبُولُسُ أَنَا أَعْلَمُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَمَنْ أَنْتُمْ. فَوَثَبَ عَلَيْهِمِ الإِنْسَانُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ وَغَلَبَهُمْ وَقَوِيَ عَلَيْهِمْ حَتَّى هَرَبُوا مِنْ ذٰلِكَ الْبَيْتِ عُرَاةً وَمُجَرَّحِينَ. وَصَارَ هٰذَا مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي أَفَسُسَ. فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى جَمِيعِهِمْ وَكَانَ اسْمُ الرَّبِّ يَسُوعَ يَتَعَظَّمُ. وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ. وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ السِّحْرَ يَجْمَعُونَ الْكُتُبَ وَيُحَرِّقُونَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ. وَحَسَبُوا أَثْمَانَهَا فَوَجَدُوهَا خَمْسِينَ أَلْفاً مِنَ الْفِضَّةِ. هٰكَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ تَنْمُو وَتَقْوَى بِشِدَّةٍ.

(أع ١٩ : ١٣ — ٢٠)

هذا فصل حي يمثل مشكلة خاصة بمدينة أفسس . في ذلك العصر كان الناس يؤمنون أن الأمراض الجسمية (والعقلية خصوصاً) ناتجة عن الأرواح الشريرة التي تسكن أجسام الناس . وكان إخراج هذه الأرواح بالرقى والتعاويذ تجارة رابحة جداً . فإذا كان العراف يعرف إسم روح شرير أقوى من الروح الذي يسكن الإنسان فإن مجرد ذكر هذا الإسم كاف لطرد الروح الشرير . ولا داعي لإنكار صحة هذه الأشياء . فقد كان المرضى مقتنعين فعلا بذلك ولم يكن كل العرافين مخادعين بل أن بعضهم كان مقتنعاً في الثقة بقوته . ما أعجب العقل البشري ورحمة الله تتعامل مع الناس مهما كانوا بسطاء أو مخرفين .

فلما شرع قوم من المزمعين في استخدام إسم يسوع حدث أعجب شيء . اكتشف كل المزمعين — المخلص منهم والمخادع — أنهم يسعون في طريق شرير .

وليس أدل على صحة التغيير في حياة الناس مما حدث في حياة أولئك السحرة والعرافين . لقد أظهروا استعدادهم لحرق كتبهم وأحجبتهم رغم ما كانت تدر عليهم من مكاسب وأن تصرفهم هذا لمو مثل لكثيرين منا . فقد كسروا الكباري من خلفهم كما تقول في الأمثال وقطعوا كل صلة تربطهم بالماضي ولم يفكروا لحظة كيف يعيشون في المستقبل بعد أن تركوا وظائفهم كسحرة وعرافين . لقد حدث تغيير حاد وحاسم في حياتهم . حتى أن عدداً كبيراً منا يكرهون خطاياهم لكنهم لا يقدرون أن يتركوها . وحتى لو أننا تركناها فإننا دائماً نحسب حسابها ونتطلع إلى الخلف . لكن توجد أوقات

معينة تكون فيها العمليات الجراحية لازمة عندما يصبح القطع والتنظيف هو العمل الوحيد الناجح .

غرض بولس

وَلَمَّا كَمِلَتْ هٰذِهِ الأُمُورُ وَضَعَ بُولُسُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ بَعْدَمَا يَجْتَازُ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ يَذْهَبُ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلاً إِنِّي بَعْدَمَا أَصِيرُ هُنَاكَ يَنْبَغِي أَنْ أَرَى رُومِيَةَ أَيْضًا . فَأَرْسَلَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ اثْنَيْنِ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَخْدِمُونَهُ تِيمُوثَاوُسَ وَأَرَسْطُوسَ وَلَبِثَ هُوَ زَمَانًا فِي أَسِيَّا .

(أع ١٩ : ٢١و٢٢)

أشار لوقا إشارة رقيقة هنا لشيء يملأ رسائل بولس كلها فقد أشار لوقا إلى أن بولس كان يهدف الذهاب إلى أورشليم . لماذا ؟ كان عند بولس وقتئذ غرض واحد عظيم . كانت كنيسة أورشليم كنيسة فقيرة . وكان غرض بولس أن يأخذ تقدمة من كنائس الأمم إلى كنيسة أورشليم . ونجد إشارات لذلك في ١ كو ١٦ : ١ ، ٢ كو ٩ : ١ ، رو ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ . وكان بولس يهدف لتنفيذ غرضه هذا لسببين :

أولا : أراد أن يؤكد وحدة الكنيسة بطريقة عملية . أرادهم أن يحسوا أنهم جسد واحد هو جسد المسيح وأنه إذا تألم عضو يجب أن يهب الجميع لمساعدته . وبمعنى آخر أراد أن يوسع فكرتهم عن الكنيسة فبدلا من اعتبارها

مجموعة كنائس منفصلة يجب اعتبارها كنيسة واحدة وكل كنيسة محلية جزء من الكنيسة العامة .

ثانيا : أراد أن يعلمهم المحبة المسيحية العملية . ولا شك أنهم عندما علموا بأعواز كنيسة أورشليم شعروا بالأسى . لكن بولس أراد أن يعلمهم أن التأثر والأسى غير كافيين . لكن التأثر والعطف يجب أن يترجما إلى عمل محدد . وهذان الغرضان نافعان لنا اليوم كما كانا نافعين قديماً .

شغب في أفسس

وَحَدَثَ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ شَغَبٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ بِسَبَبِ هٰذَا الطَّرِيقِ . لِأَنَّ إِنْسَاناً اسْمُهُ دِيمِتْرِيُوسُ صَائِغٌ صَانِعُ هَيَاكِلِ فِضَّةٍ لِأَرْطَامِيسَ كَانَ يُكْسِبُ الصُّنَّاعَ مَكْسَبًا لَيْسَ بِقَلِيلٍ. فَجَمَعَهُمْ وَالْفَعَلَةَ فِي مِثْلِ ذٰلِكَ الْعَمَلِ وَقَالَ أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ سَعَتَنَا إِنَّمَا هِيَ مِنْ هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ . وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَتَسْمَعُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَفَسُسَ فَقَطْ بَلْ مِنْ جَمِيعِ أَسِيَّا تَقْرِيبًا اسْتَمَالَ وَأَزَاغَ بُولُسُ هٰذَا جَمْعًا كَثِيرًا قَائِلاً إِنَّ الَّتِي تُصْنَعُ بِالْأَيَادِي لَيْسَتْ آلِهَةً . فَلَيْسَ نَصِيبُنَا هٰذَا وَحْدَهُ فِي خَطَرٍ مِنْ أَنْ يَحْصُلَ فِي إِهَانَةٍ بَلْ أَيْضًا هَيْكَلُ أَرْطَامِيسَ الْإِلٰهَةِ الْعَظِيمَةِ أَنْ يُحْسَبَ لَا شَيْءَ وَأَنْ سَوْفَ تُهْدَمُ عَظَمَتُهَا

هِيَ الَّتِي يَعْبُدُهَا جَمِيعُ أَسِيَّا وَالْمَسْكُونَةُ . فَلَمَّا سَمِعُوا امْتَلأُوا غَضَباً وَطَفِقُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ عَظِيمَةٌ هِيَ أَرْطَامِيسُ الأَفَسُسِيِّينَ فَامْتَلأَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا اضْطِرَاباً وَانْدَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى الْمَشْهَدِ خَاطِفِينَ مَعَهُمْ غَايُوسَ وَأَرِسْتَرْخُسَ الْمَكْدُونِيَّيْنِ رَفِيقَيْ بُولُسَ فِي السَّفَرِ .

وَلَمَّا كَانَ بُولُسُ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْنَ الشَّعْبِ لَمْ يَدَعْهُ التَّلامِيذُ . وَأُنَاسٌ مِنْ وُجُوهِ أَسِيَّا كَانُوا أَصْدِقَاءَهُ أَرْسَلُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ لا يُسَلِّمَ نَفْسَهُ إِلَى الْمَشْهَدِ . وَكَانَ الْبَعْضُ يَصْرُخُونَ بِشَيْءٍ وَالْبَعْضُ بِشَيْءٍ آخَرَ لِأَنَّ الْمَحْفِلَ كَانَ مُضْطَرِباً وَأَكْثَرُهُمْ لا يَدْرُونَ لِأَيِّ شَيْءٍ كَانُوا قَدِ اجْتَمَعُوا . فَاجْتَذَبُوا إِسْكَنْدَرَ مِنَ الْجَمْعِ . وَكَانَ الْيَهُودُ يَدْفَعُونَهُ . فَأَشَارَ إِسْكَنْدَرُ بِيَدِهِ يُرِيدُ أَنْ يَحْتَجَّ لِلشَّعْبِ . فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ يَهُودِيٌّ صَارَ صَوْتٌ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمِيعِ صَارِخِينَ نَحْوَ مُدَّةِ سَاعَتَيْنِ عَظِيمَةٌ هِيَ أَرْطَامِيسُ الأَفَسُسِيِّينَ .

ثُمَّ سَكَّنَ الْكَاتِبُ الْجَمْعَ وَقَالَ أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَفَسُسِيُّونَ

مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ أَنَّ مَدِينَةَ الأَفَسِيِّينَ مُتَعَبِّدَةٌ لأَرْطَامِيسَ الإِلَهَةِ الْعَظِيمَةِ وَالتِّمْثَالِ الَّذِي هَبَطَ مِنْ زَفْسَ فَإِذْ كَانَتْ هٰذِهِ الأَشْيَاءُ لاَ تُقَاوَمُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا هَادِئِينَ وَلاَ تَفْعَلُوا شَيْئاً اقْتِحَاماً . لأَنَّكُمْ أَتَيْتُمْ بِهٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَهُمَا لَيْسَا سَارِقَيْ هَيَاكِلَ وَلاَ مُجَدِّفَيْنِ عَلَى إِلٰهَتِكُمْ . فَإِنْ كَانَ دِيمِتْرِيُوسُ وَالصُّنَّاعُ الَّذِينَ مَعَهُ لَهُمْ دَعْوَى عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّهُ تُقَامُ أَيَّامٌ لِلْقَضَاءِ وَيُوجَدُ وُلاَةٌ فَلْيُرَافِعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضاً. وَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ شَيْئاً مِنْ جِهَةِ أُمُورٍ أُخَرَ فَإِنَّهُ يُقْضَى فِي مَحْفِلٍ شَرْعِيٍّ . لأَنَّنَا فِي خَطَرٍ أَنْ نُحَاكَمَ مِنْ أَجْلِ فِتْنَةِ هٰذَا الْيَوْمِ وَلَيْسَ عِلَّةٌ يُمْكِنُنَا مِنْ أَجْلِهَا أَنْ نُقَدِّمَ حِسَاباً عَنْ هٰذَا التَّجَمُّعِ . وَلَمَّا قَالَ هٰذَا صَرَفَ الْمَحْفِلَ .

(أع ١٩ : ٢٣ ـ ٤١)

هذه قصة مثيرة تلقي ضوءاً على طريقة تفكير أبطالها . فنجد أولاً ديمتريوس وزملاءه من الصاغة . ومشكلتهم أن الموضوع يمس جيوبهم . لقد أعلنوا أنهم يغارون على مجد أرطاميس لكن اهتمامهم الحقيقي كان على جيوبهم ومورد رزقهم . فقد كان الحجاج يشترون الهدايا من أفسس . وكان الصاغة يصنعون نماذج للهيكل يبيعونها للحجاج تذكاراً لزياراتهم لأرطاميس . فجاءت المسيحية

وحاربت هذا باعتباره وثنية . وهنا مثل واضح لما يحـــدث عندما تتعارض المسيحية مع مورد رزقنا .

أما الشخصية الثانية فهى شخصية الـكاتب لـكنه كان أكثر من مجرد كاتب . فقد كان يحفظ السجلات العامة وكانت كل مراسلات أفسس توجه إليه ولقد اضطرب هذا الـكاتب خوفا من حدوث اضطرابات . لقد كانت حـكومة روما متسامحة لـكنها ما كانت تتسامح أبداً مع الاضطرابات فإذا حدث شغب فى أية مدينة فلا بد أن روما تسمع به ثم تفصل الحـكام المسئولين فى المدينة . إذاً فقد تصرف الـكاتب وفى ذهنه مركزه الشخصى . حقا لقد أنقذ بولس وزملاءه لـكنه فى الحقيقة كان ينقذ نفسه أيضاً .

أما الشخصية الثالثة فهى شخصية بولس . وهنا نجد بولس يريد أن يواجه الجمهور لـكن التلاميذ منعوه . لم يخش بولس من مواجهة الجماهير فقد كان رجلاً لا يهاب إنسانا . فمن وجهة نظر الصاغة والـكاتب كانوا يبحثون عن مصالحهم أولا أما بولس فـكان يضع نفسه ومصالحه آخر شىء .

الأَصْحَاحُ الْعِشْرُون

بدء الرحلة إلى أورشليم

وَبَعْدَمَا انْتَهَى الشَّغَبُ دَعَا بُولُسُ التَّلاَمِيذَ وَوَدَّعَهُمْ وَخَرَجَ لِيَذْهَبَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ . وَلَمَّا كَانَ قَدِ اجْتَازَ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي وَوَعَظَهُمْ بِكَلاَمٍ كَثِيرٍ جَاءَ إِلَى هَلاَّسَ . فَصَرَفَ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ إِذْ حَصَلَتْ مَكِيدَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِ وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى سُورِيَّةَ صَارَ رَأْيٌ أَنْ يَرْجِعَ عَلَى طَرِيقِ مَكِدُونِيَّةَ . فَرَافَقَهُ إِلَى أَسِيَّا سُوبَاتَرُسُ الْبِيرِيُّ . وَمِنْ أَهْلِ تَسَالُونِيكِي أَرِسْتَرْخُسُ وَسَكُونْدُسُ وَغَايُوسُ الدَّرْبِيُّ وَتِيمُوثَاوُسُ . وَمِنْ أَهْلِ أَسِيَّا تِيخِيكُسُ وَتُرُوفِيمُسُ. هٰؤُلاَءِ سَبَقُوا وَانْتَظَرُونَا فِي تَرُوَاسَ. وَأَمَّا نَحْنُ فَسَافَرْنَا فِي الْبَحْرِ بَعْدَ أَيَّامِ الْفَطِيرِ مِنْ فِيلِبِّي وَوَافَيْنَاهُمْ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ إِلَى تَرُوَاسَ حَيْثُ صَرَفْنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ .

(أع ٢٠ : ١ – ٦)

رأينا كيف صمم بولس أن يجمع بعض التقدمات ويأخذها إلى أورشليم ولهذا ذهب بولس إلى مكدونية . وهنا أيضاً نكتشف أننا لا نعرف كل

التفاصيل عن رحلات بولس . يقول عدد ٢ « ولما كان قد اجتاز فى تلك النواحى ووعظهم بكلام كثير جاء إلى هلاس (اليونان) » وربما زار الليريكون فى هذه المناسبة (رو ١٥ : ١٩) ربما كان هذا العدد يلخص لنا رحلة سنة كاملة . وفى عدد ٣ عندما كان بولس يريد السفر من اليونان إلى سوريا اكتشفت مكيدة يهودية فغير طريقه واتخذ طريقاً آخر ماراً بمكدونية. ما هى تفاصيل هذه المكيدة ؟ ربما قصد بولس السفر فى إحدى السفن التى كانت تحمل الحجاج اليهود الذين يسافرون لقضاء الفصح فى أورشليم . وفى مثل هذه السفن كان من السهل على اليهود المتعصبين أن يتخلصوا من بولس دون أن يسمع أحد شيئاً عنه . حقا أن بولس كان دائماً يحمل رأسه على كفه وفى عدد ٤ نجد كشفاً تفصيلياً بكل رفقائه فى الرحلة . ولابد أن هؤلاء الناس كانوا مندوبين عن كنائسهم يحملون عطاياهم إلى كنيسة أورشليم فهذه الجماعة كانت تمثل وحدة الكنيسة وإن كانت حاجة الكنيسة واحدة تمثل تحديا للكنيسة العامة فقد هب الجميع لانتهاز هذه الفرصة لإظهار محبتهم . وفى العدد الخامس يتحول الكلام من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم مرة أخرى . وهذا معناه أن لوقا كان شاهد عيان لهذه الحوادث . ويقول لوقا إنهم تركوا فيلبى بعد أيام الفطير وكانت أيام الفطير تبدأ بيوم الفصح وتستمر لمدة أسبوع حيث يمتنع أى يهودى عن أكل الخمير تذكاراً لخروجهم من أرض مصر . والفصح كان يقع فى منتصف أبريل .

الشاب النائم

وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ إِذْ كَانَ التَّلامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِيَكْسِرُوا

خُبْزًا خَاطَبَهُمْ بُولُسُ وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمْضِيَ فِي الْغَدِ وَأَطَالَ الْكَلَامَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ . وَكَانَتْ مَصَابِيحُ كَثِيرَةٌ فِي الْعِلِّيَّةِ الَّتِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهَا . وَكَانَ شَابٌّ اسْمُهُ أَفْتِيخُوسُ جَالِسًا فِي الطَّاقَةِ مُتَثَقِّلًا بِنَوْمٍ عَمِيقٍ . وَإِذْ كَانَ بُولُسُ يُخَاطِبُ خِطَابًا طَوِيلًا غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فَسَقَطَ مِنَ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ إِلَى أَسْفَلُ وَحُمِلَ مَيِّتًا . فَنَزَلَ بُولُسُ وَوَقَعَ عَلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُ قَائِلًا لَا تَضْطَرِبُوا لِأَنَّ نَفْسَهُ فِيهِ . ثُمَّ صَعِدَ وَكَسَّرَ خُبْزًا وَأَكَلَ وَتَكَلَّمَ كَثِيرًا إِلَى الْفَجْرِ . وَهَكَذَا خَرَجَ . وَأَتَوْا بِالْفَتَى حَيًّا وَتَعَزَّوْا تَعْزِيَةً لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ

(أ ع ٢٠ : ٧ ـ ١٢)

تبدو هذه القصة مليئة بالحيوية وهذا طبيعي لأنها قصة يرويها شاهد عيان . وهنا نجد وصفاً لشكل الخدمة في العصور الأولى . والقصة تذكر مرتين كسر الخبز . في الكنيسة الأولى كانوا يطوسون شيئين متشابهين . وليمة المحبة وكانت عبارة عن عشاء يشترك فيه الجميع . وربما كانت هذه الوليمة هي الوجبة الحقيقية الوحيدة التي كان يتناولها العبيد الفقراء كل أسبوع وكان المسيحيون يجلسون حـــول مائدة المحبة يتناولون الطعام في أخوة صادقة ومحبة مسيحية حقيقية . وربما كانوا يتناولون العشاء الرباني خلال هذه الوليمة أو في نهايتها .

حقا تنقصنا الآن هذه الوليمة ذات القيمة العظيمة ففقدنا روح الشركة الحقيقية والبهجة التي كانت تصاحبها . لقد كانت هذه الوليمة تظهر روح الأسرة الواحدة في الكنيسة . رأينا أن كل هذا كان يتم مساء ربما لأنه الوقت الوحيد المناسب للعبيد بعد الانتهاء من أعمالهم اليومية حتى لا يحرموا من الشركة المسيحية . وهذا يفسر لنا قصة افتيخوس . فقد كانت الغرفة ساخنة من تأثير المصابيح الكثيرة في العلية الصغيرة التي كانوا مجتمعين فيها . ولا شك أن أفتيخوس كان متعباً من عمل شاق مرهق طوال اليوم . وقد اختار الجلوس على النافذة ليستمتع بنسيم الليل البارد . وكانت النوافذ خشبية تفتح كما تفتح الأبواب . وكانت تطل على بهو المنزل . ونام أفتيخوس المسكين المتعب وسقط في بهو المنزل فاندفع الناس على السلم فوجدوا الشاب ملقى على الأرض لا يتحرك فصرخوا حسب العادات الشرقية لذلك طلب منهم بولس قائلا لا تضطربوا لأن نفسه فيه . ومن العدد التالي نستنتج أن بولس لم يصعد ثانية مع الجمهور بل بقى مع الشاب حتى تأكد أن الشاب صار سليما . وهذه صورة جميلة تصور لنا اجتماع الكنيسة كأسرة أكثر منه مجرد جماعة . وربما وصلنا إلى ما نسميه الإحترام في كنائسنا لكننا غالباً فقدنا الشعور بأننا أسرة الله الواحدة .

مراحل الطريق

وَأَمَّا نَحْنُ فَسَبَقْنَا إِلَى السَّفِينَةِ وَأَقْلَعْنَا إِلَى أَسُّوسَ مُزْمِعِينَ أَنْ نَأْخُذَ بُولُسَ مِنْ هُنَاكَ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ رَتَّبَ هٰكَذَا مُزْمِعاً أَنْ يَمْشِيَ . فَلَمَّا وَافَانَا إِلَى أَسُّوسَ أَخَذْنَاهُ وَأَتَيْنَا إِلَى

مِيتِيلِينِي . ثُمَّ سَافَرْنَا مِنْ هُنَاكَ فِي الْبَحْرِ وَأَقْبَلْنَا فِي الْغَدِ إِلَى مُقَابِلِ خِيُوسَ . وَفِي الْيَوْمِ الآخَرِ وَصَلْنَا إِلَى سَامُوسَ وَأَقَمْنَا فِي تُرُوجِيلِيُونَ ثُمَّ فِي الْيَوْمِ التَّالِي جِئْنَا إِلَى مِيلِيتُسَ . لأَنَّ بُولُسَ عَزَمَ أَنْ يَتَجَاوَزَ أَفَسُسَ فِي الْبَحْرِ لِئَلاَّ يَعرِضَ لَهُ أَنْ يَصْرِفَ وَقْتًا فِي أَسِيَّا . لأَنَّهُ كَانَ يُسْرِعُ حَتَّى إِذَا أَمْكَنَهُ يَكُونُ فِي أُورُشَلِيمَ فِي يَوْمِ الْخَمْسِينَ .

(أع ١٠ : ١٣ — ١٦)

لأن لوقا كان مع بولس نستطيع أن نتابع رحلة بولس يوماً بعد يوم ومرحلة بعد أخرى . فمن ترواس إلى أسوس ٢٠ ميلا بالطريق البرى و٣٠ ميلا بالبحر حيث كان يمر حول رأس (لكتم) ضد رياح شمالية شرقية شديدة . وهكذا رتب بولس أن يمشى فى الطريق البرى حيث يقابلهم فى أسوس. لماذا فعل ذلك ؟ ربما كان يحتاج إلى شيء من الوحدة ليعد نفسه للأيام التالية . وربما أراد أن يسير مع يسوع قبل أن يواجه الناس . وكانت ميتيلينى تقع على جزيرة مقابلة للجزيرة التى تقع عليها خيوس . وكانت ميلتس على بعد ٢٨ ميلا جنوب أفسس . لقد كان بولس يريد أن يقضى الفصح فى أورشليم لكن مكيدة اليهود عطلته لذلك قرر أن يصل فى يوم الخمسين أى بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح . وهنا نلاحظ أنه رغم أن بولس انفصل عن الديانة اليهودية إلا أنه ظل مرتبطا بأعياد أجداده ارتباطا عاطفيا .

كان بولس رسول الأمم وربما أبغضه بنو جنسه ، لكن قلبه كان لا يحمل لهم إلا كل حب وشوق .

وداع مؤلم

وَمِنْ مِيلِيتُسَ أَرْسَلَ إِلَى أفسسَ وَاسْتَدْعَى قُسُوسَ الْكَنِيسَةِ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ قَالَ لَهُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَخَلْتُ أَسِيَّا كَيْفَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ الزَّمَانِ أَخْدُمُ الرَّبَّ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ وَبِتَجَارِبَ أَصَابَتْنِي بِمَكَايِدِ الْيَهُودِ . كَيْفَ لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئًا مِنَ الْفَوَائِدِ إِلَّا وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ . شَاهِدًا لِلْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ . وَالْآنَ هَا أَنَا أَذْهَبُ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدًا بِالرُّوحِ لَا أَعْلَمُ مَاذَا يُصَادِفُنِي هُنَاكَ . غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَشْهَدُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قَائِلًا إِنَّ وُثُقًا وَشَدَائِدَ تَنْتَظِرُنِي . وَلَكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ وَلَا نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ . وَالْآنَ هَا أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَرَوْنَ وَجْهِي أَيْضًا أَنْتُمْ جَمِيعًا الَّذِينَ

مَرَرْتُ بَيْنَكُمْ كَارِزًا بِمَلَكُوتِ اللهِ . لِذَلِكَ أُشْهِدُكُمُ الْيَوْمَ هَذَا أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ الْجَمِيعِ . لِأَنِّي لَمْ أُؤَخِّرْ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِكُلِّ مَشُورَةِ اللهِ . احْتَرِزُوا إِذًا لِأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ . لِأَنِّي أَعْلَمُ هَذَا أَنَّهُ بَعْدَ ذَهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لَا تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ . وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلَامِيذَ وَرَاءَهُمْ . لِذَلِكَ اسْهَرُوا مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلَاثَ سِنِينَ لَيْلًا وَنَهَارًا لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ كُلَّ وَاحِدٍ . وَالْآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي لِلهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ الْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ . فِضَّةَ أَوْ ذَهَبَ أَوْ لِبَاسَ أَحَدٍ لَمْ أَشْتَهِ . أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ

قَالَ مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءِ أَكْثَرُ مِنَ الْأَخْذِ . وَلَمَّا قَالَ هٰذَا جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ مَعَ جَمِيعِهِمْ وَصَلَّى . وَكَانَ بُكَاءٌ عَظِيمٌ مِنَ الْجَمِيعِ وَوَقَعُوا عَلَى عُنُقِ بولُسَ يُقَبِّلُونَهُ . مُتَوَجِّعِينَ وَلَا سِيَّمَا مِنَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا إِنَّهُمْ لَنْ يَرَوْا وَجْهَهُ أَيْضاً . ثُمَّ شَيَّعُوهُ إِلَى السَّفِينَةِ .

(أع ٢٠ : ١٧ — ٣٨)

لا يمكن طبعاً أن نحلل خطاب بولس الوداعي تحليلا دقيقا لأنه خطاب عاطفي مؤثر . لكننا نلاحظ أن بولس يوضح بعض الحقائق فهو يقول .

١ — أنه شهد بكل جرأة وعلمهم كل شيء عن إرادة الله جهراً ولم يخف عنهم شيئاً . ولم يقم وزنا لا للخوف من الناس ولا لتملقهم .

٢ — أنه عاش معتمداً على نفسه يقول « أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتهما هاتان اليدان » . لم يشته أن يأخذ فضة أو لباس أحد . ولم ينفق على نفسه فقط بل أنفق أيضاً على الذين معه الذين كانوا أقل حظاً ودخلا . يجب أن يكون للانسان هدفان : أن يعتمد على نفسه ليصبح مستقلا غير محتاج ثم ليعطي الآخرين أيضاً .

٣ — واجه المستقبل بشجاعة . أنه يصف نفسه بأنه كان مقيداً بالروح أي أنه كان أسيرا لقيادة الروح . لم يكن يعرف ماسيواجهه لكنه كان يعرف شيئاً واحداً أنه لابد أن يواجه المستقبل وأنه سيتمكن من مواجهته .

وتحدث بولس عن أصدقائه أيضاً :

(١) فذكرهم بواجباتهم . فهم رعاة لرعية الله . لم تكن هذه وظيفة إختاروها بأنفسهم بل اختارهم الله لها. أن خدام الراعى الصالح يجب أن يكونوا رعاة أيضاً للخراف. (٢) ذكرهم بالمخاطر التى تحيط بهم. وكما قيل « أن الاحتراس الكامل هو ثمن الحرية » فإن العدوى من العالم ليست بعيدة . وحيث يوجد الحق فإن الزيف لا يكف عن مهاجمته . لقد كانت أمامهم حرباً ليحفظوا إيمانهم وكنيستهم بلا دنس .

ويسيطر على جو هذه القصة عاطفة حب عميقة عمق القلب ذاته . هذه العاطفة التى يجب أن تسود فى أية كنيسة . عندما يموت الحب فى كنيسة فإن عمل المسيح يذوى ويذبل . لقد كانت كنيسة أفسس عزيزة على قلب بولس لأن جو الكنيسة كان جو الحب .

لا رجوع

الأَصْحَاحُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

وَلَمَّا انْفَصَلْنَا عَنْهُمْ أَقْلَعْنَا وَجِئْنَا مُتَوَجِّهِينَ بِالاسْتِقَامَةِ إِلَى كُوسَ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى رُودُسَ . وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى بَاتَرَا . فَإِذْ وَجَدْنَا سَفِينَةً عَابِرَةً إِلَى فِينِيقِيَةَ صَعِدْنَا إِلَيْهَا وَأَقْلَعْنَا . ثُمَّ اطَّلَعْنَا عَلَى قُبْرُسَ وَتَرَكْنَاهَا يَسْرَةً وَسَافَرْنَا إِلَى سُورِيَّةَ وَأَقْبَلْنَا إِلَى صُورَ لِأَنَّ هُنَاكَ كَانَتِ السَّفِينَةُ تَضَعُ وَسْقَهَا . وَإِذْ وَجَدْنَا التَّلَامِيذَ مَكَثْنَا هُنَاكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَكَانُوا يَقُولُونَ لِبُولُسَ بِالرُّوحِ أَنْ لَا يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَلَكِنْ لَمَّا اسْتَكْمَلْنَا الْأَيَّامَ خَرَجْنَا ذَاهِبِينَ وَهُمْ جَمِيعًا يُشَيِّعُونَنَا مَعَ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ . فَجَثَوْنَا عَلَى رُكَبِنَا عَلَى الشَّاطِئِ وَصَلَّيْنَا . وَلَمَّا وَدَّعْنَا بَعْضُنَا بَعْضًا صَعِدْنَا إِلَى السَّفِينَةِ . وَأَمَّا هُمْ فَرَجَعُوا إِلَى خَاصَّتِهِمْ .

وَلَمَّا أَكْمَلْنَا السَّفَرَ فِي الْبَحْرِ مِنْ صُورَ أَقْبَلْنَا إِلَى بْتُولَمَايِسَ

فَسَلَّمْنَا عَلَى الإِخْوَةِ وَمَكَثْنَا عِنْدَهُمْ يَوْمًا وَاحِدًا . ثُمَّ خَرَجْنَا فِي الْغَدِ نَحْنُ رُفَقَاءَ بُولُسَ وَجِئْنَا إِلَى قَيْصَرِيَّةَ فَدَخَلْنَا بَيْتَ فِيلُبُّسَ الْمُبَشِّرِ إِذْ كَانَ وَاحِدًا مِنَ السَّبْعَةِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ . وَكَانَ لِهٰذَا أَرْبَعُ بَنَاتٍ عَذَارَى كُنَّ يَتَنَبَّأْنَ . وَبَيْنَمَا نَحْنُ مُقِيمُونَ أَيَّامًا كَثِيرَةً انْحَدَرَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَغَابُوسُ. فَجَاءَ إِلَيْنَا وَأَخَذَ مِنْطَقَةَ بُولُسَ وَرَبَطَ يَدَيْ نَفْسِهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ هٰذَا يَقُولُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ . الرَّجُلُ الَّذِي لَهُ هٰذِهِ الْمِنْطَقَةُ هٰكَذَا سَيَرْبِطُهُ الْيَهُودُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى أَيْدِي الأُمَمِ . فَلَمَّا سَمِعْنَا هٰذَا طَلَبْنَا إِلَيْهِ نَحْنُ وَالَّذِينَ مِنَ الْمَكَانِ أَنْ لاَ يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ . فَأَجَابَ بُولُسُ مَاذَا تَفْعَلُونَ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي لأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبَطَ فَقَطْ بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ . وَلَمَّا لَمْ يُقْنَعْ سَكَتْنَا قَائِلِينَ لِتَكُنْ مَشِيئَةُ الرَّبِّ . وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ تَأَهَّبْنَا وَصَعِدْنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ . وَجَاءَ أَيْضًا مَعَنَا مِنْ قَيْصَرِيَّةَ أُنَاسٌ مِنَ التَّلاَمِيذِ ذَاهِبِينَ بِنَا إِلَى مَنَاسُونَ وَهُوَ رَجُلٌ قُبْرُسِيٌّ تِلْمِيذٌ قَدِيمٌ لِنَنْزِلَ عِنْدَهُ .

(أع ٢١ : ١ — ١٦)

إن حوادث القصة تسرع نحو عاصفة تكاد تجتاح حياة بولس إذ يقترب من أورشليم . وهنا نجد شقين :

(١) فنحن نلاحظ تصميم بولس على المضى قدماً نحو أورشليم مهما كانت الصعاب التى أمامه . ولم يكن هناك أوضح من تحذير التلاميذ فى صور وما تنبأ به أغابوس فى قيصرية . لكن كل هذا لم يثن بولس عن عزمه أن يسافر إلى أورشليم . لقد اختار بولس طريقه وسارفيه مرفوع الرأس مهما كانت الظروف. فى أثناء الحرب الأهلية فى أسبانيا حوصرت حامية وأراد أفرادها التسليم لكن أحد أفراد الحامية وقف بينهم قائلا « إنى أفضل أن أموت وأنا واقف على قدمى من أن أعيش راكعاً على ركبتى » لقد كان هذا شعار بولس .

(٢) حيثما ذهب بولس كان يجد مجتمعاً مسيحياً صغيراً فى انتظاره وهذه حقيقة ، ليست فى حياة بولس فقط ، بل حتى يومنا هذا .

فأينما يذهب المسيحى حتى إلى أطراف الأرض فإنه يجد أشخاصاً مسيحيين مثله يرحبون به . وهذه ميزة يتمتع بها كل مسيحى . فالمسيحى فى الكنيسة يتمتع بصداقة لا مثيل لها فى العالم .

شخصية أغابوس شخصية طريفة . فقد كان للأنبياء اليهود عادة معينة . فعندما كانوا يعجزون عن التعبير بالكلام كانوا يمثلون ما يريدون أن يقولوه حتى يجذبوا الانتباه إليهم . وهناك شواهد كثيرة على ذلك فى العهد القديم مثل أش ٢٠ : ٣و٤ أرميا ١٣ : ١ — ١١ ، ٢٧ : ٢ حز ٤ ، ٥ : ١ — ٤ ، ١مل ١١ : ٢٩ — ٣١ .

شبهات فى أورشليم

وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَنَا الإِخْوَةُ بِفَرَحٍ . وَفِي الْغَدِ دَخَلَ بُولُسُ مَعَنَا إِلَى يَعْقُوبَ وَحَضَرَ جَمِيعُ الْمَشَايِخِ . فَبَعْدَ مَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ طَفِقَ يُحَدِّثُهُمْ شَيْئًا فَشَيْئًا بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ اللهُ بَيْنَ الأُمَمِ بِوَاسِطَةِ خِدْمَتِهِ . فَلَمَّا سَمِعُوا يُمَجِّدُونَ الرَّبَّ. وَقَالُوا لَهُ أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الأَخُ كَمْ يُوجَدُ رَبْوَةً مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ جَمِيعاً غَيُورُونَ لِلنَّامُوسِ . وَقَدْ أُخْبِرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تُعَلِّمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الأُمَمِ الإِرْتِدَادَ عَنْ مُوسَى قَائِلاً أَنْ لاَ يَخْتِنُوا أَوْلاَدَهُمْ وَلاَ يَسْلُكُوا حَسَبَ الْعَوَائِدِ. فَإِذاً مَاذَا يَكُونُ . لاَ بُدَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ يَجْتَمِعَ الْجُمْهُورُ لأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ . فَافْعَلْ هٰذَا الَّذِي نَقُولُ لَكَ. عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ نَذْرٌ . خُذْ هٰؤُلاَءِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ لِيَحْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ فَيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُخْبِرُوا عَنْكَ بَلْ تَسْلُكُ أَنْتَ أَيْضاً حَافِظاً لِلنَّامُوسِ . وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الأُمَمِ فَأَرْسَلْنَا نَحْنُ إِلَيْهِمْ

وَحَكَمْنَا أَنْ لاَ يَحْفَظُوا شَيْئًا مِثْلَ ذَلِكَ سِوَى أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ وَمِنَ الدَّمِ وَالْمَخْنُوقِ وَالزِّنَا . حِينَئِذٍ أَخَذَ بُولُسُ الرِّجَالَ فِي الْغَدِ وَتَطَهَّرَ مَعَهُمْ وَدَخَلَ الْهَيْكَلَ مُخْبِرًا بِكَمَالِ أَيَّامِ التَّطْهِيرِ إِلَى أَنْ يُقَرَّبَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْقُرْبَانُ .

(أع ٢١ : ١٧ — ٢٦)

عند وصل بولس إلى أورشليم واجهت الكنيسة مشكلة . لقد قبلته الكنيسة ورأوا يد الله فى عمله . لكن هناك شبهات حامت حوله وشائعات تقول أنه يشجع اليهود أن يتركوا إيمان آبائهم وعوائدهم . وهذا ما لم يعمله بولس أبداً . لقد أكد حقاً فى تعليمه على أن الناموس لا يفيد الأممى شيئاً ، لكنه لم يفكر مطلقاً أن يشكك اليهود فى عادات آبائهم . لذلك فكر الآباء فى طريقة يثبت بها بولس صحة تعليمه وإيمانه وسلوكه .

فهناك أربعة أشخاص عليهم نذر . وكان النذر تعبيراً عن شكر لله لصنيع عمله للانسان كشفائه من مرض وكان النذير يمتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر مدة ثلاثين يوماً . ولا يحلق رأسه طول هذه المدة وغالباً كان يقضى الأسبوع الأخير من مدة النذر فى الهيكل . وفى نهاية المدة يأتى النذير بتقدمة خروف حولى ذبيحة خطية أو حمل كذبيحة سلامة أو سلة من الخبز غير المختمر وفطير من دقيق ملتوت بالزيت . وأخيراً يحلق الشعر ويحرق على الذبح مع التقدمة . وكان هذا الموضوع مكلفاً طبعاً فالإنسان يترك عمله ويشترى الذبيحة . وكانت

التكاليف أحياناً أكثر من أن يحتملها أى إنسان يرغب فى القيام بنذر لله لذلك كان يقوم بعض الأثرياء كعمل من أعمال التقوى بالصرف على النذير. وهذا ما طلب من بولس أن يقوم به وبذلك يقتنع الجميع أن بولس محافظ على الناموس. ولا شك أن بولس لم يستسغ كل هذا. فبالنسبة لبولس لم تكن كل هذه الأشياء ذات قيمة. ولكن هذه إحدى علامات الرجل العظيم أن يخضع نفسه ورغباته ووجهة نظره لمصلحة الكنيسة. وهذه ليست علامة الضعف بل علامة القوة.

تشويه سمعته

وَلَمَّا قَارَبَتِ ٱلأَيَّامُ ٱلسَّبْعَةُ أَنْ تَتِمَّ رَآهُ ٱلْيَهُودُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَسِيَّا فِي ٱلْهَيْكَلِ فَأَهَاجُوا كُلَّ ٱلْجَمْعِ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ ٱلأَيَادِيَ. صَارِخِينَ يَا أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلإِسْرَائِيلِيُّونَ أَعِينُوا. هٰذَا هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي يُعَلِّمُ ٱلْجَمِيعَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ضِدًّا لِلشَّعْبِ وَٱلنَّامُوسِ وَهٰذَا ٱلْمَوْضِعِ حَتَّى أَدْخَلَ يُونَانِيِّينَ أَيْضًا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ وَدَنَّسَ هٰذَا ٱلْمَوْضِعَ ٱلْمُقَدَّسَ. لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا مَعَهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ تُرُوفِيمُسَ ٱلأَفَسُسِيَّ فَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ بُولُسَ أَدْخَلَهُ إِلَى ٱلْهَيْكَلِ. فَهَاجَتِ ٱلْمَدِينَةُ كُلُّهَا وَتَرَاكَضَ ٱلشَّعْبُ وَأَمْسَكُوا بُولُسَ وَجَرُّوهُ خَارِجَ ٱلْهَيْكَلِ وَلِلْوَقْتِ أُغْلِقَتِ

ٱلْأَبْوَابُ . وَبَيْنَمَا هُمْ يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ نَمَا خَبَرٌ إِلَى أَمِيرِ ٱلْكَتِيبَةِ أَنَّ أُورُشَلِيمَ كُلَّهَا قَدِ ٱضْطَرَبَتْ . فَلِلْوَقْتِ أَخَذَ عَسْكَرًا وَقُوَّادَ مِئَاتٍ وَرَكَضَ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَوُا ٱلْأَمِيرَ وَٱلْعَسْكَرَ كَفُّوا عَنْ ضَرْبِ بُولُسَ .

حِينَئِذٍ ٱقْتَرَبَ ٱلْأَمِيرُ وَأَمْسَكَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُقَيَّدَ بِسِلْسِلَتَيْنِ وَطَفِقَ يَسْتَخْبِرُ تُرَى مَنْ يَكُونُ وَمَاذَا فَعَلَ . وَكَانَ ٱلْبَعْضُ يَصْرُخُونَ بِشَيْءٍ وَٱلْبَعْضُ بِشَيْءٍ آخَرَ فِي ٱلْجَمْعِ . وَلَمَّا لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَعْلَمَ ٱلْيَقِينَ لِسَبَبِ ٱلشَّغَبِ أَمَرَ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى ٱلْمُعَسْكَرِ . وَلَمَّا صَارَ عَلَى ٱلدَّرَجِ ٱتَّفَقَ أَنَّ ٱلْعَسْكَرَ حَمَلَهُ بِسَبَبِ عُنْفِ ٱلْجَمْعِ . لِأَنَّ جُمْهُورَ ٱلشَّعْبِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ صَارِخِينَ خُذْهُ

(أع ٢١: ٢٧ — ٣٦)

لقد أدى خضوع بولس لرأى الكنيسة إلى مشكلة كبيرة . فقد كان وقت الفصح حيث امتلأت المدينة من يهود من كل العالم وقد حضر إلى المدينة ولا شك يهود من آسيا الصغرى الذين شاهدوا بولس وعرفوا ما فعلته رسالته فى آسيا كلها . وقد رأوا بولس بصحبة تروفيموس فى أورشليم وغالباً كانوا يعرفون تروفيموس . وكان بولس يتردد على الهيكل ليشرف على إتمام النذر

فظن اليهود أنه يصطحب تروفيموس معه . لقد كان تروفيموس أمميا وكان دخول الأمم إلى الهيكل ممنوعاً بتاتاً . كان مسموحاً للأمم أن يدخلوا رواق الأمم وكان بين رواق الأمم ورواق النساء عدة علامات مكتوب عليها ممنوع دخول أى أممى بعد الحاجز . ومن يرى بعد هذا الحاجز فهو مسئول عما يحدث له فعقوبته الموت .

وقد احترم الرومان هذا القانون حتى أنهم وافقوا على قتل من يتخطى هذا الحاجز . ولذلك أتهم بولس بتدنيس الهيكل والتعدى على الناموس والاستهتار بشعب الله المختار . لذلك قاد اليهود حركة كان الغرض منها التعدى على بولس وقتله دون محاكمة . وفى شمال غرب الهيكل كان يوجد حصن أنطونيا الذى بناه هيرودس الكبير . وكان يقيم فى هذا الحصن فى أوقات الأعياد ألف من الجنود الاحتياطيين للطوارىء . فمن أهم الأشياء فى نظر الحكومة الرومانية استتباب الأمن . وكان أى اضطراب جريمة لا تغتفر سواء لمن قاموا بها أو للحاكم الذى سمح بها ، لذلك عندما سمع قائد الحامية بالشغب أسرع هو وجنوده بالنزول ، ولحماية بولس كان لا بد أن يقبض عليه ويقيده من يديه إلى عسكريين . وفى وسط الشغب لم يستطع الأمير أن يستخلص موضوع الشغب من الناس . لذلك حمل الجنود بولس إلى الحصن . لم يكن بولس فى كل حياته قريباً إلى الموت كما حدث له فى هذا الحادث ولولا العدالة الرومانية لفتك به الشعب .

مواجهة ثورة الشعب

وَإِذْ قَارَبَ بُولُسُ أَنْ يَدْخُلَ الْمُعَسْكَرَ قَالَ لِلأَمِيرِ أَيَجُوزُ لِي أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئاً . فَقَالَ أَتَعْرِفُ الْيُونَانِيَّةَ . أَفَلَسْتَ أَنْتَ الْمِصْرِيَّ الَّذِي صَنَعَ قَبْلَ هٰذِهِ الأَيَّامِ فِتْنَةً وَأَخْرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعَةَ الآلاَفِ الرَّجُلِ مِنَ الْقَتَلَةِ . فَقَالَ بُولُسُ أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ طَرْسُوسِيٌّ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةٍ غَيْرِ دَنِيَّةٍ مِنْ كِيلِيكِيَّةَ . وَأَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَأْذَنَ لِي أَنْ أُكَلِّمَ الشَّعْبَ . فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ وَقَفَ بُولُسُ عَلَى الدَّرَجِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّعْبِ فَصَارَ سُكُوتٌ عَظِيمٌ . فَنَادَى بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ قَائِلاً .

(أع ٢١ : ٣٧ — ٤٠)

كان الحصن متصلا بالدار الخارجية للهيكل بسلمين . سلم من الناحية الشمالية وسلم من ناحية الغرب . وإذ كان الجنود يكافحون للوصول به إلى داخل الحصن إذا ببولس يطلب طلباً غريباً . فقد طلب من الأمير أن يواجه الجمهور وأن يخاطبهم . ما أشجع هذا الرجل لقد كان هذا أسلوب بولس دائماً أن يواجه الناس مباشرة وفي وجوههم وهنا بهت الأمير أن يسمع هذا الأسير الذي كاد الشعب يفتك به يتحدث لغة المثقفين ويحدثه بلغة يونانية سليمة .

فى سنة ٥٤ م جاء مصرى إلى أورشليم وقاد جماعة من المجرمين ووقف على جبـل الزيتون وادعى أنه قادر على هدم أسوار أورشليم وقد قضى الرومان بسرعة وكفاءة على كل أتباعه أما هو فاستطاع الهرب . لذلك ظن الأمير أن بولس هو هذا المصرى الذى كان يأخذ أتباعه إلى الهيـكل وهم يخفون خناجرهم تحت عباءاتهم ويقتلون على قدر ما يريدون . لـكن بولس قدم له مؤهلاته حتى اقتنع الأمير أنه لا يمـكن أن يكون هو ذلك المجرم لذلك سمح له بالـكلام. وعندما استدار بولس ليتـكلم أشار إلى الجمهور ليصمت . وبطريقة إعجاز به صمت غريب لا توجـد إشارة فى كل العهد الجديد تبين قوة شخصية بولس كهذا الجزء . فمجرد إشارة منه كانت كافية لإسكات الناس الذين حاولوا قتله منذ قليل . ولا شك أن قوة الله كانت تفيض من قسماته .

الأَصْحَاحُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

دفاع خبير

أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ وَالآبَاءُ اسْمَعُوا احْتِجَاجِي الآنَ لَدَيْكُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُ يُنَادِي لَهُمْ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ أَعْطَوْا سُكُوتًا أَحْرَى . فَقَالَ . أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ وَلٰكِنْ رَبِيتُ فِي هٰذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ . وَكُنْتُ غَيُوراً لِلهِ كَمَا أَنْتُمْ جَمِيعُكُمُ الْيَوْمَ . وَاضْطَهَدْتُ هٰذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ مُقَيِّداً وَمُسَلِّماً إِلَى السُّجُونِ رِجَالاً وَنِسَاءً . كَمَا يَشْهَدُ لِي أَيْضاً رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَجَمِيعُ الْمَشْيَخَةِ الَّذِينَ إِذْ أَخَذْتُ أَيْضاً مِنْهُمْ رَسَائِلَ لِلإِخْوَةِ إِلَى دِمَشْقَ ذَهَبْتُ لآتِيَ بِالَّذِينَ هُنَاكَ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدِينَ لِكَيْ يُعَاقَبُوا . فَحَدَثَ لِي وَأَنَا ذَاهِبٌ وَمُتَقَرِّبٌ إِلَى دِمَشْقَ أَنَّهُ نَحْوَ نِصْفِ النَّهَارِ بَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلِي مِنَ السَّمَاءِ نُورٌ عَظِيمٌ . فَسَقَطْتُ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعْتُ صَوْتاً قَائِلاً لِي شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي

فَأَجَبْتُ مَنْ أَنْتَ يَاسَيِّدُ . فَقَالَ لِي أَنَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ . وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي . فَقُلْتُ مَاذَا أَفْعَلُ يَارَبُّ . فَقَالَ لِي الرَّبُّ قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى دِمَشْقَ وَهُنَاكَ يُقَالُ لَكَ عَنْ جَمِيعِ مَا تَرَتَّبَ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ .

(أع ٢٢ : ١ — ١٠)

يقف بولس مدافعاً عن نفسه أمام بنى جنسه . وهو لا يبنى دفاعه على الجدل بل على الاختبار الشخصى . وبديهى أن الإختبار الشخصى قوى لدرجة أنه يقف صامداً أمام أية محاولة للشك فيه أو مجادلته . ودفاع بولس يشتمل على نقطتين متعارضتين .

(١) فهو يثبت لهم أنه منهم . فهو يهودى « الأمر الذى لم ينسه بولس قط » (٢ كو ١١ : ٢٢ ، فى ٣ : ٤و٥) وهو من طرسوس وهى مدينة كبيرة لها سمعتها . فهى ميناء على البحر الأبيض المتوسط تقع عند مصب نهر وينتهى عندها الطريق الآتى من آسيا الصغرى وكان بها جامعة . كما أن بولس يعرفهم بأنه رابى Rabbi تعلم عند قدمى غمالائيل أعظم معلم للناموس وقد مات قبل هذه الحادثة بخمس سنوات . وهو مضطهد الكنيسة لأجل إيمان آبائه . فى هذا كله يقدم بولس نفسه باعتباره منهم .

(٢) لكن الجزء الثانى من كلامه يظهر أوجه الخلاف بينه وبينهم والفارق العظيم بينه وبينهم أنه شاهد المسيح مخلص العالم . والله محب نفوس الناس . لقد عرف سامعوه الله كمحب لليهود وحدهم . وهو فى كلامه يحاول أن يوسع امتيازات الله لتشمل العالم كله وهذا ما رآه تجديفاً وخطية لأنهم أرادوا أن يخصوا أنفسهم فقط بالله . فالفرق العظيم بينهم وبينه أنه رأى المسيح وجهاً لوجه. وهذا يفسر لنا معنى القداسة . فالقديس أو المقدس هو المفرز أو المنفصل وليس معنى الإنفصال الإنتقال إلى الحياة الأخرى .

فكأن بولس فى دفاعه أظهر ناحيتين فهو من ناحية واحد منهم ومن ناحية أخرى فهو منفصل عنهم ولو أنه يعيش بينهم لكن الله أفرزه لمهمة خاصة . وهذه هى حياة المسيحى . فهو يعيش فى العالم لكن الله أفرزه لمهمة خاصة . فهو من الناس لكنه منفصل عنهم .

بولس يكمل قصة حياته

وَإِذْ كُنْتُ لاَ أُبْصِرُ مِنْ أَجْلِ بَهَاءِ ذٰلِكَ النُّورِ اقْتَادَنِي بِيَدِي الَّذِينَ كَانُوا مَعِي فَجِئْتُ إِلَى دِمَشْقَ .

ثُمَّ إِنَّ حَنَانِيَّا رَجُلاً تَقِيًّا حَسَبَ النَّامُوسِ وَمَشْهُوداً لَهُ مِنْ جَمِيعِ الْيَهُودِ السُّكَّانِ . أَتَى إِلَيَّ وَوَقَفَ وَقَالَ لِي أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ أَبْصِرْ . فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ . فَقَالَ . إِلٰهُ آبَائِنَا

انْتَخَبَكَ لِتَعْلَمَ مَشِيئَتَهُ وَتُبْصِرَ الْبَارَّ وَتَسْمَعَ صَوْتًا مِنْ فَمِهِ . لِأَنَّكَ سَتَكُونُ لَهُ شَاهِدًا لِجَمِيعِ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ . وَالآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ .

وَحَدَثَ لِي بَعْدَمَا رَجَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَكُنْتُ أُصَلِّي فِي الْهَيْكَلِ أَنِّي حَصَلْتُ فِي غَيْبَةٍ . فَرَأَيْتُهُ قَائِلاً لِي أَسْرِعْ وَاخْرُجْ عَاجِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ لِأَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ شَهَادَتَكَ عَنِّي . فَقُلْتُ يَارَبُّ هُمْ يَعْلَمُونَ أَنِّي كُنْتُ أَحْبِسُ وَأَضْرِبُ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِكَ . وَحِينَ سُفِكَ دَمُ إِسْتِفَانُوسَ شَهِيدِكَ كُنْتُ أَنَا وَاقِفًا وَرَاضِيًا بِقَتْلِهِ وَحَافِظًا ثِيَابَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ . فَقَالَ لِي اذْهَبْ فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الْأُمَمِ بَعِيدًا .

(أع ٢٢ : ١١ — ٢١)

ويؤكد بولس مرة أخرى أنه واحد من اليهود الذين يسمونه فعندما وصل إلى دمشق قابله حنانيا رجل مكرس يحترمه اليهود قال بولس كل هذا ليبعد عن نفسه تهمة أنه رجل مرتد أو خائن فهو لم يقصد تحطيم إيمان آبائه بل تحقيقه وتكميله . وهنا نجد فصلاً من القصص الملخصة المختصرة التي كان يكتبها لوقا . فإذا قرأنا أع ٩ ، غل ١ سنكتشف أن بولس ذهب إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات من ذهابه للعربية وشهادته في دمشق . ففي أع ٩ نجد أنه

ترك أورشليم لأن حياته كانت فى خطر من اليهود الناضبين عليه . ولكننا نجد هنا أنه ترك أورشليم بناء على رؤيا . ولا تعارض بين القصتين . فهى قصة واحدة تروى من زاويتين مختلفتين . وقد أراد بولس أن يثبت هنا أنه لم يرد أن يترك اليهود وعندما أمره الله بالخروج من أورشليم عارضه بولس قائلا إن حياته السابقة سيكون لها تأثيرها الكبير لكن الله قال له « إن اليهود لا يقبلون شهادتك عنى » ثم قال لى « إذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً » إذاً فبولس سار على نفس النهج الذى سار عليه سيده يسوع الذى « جاء إلى خاصته أما خاصته فلم تقبله » (يو ١ : ١١) وبولس يقول بالحرف الواحد « إن عندى لكم عطية لا تقدر بثمن لكنكم لا تريدون أن تأخذوها لذلك فإنها تعطى للأمم » إذاً فهو لم يكره اليهود بل هم الذين كرهوه ورفضوه .

وعدد ١٤ يعتبر ملخص لا لحياة بولس فقط بل لحياة كل مسيحى .وهو يشتمل على ثلاث نقاط :

(١) لتعلم مشيئة الله . إن أول هدف للمسيحى أن يعرف إرادة الله ويطيعها .

(٢) وتبصر البار : إن هدف الحياة المسيحية أن تعيش كل يوم فى حضرة الله . إن لسان حال المسيحى دائماً « ياسيدى أنا أرى يسوع » .

(٣) وتسمع صوتاً من فمه : يقال عن واعظ عظيم أنه كان يتوقف من حين لآخر وكأنه يسمع صوتاً . إن المسيحى يسمع دائماً صوت الله (أعلى من صوت العالم) ليخبره أين يذهب وماذا يفعل .

معارضة مريرة

فَسَمِعُوا لَهُ حَتَّى هٰذِهِ الْكَلِمَةِ ثُمَّ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ قَائِلِينَ خُذْ مِثْلَ هٰذَا مِنَ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَعِيشَ . وَإِذْ كَانُوا يَصِيحُونَ وَيَطْرَحُونَ ثِيَابَهُمْ وَيَرْمُونَ غُبَارًا إِلَى الْجَوِّ . أَمَرَ الْأَمِيرُ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ قَائِلاً أَنْ يُفْحَصَ بِضَرَبَاتٍ لِيَعْلَمَ لِأَيِّ سَبَبٍ كَانُوا يَصْرُخُونَ عَلَيْهِ هٰكَذَا .

فَلَمَّا مَدُّوهُ لِلسِّيَاطِ قَالَ بُولُسُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ الْوَاقِفِ أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَانًا رُومَانِيًّا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ . فَإِذْ سَمِعَ قَائِدُ الْمِئَةِ ذَهَبَ إِلَى الْأَمِيرِ وَأَخْبَرَهُ قَائِلاً انْظُرْ مَاذَا أَنْتَ مُزْمِعٌ أَنْ تَفْعَلَ . لِأَنَّ هٰذَا الرَّجُلَ رُومَانِيٌّ . فَجَاءَ الْأَمِيرُ وَقَالَ لَهُ قُلْ لِي . أَأَنْتَ رُومَانِيٌّ . فَقَالَ نَعَمْ . فَأَجَابَ الْأَمِيرُ أَمَّا أَنَا فَبِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ اقْتَنَيْتُ هٰذِهِ الرَّعَوِيَّةَ . فَقَالَ بُولُسُ أَمَّا أَنَا فَقَدْ وُلِدْتُ فِيهَا . وَلِلْوَقْتِ تَنَحَّى عَنْهُ الَّذِينَ كَانُوا مُزْمِعِينَ أَنْ يَفْحَصُوهُ واخْتَشَى الْأَمِيرُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ وَلِأَنَّهُ قَدْ قَيَّدَهُ .

وَفِي الْغَدِ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ الْيَقِينَ لِمَاذَا يَشْتَكِي الْيَهُودُ عَلَيْهِ حَلَّهُ مِنَ الرِّبَاطِ وَأَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَكُلُّ مَجْمَعِهِمْ فَأَحْدَرَ بُولُسَ وَأَقَامَهُ لَدَيْهِمْ .

(أع ٢٢ : ٢٢ - ٣٠)

عند ذكر كلمة الأمم هاج الجمع مرة أخرى . ولم يكن اعتراضهم على تبشير الأمم لكنهم كانوا يعترضون على تمتع الأمم بالامتيازات التي يمنحها الله دون أن يتهودوا أولاً ويختتنوا ويسيروا بحسب الناموس . لو نادى بولس باليهودية للأمم لسار كل شيء على ما يرام لكن لأنه علم الأمم عن نعمة المسيحية هاج عليه اليهود .

وقد عبروا عن سخطهم بالطريقة الشرقية بأن صرخوا ولوحوا بالملابس وأثاروا التراب في الجو .

لم يفهم الأمير الآرامية التي كلم بها بولس اليهود لكنه كان يعرف شيئاً واحداً أنه يجب أن يقضي على أية فتنة وأن يعاقب أي مثير للفتنة . لذا قرر أن يفحص بولس بالضرب ولم تكن هذه عقوبة لكنها أبسط طريقة ليجبر الشخص على الاعتراف . وكان الضرب بالجلدة وهي عبارة عن سوط من الجلد في نهايته قطع من الرصاص . وقليلون كانوا يحتملون الضرب بهذه الطريقة وكثيرون ماتوا من جرائه . وكان المذنب يربط إلى قطعة من الخشب ويبقى ظهره محنياً ووجهه إلى أسفل .

عندئذ تكلم بولس قائلا إنه لايجوز جلد إنسان روماني . قال شيشرون

« إن ربط رومانى بالسلاسل عمل شائن أما ضربه فجريمة أما قتله فهى جريمة تعادل قتل الإبن لأبيه » لذلك صرح بولس أنه مواطن رومانى . وقد خاف الأمير جداً . ولم يكن بولس مجرد مواطن بل أنه ولد حراً أما الأمير فقد اشترى حريته وأخـــذ الرعوية الرومانية بنقوده . لقد تأكد الأمير أنه كان على وشك ارتـكاب خطأ يؤدى إلى طرده من وظيفته لذلك حله الأمير من ربطه وقرر أن يقدمه إلى السنهدريم حتى يعرف سر المشكلة .

لقد كان بولس يعتد بكرامته فى مناسبات كثيرة لـكن لا لأجل نفسه . إنه يعلم أن رسالته لم تنته بعد . فلماذا يصبح شهيداً ؟ أو لمـاذا يلقى بنفسه إلى الموت . إنه يعرف أنه سيقدم حياته يوماً لأجل المسيح فلماذا يلقى بنفسه إلى الموت دون داع .

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

خطبة بولس

فَتَفَرَّسَ بُولُسُ فِي الْمَجْمَعِ وَقَالَ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ إِنِّي بِكُلِّ ضَمِيرٍ صَالِحٍ قَدْ عِشْتُ لِلّٰهِ إِلَى هٰـذَا الْيَوْمِ . فَأَمَرَ حَنَانِيَّا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ أَنْ يَضْرِبُوهُ عَلَى فَمِهِ . حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ بُولُسُ سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ . أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفًا لِلنَّامُوسِ . فَقَالَ الْوَاقِفُونَ أَتَشْتِمُ رَئِيسَ كَهَنَةِ اللهِ . فَقَالَ بُولُسُ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ رَئِيسُ شَعْبِكَ لَا تَقُلْ فِيهِ سُوءًا .

وَلَمَّا عَلِمَ بُولُسُ أَنَّ قِسْمًا مِنْهُمْ صَدُّوقِيُّونَ وَالآخَرَ فَرِّيسِيُّونَ صَرَخَ فِي الْمَجْمَعِ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ . عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ . وَلَمَّا قَالَ هٰـذَا حَدَثَتْ مُنَازَعَةٌ بَيْنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ

وَانشَقَّت الجَمَاعَةُ . لِأَنَّ الصَّدُّوقِيِّينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَلاَ مَلاَكٌ وَلاَ رُوحٌ . وَأَمَّا الفَرِّيسِيُّونَ فَيُقِرُّونَ بِكُلِّ ذَلِكَ . فَحَدَثَ صِيَاحٌ عَظِيمٌ وَنَهَضَ كَتَبَةُ قِسْمِ الفَرِّيسِيِّينَ وَطَفِقُوا يُخَاصِمُونَ قَائِلِينَ لَسْنَا نَجِدُ شَيْئاً رَدِياً فِي هَذَا الإِنْسَانِ . وَإِنْ كَانَ رُوحٌ أَوْ مَلاَكٌ قَدْ كَلَّمَهُ فَلاَ نُحَارِبَنَّ اللهَ .

وَلَمَّا حَدَثَتْ مُنَازَعَةٌ كَثِيرَةٌ اخْتَشَى الأَمِيرُ أَنْ يَفْسَخُوا بُولُسَ فَأَمَرَ العَسْكَرَ أَنْ يَنْزِلُوا وَيَخْتَطِفُوهُ مِنْ وَسْطِهِمْ وَيَأْتُوا بِهِ إِلَى المُعَسْكَرِ .

(اع ٢٣ : ١ — ١٠)

يقف بولس أمام السنهدريم دون خوف وكأنه قائد يحرق الكبارى من خلفه وبدأ خطابه بتعهد واضح « أيها الرجال الأخوة » وبذلك وضع نفسه على نفس مستوى أعضاء السنهدريم . وكان المعتاد أن يبدأ المتكلم بالقول « أيها القادة شيوخ إسرائيل » ولكن عندما أمر رئيس الكهنة بضربه فقد تعدى الناموس .

فالشريعة تنص على أن « من يضرب إسرائيلياً على وجهه فقد أهان مجد الله » وكذلك « من يضرب رجلاً يعتدى على جلال الله » لذلك استدار له بولس ولقبه بالحائط المبيض . فقد كان لمس جسد ميت نجاسة لذلك جرت العادة أن تدهن القبور باللون الأبيض حتى لايلمس أى إنسان حائطاً مبيضاً خطأ .

وهذا معنى ماقاله بولس أيها الحائط المبيض . وقد كان سب الرئيس جريمة « لا تلعن رئيساً فى شعبك » خر ٢٢ : ٢٨ وقد كان بولس يعرف يقيناً أن حنانيا هو رئيس الكهنة لكن حنانيا كان صيته سيئاً . فقد كان معروفاً عنه أنه لص شره وخائن يعمل لصلحة الدولة الرومانية . وبولس كان يعنى بإجابته أنه يرى أن الشخص الجالس فى مكان رئيس الكهنة لا يمكن أن يشغل هذه الوظيفة أو يستحقها . ثم انتقل بولس إلى موضوع كان يعلم أنه سيجعل أعضاء السنهدريم ينصتون إليه بكليتهم . فأعضاء السنهدريم كانوا من الفريسيين والصدوقيين وقد كانوا متضادين فى عقيدتهم . فالفريسيون يؤمنون فى تفاصيل الناموس اللفظى بينما لا يؤمن الصدوقيون إلا بالناموس المكتوب . الفريسيون يؤمنون بقضاء الله والقصد الإلهى والصدوقيون يؤمنون بحرية الإرادة . الفريسيون يؤمنون بالملائكة والروح بينما ينكرها الصدوقيون وأخيراً فإن الفريسيين يؤمنون بقيامة الأموات بينما لا يصدقها الصدوقيون . لذلك أعلن بولس أنه فريسى وأنه يحاكم على رجاء القيامة وعندئذ انقسم السنهدريم على نفسه وحدثت منازعة خاف الأمير من نتائجها على بولس لذلك أخذه إلى المعسكر .

كان بولس يحارب بكل وسيلة حتى آخر رمق فى حياته .

إكتشاف مكيدة

وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ وَقَفَ بِهِ الرَّبُّ وَقَالَ ثِقْ يَا بُولُسُ لِأَنَّكَ كَمَا شَهِدْتَ بِمَا لِي فِي أُورُشَلِيمَ هٰكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَشْهَدَ فِي رُومِيَةَ أَيْضًا . وَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ صَنَعَ بَعْضُ الْيَهُودِ اتِّفَاقًا

وَحَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ قَائِلِينَ إِنَّهُمْ لاَ يَأْكُلُونَ وَلاَ يَشْرَبُونَ حَتَّى يَقْتُلُوا بُولُسَ . وَكَانَ الَّذِينَ صَنَعُوا هٰذَا التَّحَالُفَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ . فَتَقَدَّمُوا إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ وَقَالُوا قَدْ حَرَمْنَا أَنْفُسَنَا حِرْمًا أَنْ لاَ نَذُوقَ شَيْئًا حَتَّى نَقْتُلَ بُولُسَ . وَالآنَ اعْلِمُوا الأَمِيرَ أَنْتُمْ مَعَ الْمَجْمَعِ لِكَيْ يُنْزِلَهُ إِلَيْكُمْ غَدًا كَأَنَّكُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْحَصُوا بِأَكْثَرِ تَدْقِيقٍ عَمَّا لَهُ . وَنَحْنُ قَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مُسْتَعِدُّونَ لِقَتْلِهِ . وَلٰكِنَّ ابْنَ أُخْتِ بُولُسَ سَمِعَ بِالْكَمِينِ فَجَاءَ وَدَخَلَ الْمُعَسْكَرَ وَأَخْبَرَ بُولُسَ . فَاسْتَدْعَى بُولُسُ وَاحِدًا مِنْ قُوَّادِ الْمِئَاتِ وَقَالَ اذْهَبْ بِهٰذَا الشَّابِّ إِلَى الأَمِيرِ لأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُخْبِرُهُ بِهِ . فَأَخَذَهُ وَأَحْضَرَهُ إِلَى الأَمِيرِ وَقَالَ اسْتَدْعَانِي الأَسِيرُ بُولُسُ وَطَلَبَ أَنْ أُحْضِرَ هٰذَا الشَّابَّ إِلَيْكَ وَهُوَ عِنْدَهُ شَيْءٌ لِيَقُولَهُ لَكَ . فَأَخَذَ الأَمِيرُ بِيَدِهِ وَتَنَحَّى بِهِ مُنْفَرِدًا وَاسْتَخْبَرَهُ مَا هُوَ الَّذِي عِنْدَكَ لِتُخْبِرَنِي بِهِ . فَقَالَ إِنَّ الْيَهُودَ تَعَاهَدُوا أَنْ يَطْلُبُوا مِنْكَ أَنْ تُنْزِلَ بُولُسَ غَدًا إِلَى الْمَجْمَعِ كَأَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ

يَسْتَخْبِرُوا عَنْهُ بِأَكْثَر تَدْقِيقٍ . فَلاَ تَنْقَدْ إِلَيْهِمْ لأَنَّ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَامِنُونَ لَهُ قَدْ حَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ لاَ يَأْكُلُوا وَلاَ يَشْرَبُوا حَتَّى يَقْتُلُوهُ . وَهُمُ الآنَ مُسْتَعِدُّونَ مُنْتَظِرُونَ الْوَعْدَ مِنْكَ .

فَأَطْلَقَ الأَمِيرُ الشَّابَّ مُوصِياً إِيَّاهُ أَنْ لاَ تَقُلْ لأَحَدٍ إِنَّكَ أَعْلَمْتَنِي بِهٰذَا . ثُمَّ دَعَا اثْنَيْنِ مِنْ قُوَّادِ الْمِئَاتِ وَقَالَ أَعِدَّا مِئَتَيْ عَسْكَرِيٍّ لِيَذْهَبُوا إِلَى قَيْصَرِيَّةَ وَسَبْعِينَ فَارِساً وَمِئَتَيْ رَامِحٍ مِنَ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَنْ يُقَدِّمَا دَوَابَّ لِيُرْكِبَا بُولُسَ وَيُوصِلاَهُ سَالِماً إِلَى فِيلِكْسَ الْوَالِي .

(أع ٢٣ : ١١ - ٢٤)

هنا نجد شيئين : نجد أولاً الأبعاد التي وصل إليها اليهود للتخلص من بولس . ففي ظروف معينة كان اليهود يعتبرون القتل مباحاً . فهم يبيحون قتل الشخص إذا كان خطراً على حياة الناس أو على أخلاقهم . لذلك أقسم أربعون شخصاً أن يقتلوا بولس . وكان القسم يقول « ليلعنني الله إذا فشلت في فعل هذا » وهؤلاء الناس أقسموا ألا يأكلوا أو يشربوا حتى يقتلوا بولس. لكن لحسن الحظ فشلت خطتهم نتيجة إكتشافها بواسطة إبن أخت بولس .

ثم نجد ثانياً مقدار اهتمام الدولة الرومانية بالعدالة . كان بولس مجرد سجين

لكنه كان مواطناً رومانياً لذلك أرسل الأمير فرقة كبيرة من الجنود يمكن أن نسميها جيشاً صغيراً حتى يتأكد من وصول بولس بسلام إلى قيصرية ليحاكم أمام فيلكس .

غريب أن نجد هذا التناقض بين كراهية اليهود وتعصبهم المستيرى ضد بولس — وهم شعب الله المختار — وبين هدوء وحكمة وعدل الأمير الرومانى وهو أممى فى نظر اليهود .

رسالة الأمير

وَكَتَبَ رِسَالَةً حَاوِيَةً هٰذِهِ الصُّورَةَ . كُلُودِيُوسُ لِيسِيَاسُ يُهْدِي سَلاَماً إِلَى الْعَزِيزِ فِيلِكْسَ الْوَالِي . هٰذَا الرَّجُلُ لَمَّا أَمْسَكَهُ الْيَهُودُ وَكَانُوا مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْتُلُوهُ أَقْبَلْتُ مَعَ الْعَسْكَرِ وَأَنْقَذْتُهُ إِذْ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ . وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ الْعِلَّةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا كَانُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ فَأَنْزَلْتُهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ . فَوَجَدْتُهُ مَشْكُوّاً عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ مَسَائِلِ نَامُوسِهِمْ . وَلٰكِنَّ شَكْوَى تَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ أَوِ الْقُيُودَ لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ . ثُمَّ لَمَّا أُعْلِمْتُ بِمَكِيدَةٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَصِيرَ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الْيَهُودِ أَرْسَلْتُهُ لِلْوَقْتِ إِلَيْكَ آمِراً الْمُشْتَكِينَ أَيْضاً أَنْ يَقُولُوا لَدَيْكَ مَا عَلَيْهِ . كُنْ مُعَافىً .

فَالْعَسْكَرُ أَخَذُوا بُولُسَ كَمَا أُمِرُوا وَذَهَبُوا بِهِ لَيْلاً إِلَى أَنْتِيبَاتْرِيسَ . وَفِي الْغَدِ تَرَكُوا الْفُرْسَانَ يَذْهَبُونَ مَعَهُ وَرَجَعُوا إِلَى الْمُعَسْكَرِ . وَأُولئِكَ لَمَّا دَخَلُوا قَيْصَرِيَّةَ وَدَفَعُوا الرِّسَالَةَ إِلَى الْوَالِي أَحْضَرُوا بُولُسَ أَيْضاً إِلَيْهِ . فَلَمَّا قَرَأَ الْوالى الرِّسَالَةَ وَسَأَلَ مِنْ أَيَّةِ وِلاَيَةٍ هُوَ وَوَجَدَ أَنَّهُ مِنْ كِيلِيكِيَّةَ . قَالَ سَأَسْمَعُكَ مَتَى حَضَرَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ أَيْضاً . وَأَمَرَ أَنْ يُحْرَسَ فِي قَصْرِ هِيرُودُسَ .

(أع ٢٣ : ٢٥ - ٣٥)

لم يكن كرسى الحكومة الرومانية فى أورشليم بل فى قيصرية . وكان هيرودس الكبير قد بنى مقر الحكومة هناك . وقد كتب كلوديوس ليسياس رسالة محايدة تمثل منتهى العدالة فى وصف القضية وحملها الفرسان معهم مسافة ٦٠ ميلاً من أورشليم إلى قيصرية . أما انتيباتريس فكانت تبعد ٢٥ ميلاً من أورشليم . والمسافة حتى أنتيباتريس كانت خطرة لأنها مأهولة بالسكان اليهود أما باقى المسافة فكانت تسير فى وديان متسعة يسكنها الأمم . لذلك رجع الجزء الرئيسى من القوات عند أنتيباتريس ولم يرافقه إلا الفرسان فقط باعتبار أن فيهم الكفاية لتوصيله . وكان إسم الوالى الذى أرسل إليه بولس هو فيلكس . وقد حكم اليهودية مدة خمس سنوات (بعد أن حكم السامرة مدة سنتين) وبعد سنتين أخريتين طرد من وظيفته . لقد بدأ حياته عبداً .

وكان أخوه مقرباً لنيرون . وبهذه الحظوة مكنت فيلكس أن يحصل على حريته ثم أن يرق إلى وظيفة حاكم . وبذلك أصبح أول عبد فى التاريخ الرومانى يصل إلى مرتبة حاكم ولاية . قال عنه المؤرخ الرومانى تاسيتوس « لقد كان يمارس وظيفة الحاكم بروح العبد » وقد تزوج بثلاث أميرات واحدة بعد الأخرى . إسم الأولى غير معروف أما الثانية فكانت حفيدة لأنطونيو وكليوباترا أما الثالثة فكانت دروسلا إبنة هيرودس أغريباس الأول . وقد كان رجلاً كثير الشك لا يتورع أن يستأجر أناساً ليقتل أقرب المقربين إليه . كان على بولس أن يواجه رجلاً كهذا عندما ذهب إلى قيصرية .

الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

خطاب تملق وتهمة باطلة

وَبَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ انْحَدَرَ حَنَانِيَّا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ مَعَ الشُّيُوخِ وَخَطِيبٍ اسْمُهُ تَرْتُلُّسُ فَعَرَضُوا لِلْوَالِي ضِدَّ بُولُسَ. فَلَمَّا دعِيَ ابْتَدَأَ تَرْتُلُّسُ فِي الشِّكَايَةِ قَائِلاً. إِنَّنَا حَاصِلُونَ بِوَاسِطَتِكَ عَلَى سَلاَمٍ جَزِيلٍ وَقَدْ صَارَتْ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ مَصَالِحُ بِتَدْبِيرِكَ فَنَقْبَلُ ذٰلِكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ فِيلِكْسُ بِكُلِّ شُكْرٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَكُلِّ مَكَانٍ. وَلٰكِنْ لِئَلاَّ أُعَوِّقَكَ أَكْثَرَ أَلْتَمِسُ أَنْ تَسْمَعَنَا بِالاخْتِصَارِ بِحِلْمِكَ. فَإِنَّنَا إِذْ وَجَدْنَا هٰذَا الرَّجُلَ مُفْسِداً وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ وَمِقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ. وَقَدْ شَرَعَ أَنْ يُنَجِّسَ الْهَيْكَلَ أَيْضًا أَمْسَكْنَاهُ وَأَرَدْنَا أَنْ نَحْكُمَ عَلَيْهِ حَسَبَ نَامُوسِنَا. فَأَقْبَلَ لِيسِيَاسُ الأَمِيرُ بِعُنْفٍ شَدِيدٍ وَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا. وَأَمَرَ الْمُشْتَكِينَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْكَ وَمِنْهُ

يُمْكِنُكَ إِذَا فَحَصْتَ أَنْ تَعْلَمَ جَمِيعَ هٰذِهِ الأُمُورِ الَّتِي نَشْتَكِي بِهَا عَلَيْهِ . ثُمَّ وَافَقَهُ الْيَهُودُ أَيْضاً قَائِلِينَ إِنَّ هٰذِهِ الأُمُورَ هٰكَذَا .

(أع ٢٤ : ١ — ٩)

بدأ ترتلس خطابه بمقدمة كلها تملق وكان كل من فيلكس وترتلس يعلمان جيداً أن كل كلمة من هذا الكلام كذب ونفاق . ثم تطرق إلى الحديث عن أشياء غير حقيقية أيضاً . فقد إدعى أن اليهود قبضوا على بولس مع أن ما حدث فى الهيكل كان أقرب إلى حادث إغتيال منه إلى حادث قبض على بولس . والتهمة التى وجهها إلى بولس لم تكن صحيحة بالمرة . وكانت التهمة مثلثة :

١ — بولس رجل مفسد ومهيج فتنة . وهذا جعل بولس مساوياً لكثيرين من مثيرى الفتن الذين كانوا يهيجون الشعب من وقت لآخر . وكان ترتلس يعلم تماماً أن الشيء الوحيد الذى لا تتسامح فيه الدولة الرومانية هو إثارة الشغب إذ كانت الدولة مترامية الأطراف وكان أى شغب فى أى مكان من الدولة كفيلاً بإشعال نار التمرد فى الدولة كلها . وكان ترتلس يعلم أن هذه التهمة باطلة لكنها فى نظره طريقة فعالة أكيدة .

٢ — بولس هو قائد شيعة الناصريين . وهذا يجعل بولس واحداً ممن كانوا يدعون أنهم المسيا . والدولة الرومانية تعلم ماذا كان يعنى هذا فإن هؤلاء الأدعياء كانوا يثيرون الناس حتى كانت الدولة الرومانية تضطر لإراقة

الدماء لإخماد هذه الحركات . وطبيعى أن روما لم تكن ترضى بفعل كهذا وكان ترتلس يعلم أنها تهمة باطلة لكنها فعالة أيضاً .

٣ — بولس ينجس الهيكل . كان الكهنة من الصدوقيين وهم الجماعة الموالية لروما والمتعاونة معها . ومعنى تنجيس الهيكل إنتهاك حرمة الكهنة وقوانينهم وقد كان ترتلس يأمل أن يتحيز الرومان للجماعة الموالية لهم .

والخلاصة أن هذه التهم الثلاث كانت فى منتهى الخطورة لأنها سلسلة أجزاء من الحقيقة أو من حقائق ملتوية وهى أسوأ من الأكاذيب .

دفاع بولس

فَأَجَابَ بُولُسُ إِذْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ الْوَالِي أَنْ يَتَكَلَّمَ . إِنِّي إِذْ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ مُنْذُ سِنِينَ كَثِيرَةٍ قَاضٍ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ أَحْتَجُّ عَمَّا فِي أَمْرِي بِأَكْثَرِ سُرُورٍ . وَأَنْتَ قَادِرٌ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي أَكْثَرُ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا مُنْذُ صَعِدْتُ لأَسْجُدَ فِي أُورُشَلِيمَ . وَلَمْ يَجِدُونِي فِي الْهَيْكَلِ أُحَاجُّ أَحَدًا أَوْ أَصْنَعُ تَجَمُّعًا مِنَ الشَّعْبِ وَلاَ فِي الْمَجَامِعِ وَلاَ فِي الْمَدِينَةِ . وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُثْبِتُوا مَا يَشْتَكُونَ بِهِ الآنَ عَلَيَّ . وَلٰكِنَّنِي أُقِرُّ لَكَ بِهٰذَا أَنَّنِي حَسَبَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَقُولُونَ لَهُ

شِيعَه هٰكَذَا أَعْبُدُ إِلٰهَ آبَائِي مُؤْمِنًا بِكُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاء. وَلِي رَجَاءٌ بِاللهِ فِي مَا هُمْ أَيْضًا يَنْتَظِرُونَهُ أَنَّهُ سَوْفَ تَكُونُ قِيَامَةٌ لِلأَمْوَاتِ الأَبْرَارِ وَالأَثَمَةِ. لِذٰلِكَ أَنَا أَيْضًا أُدَرِّبُ نَفْسِي لِيَكُونَ لِي دَائِمًا ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ مِنْ نَحْوِ اللهِ وَالنَّاسِ. وَبَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ جِئْتُ أَصْنَعُ صَدَقَاتٍ لِأُمَّتِي وَقَرَابِينَ. وَفِي ذٰلِكَ وَجَدَنِي مُتَطَهِّرًا فِي الْهَيْكَلِ لَيْسَ مَعَ جَمْعٍ وَلاَ مَعَ شَغَبٍ قَوْمٌ هُمْ يَهُودٌ مِنْ أَسِيَّا. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرُوا لَدَيْكَ وَيَشْتَكُوا إِنْ كَانَ لَهُمْ عَلَيَّ شَيْءٌ. أَوْ لِيَقُلْ هٰؤُلاَءِ أَنْفُسُهُمْ مَاذَا وَجَدُوا فِيَّ مِنَ الذَّنْبِ وَأَنَا قَائِمٌ أَمَامَ الْمَجْمَعِ. إِلاَّ مِنْ جِهَةِ هٰذَا الْقَوْلِ الْوَاحِدِ الَّذِي صَرَخْتُ بِهِ وَاقِفًا بَيْنَهُمْ أَنِّي مِنْ أَجْلِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أُحَاكَمُ مِنْكُمُ الْيَوْمَ.

(أع ٢٤ : ١٠ — ٢١)

فى الجملة التى يقول فيها « قوم هم يهود من آسيا . . . عدد ١٨ » نجد بولس يخطىء خطأ نحوياً . فقد بدأ يقول شيئاً وفى منتصف الكلام غير الجملة إلى كلام آخر مما جعل الجملة غير مترابطة . لكن عدم الترابط يرينا صورة حية لما كان عليه بولس من إنفعال . فدفاع بولس دفاع رجل حى الضمير

وهو لا يكذب بل يوضح الحقائق فقط وهو يبين أن مأساة القبض عليه حدثت بينما كان آتياً ومعه عطايا للفقراء فى أورشليم بل بينما كان ينفـذ الناموس اليهودى فى الهيـكل . ومن الحقائق العظيمة عن بولس أنه كان يدافع عن نفسه بقوة وحماس وأحياناً بلمحة من إحترام النفس لـكننا لا نجد أبداً لهجة رثاء الذات أو المرارة . ولو استخدمهما لـكان أمراً طبيعياً لرجل أساء الناس تفسير أعظم أعماله وقسوا عليه .

كلام صريح لحاكم خاطىء

فَلَمَّا سَمِعَ هذَا فِيلِكْسُ أَمْهَلَهُمْ إِذْ كَانَ يَعْلَمُ بِأَكْثَرِ تَحْقِيقٍ أُمُورَ هذَا الطَّرِيقِ قَائِلاً مَتَى انْحَدَرَ لِيسِيَاسُ الأَمِيرُ أَفْحَصُ عَنْ أُمُورِكُمْ . وَأَمَرَ قَائِدَ الْمِئَةِ أَنْ يُحْرَسَ بُولُسَ وَتَكُونَ لَهُ رُخْصَةٌ وَأَنْ لاَ يَمْنَعَ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَخْدُمَهُ أَوْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ . ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ فِيلِكْسُ مَعَ دُرُوسِلاَّ امْرَأَتِهِ وَهِيَ يَهُودِيَّةٌ فَاسْتَحْضَرَ بُولُسَ وَسَمِعَ مِنْهُ عَنِ الإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ . وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْبِرِّ وَالتَّعَفُّفِ وَالدَّيْنُونَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَكُونَ ارْتَعَبَ فِيلِكْسُ وَأَجَابَ أَمَّا الآنَ فَاذْهَبْ وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ أَسْتَدْعِيكَ . وَكَانَ أَيْضاً يَرْجُو أَنْ يُعْطِيَهُ بُولُسُ دَرَاهِمَ لِيُطْلِقَهُ وَلِذلِكَ كَانَ

يَسْتَحْضِرُهُ مِرَارًا أَكْثَرَ وَيَتَكَلَّمُ مَعَهُ . وَلٰكِنْ لَمَّا كَمِلَتْ سَنَتَانِ قَبِلَ فِيلِكْسُ بُورْكِيُوسَ فَسْتُوسَ خَلِيفَةً لَهُ . وَإِذْ كَانَ فِيلِكْسُ يُرِيدُ أَنْ يُودِعَ الْيَهُودَ مِنَّةً تَرَكَ بُولُسَ مُقَيَّدًا .

(أع ٢٤ : ٢٢ – ٢٧)

لم يكن فيلكس قاسياً على بولس لكن بعض أحاديث بولس وإشاراته أثارت الرعب فى قلبه . جاء فيلكس مع زوجته دروسللا وهى إبنة هيرودس أغريباس الأول كما ذكرنا . وقد كانت متزوجة من ملك إسمه أزيزوس (Azizus) ملك إميسا (EMESA) لكن تمكن فيلكس بمساعدة ساحر إسمه أتوموس من إقناعها بترك زوجها والزواج منه . ومن العجيب أن فيلكس إرتعب عندما حدثه بولس بمطالب الله الأخلاقية . ظل بولس فى السجن سنتين وكان فيلكس يستحضره مراراً ويتكلم معه . كان هناك نقاش هل قيصرية يهودية أم يونانيــة . واختصم اليهود واليونانيون وتقاتلوا بالخناجر وكانت النصرة لليهود فأنزل فيلكس قواته وأمرهم بمساعدة الأمميين . فمات آلاف من اليهود وتم بموافقة فيلكس وتنفيذاً لأوامره نهب وسلب بيوت اليهود الأغنياء فى المدينة . لذلك لجأ اليهود إلى الشكوى إلى روما من الحاكم . لهذا ترك فيلكس بولس فى السجن لأنه أراد إسترضاء اليهود . لكنه لم ينتفع شيئاً إذ طرد من منصبه . ولولا مركز أخيه لحوكم . وهكذا يذكر فيلكس فى التاريخ رمزاً للخزى ويذكر فى العهد الجديد بحادث يدل على عدم النزاهة إذ ترك بولس فى السجن مع أنه كان فى إمكانه إطلاق سراحه .

ٱلأَصْحَاحُ الْخَامِسُ وَٱلْعِشْرُونَ

أرفع شكواى الى قيصر

فَلَمَّا قَدِمَ فَسْتُوسُ إِلَى الْوِلاَيَةِ صَعِدَ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ قَيْصَرِيَّةَ إِلَى أُورُشَلِيمَ . فَعَرَضَ لَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَوُجُوهُ الْيَهُودِ ضِدَّ بُولُسَ وَالْتَمَسُوا مِنْهُ . طَالِبِينَ عَلَيْهِ مِنَّةً أَنْ يَسْتَحْضِرَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَهُمْ صَانِعُونَ كَمِينًا لِيَقْتُلُوهُ فِي الطَّرِيقِ . فَأَجَابَ فَسْتُوسُ أَنْ يُحْرَسَ بُولُسُ فِي قَيْصَرِيَّةَ وَأَنَّهُ هُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَنْطَلِقَ عَاجِلاً . وَقَالَ فَلْيَنْزِلْ مَعِي الَّذِينَ هُمْ بَيْنَكُمْ مُقْتَدِرُونَ . وَإِنْ كَانَ فِي هٰذَا الرَّجُلِ شَيْءٌ فَلْيَشْتَكُوا عَلَيْهِ . وَبَعْدَمَا صَرَفَ عِنْدَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ أَيَّامٍ انْحَدَرَ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ . وَفِي الْغَدِ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِبُولُسَ . فَلَمَّا حَضَرَ وَقَفَ حَوْلَهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا قَدِ انْحَدَرُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَقَدَّمُوا عَلَى بُولُسَ دَعَاوِيَ كَثِيرَةً وَثَقِيلَةً لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُبَرْهِنُوهَا . إِذْ كَانَ

هُوَ يَحْتَجُّ أَنِّي مَا أَخْطَأْتُ بِشَيْءٍ لاَ إِلَى نَامُوسِ الْيَهُودِ وَلاَ
إِلَى الْهَيْكَلِ وَلاَ إِلَى قَيْصَرَ . وَلٰكِنَّ فَسْتُوسَ إِذْ كَانَ يُرِيدُ
أَنْ يُودِعَ الْيَهُودَ مِنَّةً أَجَابَ بُولُسَ قَائِلاً أَتَشَاءُ أَنْ تَصْعَدَ
إِلَى أُورُشَلِيمَ لِتُحَاكَمَ هُنَاكَ لَدَيَّ مِنْ جِهَةِ هٰذِهِ الأُمُورِ .
فَقَالَ بُولُسُ أَنَا وَاقِفٌ لَدَى كُرْسِيِّ وِلاَيَةِ قَيْصَرَ حَيْثُ
يَنْبَغِي أَنْ أُحَاكَمَ . أَنَا لَمْ أَظْلِمِ الْيَهُودَ بِشَيْءٍ كَمَا تَعْلَمُ
أَنْتَ أَيْضًا جَيِّدًا . لأَنِّي إِنْ كُنْتُ آثِمًا أَوْ صَنَعْتُ شَيْئًا
يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ فَلَسْتُ أَسْتَعْفِي مِنَ الْمَوْتِ . وَلٰكِنْ إِنْ لَمْ
يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا يَشْتَكِي عَلَيَّ بِهِ هٰؤُلاَءِ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُسَلِّمَنِي لَهُمْ . إِلَى قَيْصَرَ أَنَا رَافِعٌ دَعْوَايَ . حِينَئِذٍ
تَكَلَّمَ فَسْتُوسُ مَعَ أَرْبَابِ الْمَشُورَةِ فَأَجَابَ إِلَى قَيْصَرَ رَفَعْتَ
دَعْوَاكَ . إِلَى قَيْصَرَ تَذْهَبُ .

(أع ٢٥ : ١ — ١٢)

كان فستوس شخصية مختلفة عن فيلكس . ورغم أننا لا نعرف إلا القليل عنه لكن ما نعرفه يبين لنا أنه كان رجلاً عادلاً ومستقيماً . توفى بعد سنتين فقط من الولاية لكنه مات واسمه نظيف وسمعته طيبة . أراد اليهود أن يستفيدوا من وجوده فحاولوا أن يغروه لكى يرسل بولس إلى أورشليم

ونظموا خطة لقتله فى الطريق لكن فستوس الرومانى العادل طلب منهم الحضور إلى قيصرية ليقدموا شكواهم . ومن رد بولس نستنتج مدى دهاء وخطورة الإتهامات التى وجهها اليهود ضده . فقد اتهموه بالمرطقة وتدنيس المقدسات وإثارة الفتن . وبغض النظر عن القانون الرومانى فإن التهمة الأولى كانت صحيحة من وجهة نظرهم . أما التهمتان الثانية والثالثة فهما محض إفتراء . ولم يكن فستوس يرغب فى الوقوف ضد اليهود فى الأيام الأولى لتولى الحكم فعرض مشروعاً وسيطاً . هل يرغب بولس أن يذهب إلى أورشليم للمحاكمة هناك بينما يقف هو مراقباً للمحاكمة العادلة ؟ لكن بولس كان متأكداً أن المحاكمة بالنسبة له لن تكون عادلة فى أورشليم . لذلك اتخذ قراراً خطيراً . فقد كان من حق المواطن الرومانى إذا أحس بأن محاكمته غير عادلة أن يرفع قضيته إلى روما مباشرة . ولم يكن مثل هذا الطلب يرفض إلا إذا كان المتهم قاتلاً أو لصاً أمسك فى ذات الفعل . فإذا رفع المتهم شكواه إلى قيصر توقف اجراءات محاكمته ويرسل إلى روما ليحاكم أمام قيصر شخصياً . لذلك عندما نطق بولس بالقول « إلى قيصر أنا رافع دعـــواى » لم يكن أمام فستوس إلا أن يرسله إلى روما فالدعوى صحيحة وهكذا تحقق لبولس ما لم يكن يحلم به وهو العودة إلى روما .

فستوس وأغريباس

وَبَعْدَمَا مَضَتْ أَيَّامٌ أَقْبَلَ أَغْرِيبَاسُ الْمَلِكُ وَبَرْنِيكِي إِلَى قَيْصَرِيَّةَ لِيُسَلِّمَا عَلَى فَسْتُوسَ . وَلَمَّا كَانَا يَصْرِفَانِ هُنَاكَ

أَيَّامًا كَثِيرَةً عَرَضَ فَسْتُوسُ عَلَى الْمَلِكِ أَمْرَ بُولُسَ قَائِلاً يُوجَدُ رَجُلٌ تَرَكَهُ فِيلِكْسُ أَسِيرًا . وَعَرَضَ لِي عَنْهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَمَشَايِخُ الْيَهُودِ لَمَّا كُنْتُ فِي أُورُشَلِيمَ طَالِبِينَ حُكْمًا عَلَيْهِ . فَأَجَبْتُهُمْ أَنْ لَيْسَ لِلرُّومَانِيِّينَ عَادَةٌ أَنْ يُسَلِّمُوا أَحَداً لِلْمَوْتِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الْمَشْكُوُّ عَلَيْهِ مُوَاجَهَةً مَعَ الْمُشْتَكِينَ فَيَحْصُلُ عَلَى فُرْصَةٍ لِلاحْتِجَاجِ عَنِ الشَّكْوَى . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَى هُنَا جَلَسْتُ مِنْ دُونِ إِمْهَالٍ فِي الْغَدِ عَلَى كُرْسِيِّ الْوِلاَيَةِ وَأَمَرْتُ أَنْ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ . فَلَمَّا وَقَفَ الْمُشْتَكُونَ حَوْلَهُ لَمْ يَأْتُوا بِعِلَّةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا كُنْتُ أَظُنُّ . لٰكِنْ كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ مَسَائِلُ مِنْ جِهَةِ دِيَانَتِهِمْ وَعَنْ وَاحِدٍ اسْمُهُ يَسُوعُ قَدْ مَاتَ وَكَانَ بُولُسُ يَقُولُ إِنَّهُ حَيٌّ . وَإِذْ كُنْتُ مُرْتَابًا فِي الْمَسْأَلَةِ عَنْ هٰذَا قُلْتُ أَلَعَلَّهُ يَشَاءُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيُحَاكَمَ هُنَاكَ مِنْ جِهَةِ هٰذِهِ الأُمُورِ . وَلٰكِنْ لَمَّا رَفَعَ بُولُسُ دَعْوَاهُ لِكَيْ يُحْفَظَ لِفَحْصِ أُوغُسْطُسَ أَمَرْتُ بِحِفْظِهِ إِلَى أَنْ أُرْسِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ .

(أع ٢٥ : ١٣ — ٢١)

كان أغريباس حاكماً لمنطقة صغيرة من فلسطين تشمل الجليل وبيريه لكنه كان يعلم أنه سيظل يحكم هذه المنطقة الصغيرة طالما كان الحكم الروماني راضياً عنه . فهم الذين عينوه وهم الذين يستطيعون طرده بسهولة . لذلك تعود أن يزور الحاكم الروماني الجديد لإظهار ولائه . وكانت برنيكي أخت دروسللا زوجة فيلكس وكانت أخت أغريباس نفسه . عرف فستوس أن أغريباس يعرف كل شيء عن عقيدة اليهود وممارستهم لذلك اقترح عليه أن يدرس قضية بولس معه . لذلك قدم لأغريباس ملخصاً لأهم وقائع القضية كما عرفها وقتئذ . وبذا تهيئت الفرصة أمام بولس ليعرض قضيته ويشهد أمام ملك هو أغريباس . قال يسوع « وتساقون أمام ولاة ، وملوك من أجلى » (مت ١٠ :١٨) وقد تحققت هذه النبوة العجيبة . لكن الوعد بالمساعدة (مت ١٠ : ١٩) تحقق أيضاً بقوة .

فستوس يبحث عن مادة لتقريره

فَقَالَ أَغْرِيبَاسُ لِفَسْتُوسَ كُنْتُ أُرِيدُ أَنَا أَيْضًا أَنْ أَسْمَعَ الرَّجُلَ . فَقَالَ غَدًا تَسْمَعُهُ .

فَفِي الْغَدِ لَمَّا جَاءَ أَغْرِيبَاسُ وَبَرْنِيكِي فِي احْتِفَالٍ عَظِيمٍ وَدَخَلاَ إِلَى دَارِ الاِسْتِمَاعِ مَعَ الأُمَرَاءِ وَرِجَالِ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّمِينَ أَمَرَ فَسْتُوسُ فَأُتِيَ بِبُولُسَ . فَقَالَ فَسْتُوسُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ وَالرِّجَالُ الْحَاضِرُونَ مَعَنَا أَجْمَعُونَ . أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ هٰذَا الَّذِي تَوَسَّلَ إِلَيَّ مِنْ جِهَتِهِ كُلُّ جُمْهُورِ الْيَهُودِ فِي أُورُشَلِيمَ وَهُنَا صَارِخِينَ إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشَ بَعْدُ .

وَأَمَّا أَنَا فَلَمَّا وَجَدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ وَهُوَ قَدْ رَفَعَ دَعْوَاهُ إِلَى أُوغُسْطُسَ عَزَمْتُ أَنْ أُرْسِلَهُ . وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ يَقِينٌ مِنْ جِهَتِهِ لأَكْتُبَ إِلَى السَّيِّدِ . لِذَلِكَ أَتَيْتُ بِهِ لَدَيْكُمْ وَلاَ سِيَّمَا لَدَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ حَتَّى إِذَا صَارَ الْفَحْصُ يَكُونُ لِي شَيْءٌ لأَكْتُبَ . لأَنِّي أَرَى حَمَاقَةً أَنْ أُرْسِلَ أَسِيرًا وَلاَ أُشِيرَ إِلَى الدَّعَاوِي الَّتِي عَلَيْهِ .

(أع ٢٥ : ٢٢ — ٢٧)

وجد فستوس نفسه فى موقف محرج . فقد جرى العرف أنه إذا رفع أحد دعواه إلى قيصر يرسل إلى هنـاك ومعه تقرير كتابى عن الوقائع والتهم المنسوبة إليه . ولـكن فستوس وجـد أنه لا توجد تهمة حقيقية (بحسب معلوماته) يمـكن أن يذكرها . لذلك عقد هذا الإجتماع ليجد تهمة . ولا نجد فى كل العهد الجديد قصة درامية كهذه . فقد دخل أغريباس و برنيـكى فى ثيابهما القرمزية الملـكية والتيجان الذهبية على رأسيهما . ولا شك أن فستوس أيضاً ليتمشى مع الموقف لبس أيضاً ملابس الحـكام المخصصة لمثل هذه المناسبات . ولا بد أنه جلس من حولهم الحاشية وعدد من وجهاء اليهود . وبجوار فستوس وقف قادة القوات المتمركزة فى قيصرية . وخلفهم وقفت مجموعة من الجنود الرومان طوال القامة للحراسة . إلى هذا المنظر الرهيب جاء بولس هذا اليهودى الصغير صانع الخيام ووقف ويداه فى السلاسل ولـكن ما أن بدأ يتـكلم حتى رأيناه سيد الموقف . إذا كان المسيح فى القلب والله على اليمين فإننا نعرف سر القوة فمن نخاف إذاً ؟

الأَصْحَاحُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

دفاع رجل متجدد

فَقَالَ أَغْرِيبَاسُ لِبُولُسَ مَأْذُونٌ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ لِأَجْلِ نَفْسِكَ . حِينَئِذٍ بَسَطَ بُولُسُ يَدَهُ وَجَعَلَ يَحْتَجُّ . إِنِّي أَحْسِبُ نَفْسِي سَعِيدًا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ إِذْ أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَحْتَجَّ الْيَوْمَ لَدَيْكَ عَنْ كُلِّ مَا يُحَاكِمُنِي بِهِ الْيَهُودُ . لاَ سِيَّمَا وَأَنْتَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْعَوَائِدِ وَالْمَسَائِلِ الَّتِي بَيْنَ الْيَهُودِ لِذٰلِكَ أَلْتَمِسُ مِنْكَ أَنْ تَسْمَعَنِي بِطُولِ الأَنَاةِ . فَسِيرَتِي مُنْذُ حَدَاثَتِي الَّتِي مِنَ الْبُدَاءَةِ كَانَتْ بَيْنَ أُمَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ يَعْرِفُهَا جَمِيعُ الْيَهُودِ . عَالِمِينَ بِي مِنَ الأَوَّلِ إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَشْهَدُوا أَنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ عِبَادَتِنَا الأَضْيَقِ عِشْتُ فَرِّيسِيًّا . وَالآنَ أَنَا وَاقِفٌ أُحَاكَمُ عَلَى رَجَاءِ الْوَعْدِ الَّذِي صَارَ مِنَ اللهِ لِآبَائِنَا . الَّذِي أَسْبَاطُنَا الاِثْنَا عَشَرَ يَرْجُونَ نَوَالَهُ عَابِدِينَ بِالْجَهْدِ لَيْلاً وَنَهَارًا . فَمِنْ أَجْلِ هٰذَا الرَّجَاءِ أَنَا أُحَاكَمُ مِنَ الْيَهُودِ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ .

لِمَاذَا يُعَدُّ عِنْدَكُمْ أَمْرًا لاَ يُصَدَّقُ إِنْ أَقَامَ اللهُ أَمْوَاتًا . فَأَنَا ارْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَصْنَعَ أُمُورًا كَثِيرَةً مُضَادَّةً لاِسْمِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ . وَفَعَلْتُ ذٰلِكَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ فَحَبَسْتُ فِي سُجُونٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْقِدِّيسِينَ آخِذًا السُّلْطَانَ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ . وَلَمَّا كَانُوا يُقْتَلُونَ أَلْقَيْتُ قُرْعَةً بِذٰلِكَ . وَفِي كُلِّ الْمَجَامِعِ كُنْتُ أُعَاقِبُهُمْ مِرَارًا كَثِيرَةً وَأَضْطَرُّهُمْ إِلَى التَّجْدِيفِ . وَإِذْ أَفْرَطَ حَنَقِي عَلَيْهِمْ كُنْتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي فِي الْخَارِجِ .

(أع ٢٦ : ١ — ١١)

من الأمور العجيبة عن شخصيات العهد الجديد أنهم لم يخجلوا قط من ذكر حالتهم الأولى . ففي حضرة الملك يتكلم بولس بكل صراحة ويعترف أنه يوماً ما حاول القضاء على إسم يسوع وعلى المسيحيين . كان برونلو نورث (Brownlow North) يعيش حياة بعيدة كل البعد عن المسيحية ثم تجدد وصار واعظاً شهيراً . تلقى مرة خطاباً من شخص مجهول (قبل صعوده إلى المنبر مباشرة) يهدده فيه بإفشاء سر عمل بشع قذر عمله إذا قام ووعظ . فما كان من برونلو إلا أن وقف على المنبر وقرأ الخطاب علانية وقص قصة الحادثة المعينة واعترف بها جهاراً لكنه قال « كان هذا قبل تجديدى ولكن المسيح غيرنى تماماً وهو مستعد أن يغير أى واحد منكم الآن » ويقول دنى Denney إن

أعظم أثر للمسيحية أنها تغـــير الأشرار إلى أناس طيبين . إن المسيحيين لا يخجلون أبداً من أن يجعلوا من أنفسهم مثالاً حياً لقوة المسيح المغيرة . فالإنجيل بالنسبة لهم ليس مجرد كلمات ولا عقائد عقلية لـكنه قوة الله للخلاص . حقاً إن الإنسان لا يستطيع أن يغير نفسه لـكن ما فشل فيه الإنسان يستطيع يسوع المسيح أن يعمله فى الإنسان

ويجب أن نلتفت إلى أن مركز رسالة بولس هنا هو القيامة . فإن قصته وشهادته ليست عن إنسان كان حياً ثم مات بل عن إله مجيد حى . كان بولس يعتبر كل يوم فى حياته عيداً للقيامة .

الخضوع للدعوة للخدمة

وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِبًا فِي ذٰلِكَ إِلَى دِمَشْقَ بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ . رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ أَيُّهَا الْمَلِكُ نُورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الذَّاهِبِينَ مَعِي . فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الْأَرْضِ سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي . صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ . فَقُلْتُ أَنَا مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ فَقَالَ أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ . وَلٰكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لِأَنِّي لِهٰذَا ظَهَرْتُ لَكَ لِأَنْتَخِبَكَ

خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ . مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ . لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ .

(أع ٢٦ : ١٢ — ١٨)

هنا نجد فصلاً ممتعاً .

(١) فكلمة رسول باليونانية تعنى شخص مرسل للأمام . فالسفير المرسل من بلده يعتبر رسولاً ومن الطريف أن الشخص الموفد من السنهدريم فى مهمة كان يسمى رسولاً للسنهدريم . وهكذا نجد بولس يبدأ حياته كرسول للسنهدريم اليهودى وينهيها كرسول ليسوع المسيح .

(٢) كان بولس يسرع الخطى فى طريقه إلى دمشق فى منتصف النهار . ونحن نعلم أن المسافر كان يستريح فى نصف النهار ما لم يكن مستعجلاً جداً لقضاء أمر هام . وهذا يوضح لنا شخصية بولس وهو رسول للقتل ولا شك أنه كان يحاول إخماد الشكوك التى ثارت فى نفسه .

(٣) قال المسيح المقام لبولس « صعب عليك أن ترفس مناخس » كان الثور الذى يوضع تحت النير لأول مرة يرفس محاولات الإفلات من النير وكان صاحبه يمد عصاة طويلة فى آخرها جزء حاد فكان كل مرة يرفس يتألم

من المنخاس . وكذلك فى العربة توضع مناخس خلف رجـل الحصان حتى إذا ما رفس يتألم أيضاً ويجرح نفسه . كان على الثور الصغير أن يتعلم الطاعة والخضوع للنير القاسى وكذلك كان على بولس أن يتعلم الخضوع والطاعة .

وفى العددين ١٧ ، ١٨ نجد ملخصاً وافياً لما يصنعه المسيح للإنسان .

(ا) يفتح عينه . فعندما يدخل المسيح إلى القلب يجعـل الإنسان يرى ما لم يره من قبل . والعيون التى كانت مرتبطة بالأرض لا ترى غيرها تنظر فجأة أمجاد السماء . والعيون التى كانت مركزة على الذات تنظر فجأة بكل حب إلى الآخرين .

(ب) يحوله من الظلمة إلى النور . قبل أن يتقابل الإنسان مع المسيح يكون كمن ضل الطريق لأنه أدار ظهره للنور فهو يسير فى الظلال . لـكن بعد معرفة المسيح يسير فى النور لذلك فهو يعرف طريقه جيداً .

(ح) يحوله من قبضة الشيطان إلى سلطان الله . فبعدما كان عبـــداً للشيطان يصبح إبناً لله . ويتمتع بكل سلطان الله أن يصير ابناً لله مجيداً لا عبداً للخطية .

(د) يعطيه غفراناً من الخطية ونصيباً مع المقدسين : بالنسبة للماضى فإن سلطان الخطية قد كسر وبالنسبة للمستقبل فإن الحياة تخلق من جديد وتتطهر . وبذلك يتخلص الإنسان من الخوف من الماضى ومن المستقبل .

قبول المهمة

مِنْ ثَمَّ أيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ لَمْ أَكُنْ مُعَانِدًا لِلرُّؤْيَا السَّمَاوِيَّةِ بَلْ أَخْبَرْتُ أَوَّلاً الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ وَفِي أُورُشَلِيمَ حَتَّى جَمِيعِ كُورَةِ ٱلْيَهُودِيَّةِ ثُمَّ ٱلْأُمَمَ أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى ٱللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ . مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ أَمْسَكَنِي ٱلْيَهُودُ فِي ٱلْهَيْكَلِ وَشَرَعُوا فِي قَتْلِي . فَإِذْ حَصَلْتُ عَلَى مَعُونَةٍ مِنَ ٱللهِ بَقِيتُ إِلَى هٰذَا ٱلْيَوْمِ شَاهِدًا لِلصَّغِيرِ وَٱلْكَبِيرِ وَأَنَا لَا أَقُولُ شَيْئًا غَيْرَ مَا تَكَلَّمَ ٱلْأَنْبِيَاءُ وَمُوسَى أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ . إِنْ يُؤَلَّمِ ٱلْمَسِيحُ يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ قِيَامَةِ ٱلْأَمْوَاتِ مُزْمِعًا أَنْ يُنَادِيَ بِنُورٍ لِلشَّعْبِ وَلِلْأُمَمِ .

(أع ٢٦ : ١٩ — ٢٣)

نجد فى هذا الفصل ملخصاً حياً لعظة بولس .

(١) فقد دعا الناس للتوبة . ومعنى التوبة تغيير الفكر . فالإنسان يكتشف أن الحياة التى يحياها خاطئة ويبدأ حياة جديدة بمفاهيم وقيم جديدة . إنها تعنى أيضاً اكتشاف أن الحياة يجب أن تتغير . إذاً فالتوبة تعنى شيئين : أولا : الأسف : إنه أسف من عمق القلب عن الحياة التى عشناها وعن الأعمال

التى عملناها . وثانياً : تصميم . نصمم أن نتغير بنعمة المسيح . فهى تشمل قطع ربط الماضى وتخصيص النفس لله .

(٢) دعا الناس أن يرجعوا لله . كثيراً ما نعطى الله القفا لا الوجه وربما نفعل ذلك دون تفكير أو إدراك أو لأننا باختيارنا ذهبنا إلى الكورة البعيدة . لكن مهما كان السبب فالنتيجة أننا يجب أن نواجه الله الذى نسيناه أو استبعدناه من حياتنا وأن نجعله الشخص الوحيد الذى يملك على حياتنا ويشبع كل قلوبنا ، فالله الذى كان لا شىء بالنسبة لنا يصبح كل شىء لنا .

(٣) دعا الناس أن يعملوا أعمالاً تليق بالتوبة . إن برهان التوبة والعودة إلى الله هو الحياة الجديدة ، لكن يجب أن نلاحظ أن هذه الحياة الجديدة والأعمال الجديدة ليست نتيجة لتنفيذ قوانين جديدة لكنها نتيجة الحب الجديد . إنها نتيجة طبيعية لاكتشاف الإنسان . فعندما يكتشف الإنسان مدى حب الله له فى المسيح يسوع لا يملك إلا أن يقول « لا يمكن أن أبقى كما أنا . يجب أن أضع حياتى كلها لأصبح مستحقاً لهذا الحب » وهو يعرف الآن أنه عندما يخطىء فهو لا يكسر قوانين الله بل يكسر قلب الله .

ملك يتأثر

وَبَيْنَمَا هُوَ يَحْتَجُّ بِهٰذَا قَالَ فَسْتُوسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ . ٱلْكُتُبُ ٱلْكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى ٱلْهَذَيَانِ . فَقَالَ لَسْتُ أَهْـــذِي أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ فَسْتُوسُ بَلْ أَنْطِقُ بِكَلِمَاتِ ٱلصِّدْقِ

وَٱلصَّحْوِ . لِأَنَّهُ مِنْ جِهَةِ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ عَالِمٌ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي أُكَلِّمُهُ جِهَارًا إِذْ أَنَا لَسْتُ أُصَدِّقُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ . لِأَنَّ هٰذَا لَمْ يُفْعَلْ فِي زَاوِيَةٍ . أَتُؤْمِنُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ بِالْأَنْبِيَاءِ . أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُؤْمِنُ . فَقَالَ أَغْرِيبَاسُ لِبُولُسَ بِقَلِيلٍ تُقْنِعُنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا . فَقَالَ بُولُسُ كُنْتُ أُصَلِّي إِلَى ٱللهِ أَنَّهُ بِقَلِيلٍ وَبِكَثِيرٍ لَيْسَ أَنْتَ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَنِي ٱلْيَوْمَ يَصِيرُونَ هٰكَذَا كَمَا أَنَا مَا خَلَا هٰذِهِ ٱلْقُيُودَ .

فَلَمَّا قَالَ هٰذَا قَامَ ٱلْمَلِكُ وَٱلْوَالِي وَبَرْنِيكِي وَٱلْجَالِسُونَ مَعَهُمْ . وَٱنْصَرَفُوا وَهُمْ يُكَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ إِنَّ هٰذَا ٱلْإِنْسَانَ لَيْسَ يَفْعَلُ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ ٱلْمَوْتَ أَوِ ٱلْقُيُودَ . وَقَالَ أَغْرِيبَاسُ لِفَسْتُوسَ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ هٰذَا ٱلْإِنْسَانُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَفَعَ دَعْوَاهُ إِلَى قَيْصَرَ .

(أع ٢٦ : ٢٤ — ٣٢)

مع أن ما ذكر فى هذا الفصل ليس كثيراً لكن القارىء يجد فى الصورة العامة أشياء كثيرة تثير الإهتمام . كان بولس سجيناً وقد ظهر أمامهم والسلاسل فى يديه كما ذكر فى كلامه . لكن الصورة العامة ترينا بولس

الشخصية المسيطرة على الموقف . وفستوس لا يخاطبه كمجرم . لاشك أنه يعرف تاريخ بولس كأحد الربيين المدققين ولا بد أنه رأى الغرفة التي يقيم فيها بولس والرقوق مبعثرة فيها هنا وهناك . لم يكن بولس بالنسبة له مجرماً لكن كان في نظره رجل غير متزن لكثرة القراءة . وعندما يكلم بولس أغريباس فإننا نحس أنه هو الذى يحاكم لا بولس . وفى النهاية نجد هذه الجماعة تصدر حكمها بأن بولس لا يستحق المحاكمة لا فى روما ولا فى غيرها . وكل القصة توضح مدى قوة شخصية بولس . فقد كان هذا الرجل يتمتع بشخصية قوية تفوق أية شخصية أخرى فى المجتمع . إن كلمة قوة فى اليونانية هى كلمة ديناميت . إن الإنسان الذى يتمتع بالمسيح فى قلبه وبالمسيح المقام عن يمينه لا يخاف من أى إنسان . إن جلال الله يكسوه ولهذا فإن أية شخصية أخرى تصبح باهتة بجانبه .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلسَّابِعُ وَٱلْعِشْرُونَ

الرحلة الأخيرة

فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ الرَّأْيُ أَنْ نُسَافِرَ فِي الْبَحْرِ إِلَى إِيطالِيَا سَلَّمُوا بُولُسَ وَأَسْرَى آخَرِينَ إِلَى قَائِدِ مِئَةٍ مِنْ كَتِيبَةِ أُوغُسْطُسَ اسْمُهُ يُولِيُوسُ . فَصَعِدْنَا إِلَى سَفِينَةٍ أَدْرَامِيتِينِيَّةٍ وَأَقْلَعْنَا مُزْمِعِينَ أَنْ نُسَافِرَ مَارِّينَ بِالْمَوَاضِعِ الَّتِي فِي أَسِيَّا . وَكَانَ مَعَنَا أَرِسْتَرْخُسُ رَجُلٌ مَكِدُونِيٌّ مِنْ تَسَالُونِيكِي . وَفِي الْيَوْمِ الْآخَرِ أَقْبَلْنَا إِلَى صَيْدَاءَ فَعَامَلَ يُولِيُوسُ بُولُسَ بِالرِّفْقِ وَأَذِنَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَصْدِقَائِهِ لِيَحْصُلَ عَلَى عِنَايَةٍ مِنْهُمْ . ثُمَّ أَقْلَعْنَا مِنْ هُنَاكَ وَسَافَرْنَا فِي الْبَحْرِ مِنْ تَحْتِ قُبْرُسَ لِأَنَّ الرِّيَاحَ كَانَتْ مُضَادَّةً . وَبَعْدَمَا عَبَرْنَا الْبَحْرَ الَّذِي بِجَانِبِ كِيلِيكِيَّةَ وَبَمْفِيلِيَّةَ نَزَلْنَا إِلَى مِيرَا لِيكِيَّةَ . فَإِذْ وَجَدَ قَائِدُ الْمِئَةِ هُنَاكَ سَفِينَةً إِسْكَنْدَرِيَّةً مُسَافِرَةً إِلَى إِيطَالِيَا أَدْخَلَنَا فِيهَا . وَلَمَّا كُنَّا نُسَافِرُ رُوَيْدًا أَيَّامًا كَثِيرَةً وَبِالْجَهْدِ صِرْنَا بِقُرْبِ كِنِيدُسَ وَلَمْ تُمَكِّنَّا الرِّيحُ أَكْثَرَ سَافَرْنَا

مِنْ تَحْتِ كَرِيتَ بِقُرْبِ سَلْمُونِي. وَلَمَّا تَجَاوَزْنَاهَا بِالْجَهْدِ جِئْنَا إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْمَوَانِي الْحَسَنَةُ الَّتِي بِقُرْبِهَا مَدِينَةُ لَسَائِيَةَ.

(أع ٢٧ : ١ – ٨)

بدأ بولس رحلته الأخيرة . وهناك شيئان شجعاه فى رحلته : أولهما معاملة يوليوس قائد المئة لبولس أثناء الرحلة . فقد عامله برفق وتقدير زائدين ولم يكن مجرد مجاملة . وكان يوليوس من كتيبة أغسطس وربما كانت وظيفته ضابط اتصال بين الإمبراطور وأمراء المقاطعات . فإن كان كذلك فلا بد أنه كان رجلا خبيراً ومركزه عظيم فى الجيش . وغالباً عندما واجه بولس يوليوس عرف كل منهما فى الآخر شخصية الرجل الشجاع . أما المشجع الثانى فهو إخلاص أرسترخس . قيل إن أرسترخس لم يكن مسموحاً له بمرافقة بولس ما لم يعلن أنه عبد لبولس . ومن المحتمل جداً أن أرسترخس فضل أن يصبح عبداً لبولس عن أن يتركه . حقاً ليس حب أعظم من هذا .

بدأت الرحلة بحذا الشاطىء إلى صيدا . وكان الميناء الثانى هو ميرا لكن الرحلة كانت صعبة . فقد كانت الرياح السائدة فى ذلك الوقت من السنة رياح غربية ولم تستطع السفينة أن تصل إلى ميرا إلا بالمرور بجانب قبرص ثم اتخاذ طريق متعرج إلى الشاطىء . وفى ميرا وجدوا سفينة من الإسكندرية مسافرة إلى روما . ربما كانت سفينة غلال فقد كانت مصر مصدر تصدير الغلال إلى ايطاليا . فإذا نظرنا إلى الخريطة يمكننا أن نتصور مدى طول المسافة التى كان يجب أن تبحرها ، ولكن الرياح الغربية جعلت السفر فى خط مستقيم مستحيلاً . فإذا أرادت السفينة الوصول إلى إيطاليا مباشرة كان عليها أن تبحر عبر بحر

إليه لكن الرياح جعلت هذا الطريق مستحيلاً وبعد صراع شديد أياماً عديدة ضد الرياح سارت السفينة بحذاء جزيرة كريت إلى ميناء صغير يدعى (الموانى الحسنة) .

خطر فى البحر

وَلَمَّا مَضَى زَمَانٌ طَوِيلٌ وَصَارَ السَّفَرُ فِى الْبَحْرِ خَطِرًا إِذْ كَانَ الصَّوْمُ أَيْضًا قَدْ مَضَى جَعَلَ بُولُسُ يُنْذِرُهُمْ . قَائِلاً أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنَا أَرَى أَنَّ هٰذَا السَّفَرَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بِضَرَرٍ وَخَسَارَةٍ كَثِيرَةٍ لَيْسَ لِلشَّحْنِ وَالسَّفِينَةِ فَقَطْ بَلْ لِأَنفُسِنَا أَيْضًا . وَلٰكِنْ كَانَ قَائِدُ الْمِئَةِ يَنْقَادُ إِلَى رُبَّانِ السَّفِينَةِ وَإِلَى صَاحِبِهَا أَكْثَرَ مِمَّا إِلَى قَوْلِ بُولُسَ . وَلِأَنَّ الْمِينَا لَمْ يَكُنْ مَوْقِعُهَا صَالِحًا لِلْمَشْتَى اسْتَقَرَّ رَأْيُ أَكْثَرِهِمْ أَنْ يُقْلِعُوا مِنْ هُنَاكَ أَيْضًا عَسَى أَنْ يُمْكِنَهُمُ الْإِقْبَالُ إِلَى فِينِكْسَ لِيَشْتُوا فِيهَا . وَهِيَ مِينَا فِي كَرِيتَ تَنْظُرُ نَحْوَ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ الْغَرْبِيَّيْنِ . فَلَمَّا نَسَّمَتْ رِيحٌ جَنُوبٌ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ مَلَكُوا مَقْصَدَهُمْ فَرَفَعُوا الْمِرْسَاةَ وَطَفِقُوا يَتَجَاوَزُونَ كَرِيتَ عَلَى أَكْثَرِ قُرْبٍ .

وَلٰكِنْ بَعْدَ قَلِيلٍ هَاجَتْ عَلَيْهَا رِيحٌ زَوْبَعِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا

أُورُوكْلِيدُونُ . فَلَمَّا خُطِفَتِ السَّفِينَةُ وَلَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُقَابِلَ الرِّيحَ سَلَّمْنَا فَصِرْنَا نُحْمَلُ . فَجَرَيْنَا تَحْتَ جَزِيرَةٍ يُقَالُ لَهَا كَلَوْدِي وَبِالْجَهْدِ قَدَرْنَا أَنْ نَمْلِكَ الْقَارِبَ . وَلَمَّا رَفَعُوهُ طَفِقُوا يَسْتَعْمِلُونَ مَعُونَاتٍ حَازِمِينَ السَّفِينَةَ وَإِذْ كَانُوا خَائِفِينَ أَنْ يَقَعُوا فِي السِّيرْتِسِ أَنْزَلُوا الْقُلُوعَ وَهٰكَذَا كَانُوا يُحْمَلُونَ . وَإِذْ كُنَّا فِي نَوْءٍ عَنِيفٍ جَعَلُوا يُفَرِّغُونَ فِي الْغَدِ . وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَمَيْنَا بِأَيْدِينَا أَثَاثَ السَّفِينَةِ . وَإِذْ لَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ وَلَا النُّجُومُ تَظْهَرُ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَاشْتَدَّ عَلَيْنَا نَوْءٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ انْتُزِعَ أَخِيرًا كُلُّ رَجَاءٍ فِي نَجَاتِنَا .

(أع ٢٧ : ٩ — ٢٠)

يظهر أن بولس كان أكثر المسافرين خبرة بالبحر . إن الصوم المشار إليه هنا هو يوم الكفارة اليهودى وفى تلك السنة كان يقع فى النصف الأول من أكتوبر وطبقاً لنظام الملاحة فى ذلك الوقت كان السفر خطراً بعد شهر سبتمبر ومستحيلاً ابتداء من شهر نوفمبر . ويجب أن نذكر أن السفن القديمة لم يكن فيها أجهزة مثل البوصلة أو جهاز رصد النجوم المسمى السدس لذلك لم يكن أمام السفينة فى الجو الغائم أو فى الليل أية طريقة لمعرفة الطريق وقد نصحهم بولس أن يقضوا الشتاء فى الموانى الحسنة حيث وصلوا لكن ربان السفينة كان يريد توصيل حمولة السفينة من القمح إلى روما وكانت الكلمة

الأخيرة للفصل فى الموضوع لقائد المئة . ومن الغريب أن بولس السجين كانت له الحرية أن يدلى برأيه . لكن الموانى الحسنة لم تكن مكاناً مناسباً لقضاء الشتاء حيث كانت بعيدة عن أية مدينة يمكن الإلتجاء فيها شتاء . لذلك رفض قائد المئة مشورة بولس وسمع لرأى الربان وسمح بالسفر إلى فينيقية حيث الإمكانيات أفضل والمدينة أكبر . وقامت رياح جنوبية غير متوقعة جعلت تنفيذ الخطة ميسوراً . وبعدئذ واجهتهم ريح عاتية من الشمال الشرقى بل عاصفة هوجاء عرضت السفينة لخطر دفعها إلى رمال جزيرة سيرتس شمال أفريقيا وكانت تعتبر مقبرة للسفن . ثم جهزوا قارب النجاة الذى كان مربوطاً خلف السفينة لاستخدامه فى حالة غرق السفينة أو تحطيمها . ثم بدأوا يلقون كل ما يمكن الاستغناء عنه من بضائع وأمتعة لتخفيف حمولة السفينة . ولما كانت السماء ملبدة بالغيوم فإنهم لم يستطيعوا تحديد مكانهم بالضبط وبدأوا يخافون من رمال السيرتس حتى فقدوا كل رجاء .

لا تخافوا

فَلَمَّا حَصَلَ صَوْمٌ كَثِيرٌ حِينَئِذٍ وَقَفَ بُولُسُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ كَانَ يَنْبَغِي أَيُّهَا الرِّجَالُ أَنْ تُذْعِنُوا لِي وَلَا تُقْلِعُوا مِنْ كِرِيتَ فَتَسْلَمُوا مِنْ هٰذَا الضَّرَرِ وَالْخَسَارَةِ . وَالآنَ أُنْذِرُكُمْ أَنْ تُسَرُّوا لِأَنَّهُ لَا تَكُونُ خَسَارَةُ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ إِلَّا السَّفِينَةَ . لِأَنَّهُ وَقَفَ بِي هٰذِهِ اللَّيْلَةَ مَلَاكُ الإِلٰهِ الَّذِي أَنَا لَهُ

وَالَّذِي أَعْبُدُهُ . قَائِلاً لاَ تَخَفْ يَا بُولُسُ . يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ قَيْصَرَ . وَهُوذَا قَدْ وَهَبَكَ اللهُ جَمِيعَ الْمُسَافِرِينَ مَعَكَ . لِذَلِكَ سُرُّوا أَيُّهَا الرِّجَالُ لأَنِّي أُومِنُ بِاللهِ أَنَّهُ يَكُونُ هٰكَذَا كَمَا قِيلَ لِي . وَلٰكِنْ لاَ بُدَّ أَنْ نَقَعَ عَلَى جَزِيرَةٍ .

(أع ٢٧ : ٢١ – ٢٦)

كان الخطر محدقاً بالسفينة . وكانت السفن التى تحمل الغلال سفناً كبيرة فقد كان طولها حوالى ١٤٠ قدماً وعرضها حوالى ٣٦ قدماً وعمقها حوالى ٣٣ قدماً . لكن هذه السفن الكبيرة كان لها عيوبها أمام العواصف العاتية فقد كان من الصعب قيادتها فى تلك الظروف وكان لها قلع واحد كبير لا ينفع فى تلك الظروف أيضاً لصعوبة توجيهه بل إن هذا القلع الكبير كان يكسر الصارى الخشبى الذى يحمله ويندفع إلى البحر . لذا أنزلوا القلوع ، وهكذا أصبحت السفينة وكأنها حزمة كبيرة تتقاذفها الأمواج . ويمكن تصور مقدار الخطر فى هذه الحالة . عندئذ حدث شىء عجيب فقد أخذ بولس قيادة الموقف . وصار السجين قبطاناً فهو الرجل الوحيد الذى صار يملك قدراً من الشجاعة . يحكى أن ملاحى إحدى السفن شعروا بخوف عظيم عندما أحسوا بأن سفينتهم تقودهم إلى المجهول وجاءوا الى قائد السفينة سير همفرى وطلبوا منه الرجوع لكنه أبى وقال « أنا أشعر أنى قريب جداً من الله وأنا فى البحر كما فى أى وقت وأنا على اليابسة » . إن رجل الله هو الشخص الذى لا تفارقه شجاعته حتى ولو غزا الخوف قلوب الآخرين وهو قائد للآخرين لأن الله قائده .

رجاء فى هذا اليوم

فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ وَنَحْنُ نُحْمَلُ تَائِهِينَ فِي بَحْرِ أَدْرِيَا ظَنَّ النُّوتِيَّةُ نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَنَّهُمُ اقْتَرَبُوا إِلَى بَرٍّ . فَقَاسُوا وَوَجَدُوا عِشْرِينَ قَامَةً . وَلَمَّا مَضَوْا قَلِيلاً قَاسُوا أَيْضًا فَوَجَدُوا خَمْسَ عَشْرَةَ قَامَةً . وَإِذْ كَانُوا يَخَافُونَ أَنْ يَقَعُوا عَلَى مَوَاضِعَ صَعْبَةٍ رَمَوْا مِنَ الْمُؤَخَّرِ أَرْبَعَ مَرَاسٍ وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَصِيرَ النَّهَارُ . وَلَمَّا كَانَ النُّوتِيَّةُ يَطْلُبُونَ أَنْ يَهْرُبُوا مِنَ السَّفِينَةِ وَأَنْزَلُوا الْقَارِبَ إِلَى الْبَحْرِ بِعِلَّةِ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَمُدُّوا مَرَاسِيَ مِنَ الْمُقَدَّمِ . قَالَ بُولُسُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ وَالْعَسْكَرِ إِنْ لَمْ يَبْقَ هٰؤُلاَءِ فِي السَّفِينَةِ فَأَنْتُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْجُوا . حِينَئِذٍ قَطَعَ الْعَسْكَرُ حِبَالَ الْقَارِبِ وَتَرَكُوهُ يَسْقُطُ . وَحَتَّى قَارَبَ أَنْ يَصِيرَ النَّهَارُ كَانَ بُولُسُ يَطْلُبُ إِلَى الْجَمِيعِ أَنْ يَتَنَاوَلُوا طَعَامًا قَائِلاً هٰذَا هُوَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ عَشَرَ وَأَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ لاَ تَزَالُونَ صَائِمِينَ وَلَمْ تَأْخُذُوا شَيْئًا . لِذٰلِكَ أَلْتَمِسُ مِنْكُمْ أَنْ تَتَنَاوَلُوا طَعَامًا لِأَنَّ هٰذَا يَكُونُ مُفِيداً لِنَجَاتِكُمْ لِأَنَّهُ لاَ تَسْقُطُ شَعْرَةٌ مِنْ

رَأْسِ وَاحِدٍ مِنْكُمْ . وَلَمَّا قَالَ هٰذَا أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ اللهَ أَمَامَ الْجَمِيعِ وَكَسَّرَ وَابْتَدَأَ يَأْكُلُ . فَصَارَ الْجَمِيعُ مَسْرُورِينَ وَأَخَذُوا هُمْ أَيْضاً طَعَاماً . وَكُنَّا فِي السَّفِينَةِ جَمِيعُ الأَنْفُسِ مِئَتَيْنِ وَسِتَّةً وَسَبْعِينَ .

وَلَمَّا شَبِعُوا مِنَ الطَّعَامِ طَفِقُوا يُخَفِّفُونَ السَّفِينَةَ طَارِحِينَ الْحِنْطَةَ فِي الْبَحْرِ .

(أع ٢٧ : ٢٧ — ٣٨)

لم يعد البحارة يتحكمون فى السفينة وكانت السفينة طافية عبر الإدرياتيك . ولم يستطع البحارة — نسبة للغيوم — أن يحددوا موقعهم . وفى الظلام سمعوا صوت ارتطام بالشاطىء فألقوا بمراسى السفينة ليخففوا من سرعتها حتى لاتتحطم على الصخور التى لا يرونها . وقد فكر الملاحون فى الهرب باستخدام قارب النجاة لأنه لا يفيد ٢٦٠ راكباً لكن بولس أفسد خطتهم فقد قرر أن ركاب السفينة إما أن يموتوا معاً أو ينجوا معاً . ثم أمر بولس جميع الركاب أن يأكلوا وهنا نرى جانباً إنسانياً طيباً . كان بولس رجل الرؤى كما أنه كان رجل الله لكنه كان أيضاً رجلا عملياً . لم يكن عنده أدنى شك أن الله سيعمل عملاً لكنه كان يعلم أيضاً أن الإنسان يجب أن يقوم بالدور الذى عليه . إن بولس يختلف عن بعض الناس الذين يقال عنهم أنهم ذوو عقـــول كبيرة لدرجة أنه لا يمكن الاستفادة بهم فقد كان يعلم أن الناس الذين لم يأكلوا غير أكفاء للعمل . لذلك جمع كل المسافرين وجعلهم يأكلون . وإذ نقرأ القصة نجد أنهم

بعدما أكلوا وفي وسط العاصفة ساد سلام عجيب . إن رجل الله استطاع بطريقة ما أن يجعل الآخرين يحسون أن الله ممسك بزمام الأمور . إن أفيد الناس للمجتمع هم أولئك الشجعان الذين يساعدون الآخرين أن يتشجعوا وأولئك المتزنون الذين يقدمون للناس سر الثقة . كان بولس مثالاً في هذا المجال وكل أتباع يسوع يجب أن يكونوا ثابتين عندما يفقد الناس اتزانهم .

نجاة من الموت

وَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ الأَرْضَ وَلَكِنَّهُمْ أَبْصَرُوا خَلِيجاً لَهُ شَاطِئٌ فَأَجْمَعُوا أَنْ يَدْفَعُوا إِلَيْهِ السَّفِينَةَ إِنْ أَمْكَنَهُمْ . فَلَمَّا نَزَعُوا ٱلْمَرَاسِيَ تَارِكِينَ إِيَّاهَا فِي ٱلْبَحْرِ وَحَلُّوا رُبُطَ ٱلدَّفَّةِ أَيْضاً رَفَعُوا قِلْعاً لِلرِّيحِ ٱلْهَابَّةِ وَأَقْبَلُوا إِلَى الشَّاطِئِ . وَإِذْ وَقَعُوا عَلَى مَوْضِعٍ بَيْنَ بَحْرَيْنِ شَطَّطُوا السَّفِينَةَ فَارْتَكَزَ الْمُقَدَّمُ وَلَبِثَ لَا يَتَحَرَّكُ . وَأَمَّا الْمُؤَخَّرُ فَكَانَ يَنْحَلُّ مِنْ عُنْفِ ٱلأَمْوَاجِ . فَكَانَ رَأْيُ الْعَسْكَرِ أَنْ يَقْتُلُوا الأَسْرَى لِئَلَّا يَسْبَحَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَيَهْرُبَ . وَلَكِنَّ قَائِدَ الْمِئَةِ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُخَلِّصَ بُولُسَ مَنَعَهُمْ مِنْ هٰذَا الرَّأْيِ وَأَمَرَ أَنَّ الْقَادِرِينَ عَلَى السِّبَاحَةِ يَرْمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَوَّلاً فَيَخْرُجُونَ إِلَى الْبَرِّ . وَالْبَاقِينَ

بَعْضُهُمْ عَلَى أَلْوَاحٍ وَبَعْضُهُمْ عَلَى قِطَعٍ مِنَ السَّفِينَةِ . فَهٰكَذَا حَدَثَ أَنَّ الْجَمِيعَ نَجَوْا إِلَى الْبَرِّ .

(أع ٢٧ : ٣٩ — ٤٤)

تظهر شخصية قائد المئة المثالية مرة أخرى فى هذا الفصل . فقد أراد الجنود أن يقتلوا المساجين لئلا يهربوا وكان لهم عذرهم فى ذلك . لأن القانون الرومانى كان يحاكم الحارس فى حالة هرب السجين بنفس العقوبة التى كان يستحقها السجين الهارب . لكن قائد المئة تدخل فى الأمر ومنع قتل المساجين خوفاً على بولس . وتنتهى القصة بنهاية مريحة « فهكذا حدث أن الجميع نجوا » والحقيقة أنهم كانوا مديونين بحياتهم لبولس . حقاً لو لم يكن بولس أعظم رسول . لكان واحداً من أبرع رجال الأعمال الذين عرفهم التاريخ . لأن بولس كان رجلاً بكل ما فى هذه الكلمة من معانى .

الأَصْحَاحُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

مرحباً فى مالطة

وَلَمَّا نَجَوْا وَجَدُوا أَنَّ الْجَزِيرَةَ تُدْعَى مَلِيطَةَ . فَقَدَّمَ أَهْلُهَا الْبَرَابِرَةُ لَنَا إِحْسَاناً غَيْرَ الْمُعْتَادِ لِأَنَّهُمْ أَوْقَدُوا نَاراً وَقَبِلُوا جَمِيعَنَا مِنْ أَجْلِ الْمَطَرِ الَّذِي أَصَابَنَا وَمِنْ أَجْلِ الْبَرْدِ .

فَجَمَعَ بُولُسُ كَثِيراً مِنَ الْقُضْبَانِ وَوَضَعَهَا عَلَى النَّارِ فَخَرَجَتْ مِنَ الْحَرَارَةِ أَفْعَى وَنَشِبَتْ فِي يَدِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْبَرَابِرَةُ الْوَحْشَ مُعَلَّقاً بِيَدِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لاَ بُدَّ أَنَّ هٰذَا الإِنْسَانَ قَاتِلٌ لَمْ يَدَعْهُ الْعَدْلُ يَحْيَا وَلَوْ نَجَا مِنَ الْبَحْرِ . فَنَفَضَ هُوَ الْوَحْشَ إِلَى النَّارِ وَلَمْ يَتَضَرَّرْ بِشَيْءٍ رَدِيٍّ . وَأَمَّا هُمْ فَكَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَنْتَفِخَ أَوْ يَسْقُطَ بَغْتَةً مَيِّتاً . فَإِذِ انْتَظَرُوا كَثِيراً وَرَأَوْا أَنَّهُ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ شَيْءٌ مُضِرٌّ تَغَيَّرُوا وَقَالُوا هُوَ إِلٰهٌ .

(أع ٢٨ : ١ — ٦)

طرح بولس ورفقاؤه على جزيرة مالطة . ويدعو الكتاب أهل مالطة

البرابرة والمقصود بهذا اللفظ الذين يتحدثون بلغة غير مفهومة (أى لغة تختلف عن اللغة اليونانية الجميلة) وهذا الفصل يلقى ضوءاً آخر على شخصية بولس الذى لا يستطيع أن يبقى بدون عمل فقد قام بجمع الأخشاب وأشعلها وهنا نرى شخصية الرجل العملى كما أنه الشخصية التى لا تخجل من عمل أى شىء مهما كان صغيراً (كجمع الأخشاب) لفائدة الجماعة . يحكى عن بوكر واشنجتن أنه سار مئات الأميال على قدميه ليصل إلى جامعة من الجامعات القليلة التى كانت تقبل الزنوج ولكنه فوجىء بأنه لا مكان له وعرضوا عليه أن يعمل خادماً بالكلية لتجهيز فراش الطلبة وكنس الغرف فلم يتكبر بل قبل الوظيفة وبعد قليل قبلوه فى الدراسة كطالب ونجح فى دراسته وتفوق حتى صار من أعظم العلماء . إن صغار النفوس هم الذين يرفضون الأعمال الصغيرة . ونرى أيضاً صورة شخصية بولس الرجل الهادىء الذى لا ينفعل ولا يضطرب فمن بين الأخشاب خرجت أفعى تحركت بفعل الحرارة ونشبت فى يده . ويقول البعض إن الأفعى كانت غير سامة ويقول الآخرون إنه نفضها إلى النار قبل أن تتمكن منه ولكن الكتاب يبين أنها نشبت فى يده لكن المهم أنه تصرف بسرعة وكأن شيئاً لم يكن . ورأى أهل مالطة المعجزة بأنفسهم . ولم يكن بولس ذلك النوع من الرجال الذى يصنع من الحبة قبة .

يتلقى المعونة ويساعد الآخرين

وَكَانَ فِي مَا حَوْلَ ذٰلِكَ الْمَوْضِعِ ضِيَاعٌ لِمُقَدَّمِ الْجَزِيرَةِ الَّذِي اسْمُهُ بُوبْلِيُوسُ . فَهٰذَا قَبِلَنَا وَأَضَافَنَا بِمُلاَطَفَةٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَحَدَثَ أَنَّ أَبَا بُوبْلِيُوسَ كَانَ مُضْطَجِعًا مُعْتَرًى بِحُمَّى وَسَحَجٍ

فَدَخَلَ إِلَيْهِ بُولُسُ وَصَلَّى وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ فَشَفَاهُ . فَلَمَّا صَارَ هٰذَا كَانَ الْبَاقُونَ الَّذِينَ بِهِمْ أَمْرَاضٌ فِي الْجَزِيرَةِ يَأْتُونَ وَيُشْفَوْنَ . فَأَكْرَمَنَا هٰؤُلَاءِ إِكْرَامَاتٍ كَثِيرَةً . وَلَمَّا أَقْلَعْنَا زَوَّدُونَا مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ .

(أع ٢٨ : ٧ — ١٠)

إن كلمة مقدم الجزيرة تعنى حاكم الجزيرة وكان إسمه بوبليوس وقد كان هو الحاكم من قبل روما . كان أبوه مريضاً واستطاع بولس أن يشفيه وفى عدد ٩ نجد أن الباقين الذين بهم أمراض فى الجزيرة كانوا يأتون ويشفون وربما كان لوقا الطبيب الحبيب يعالج وبولس يصلى . فإن كان هذا الرأى الذى نادى به بعض علماء اللاهوت صحيحاً فإن هذا يعطينا صورة جميلة للإرساليات الطبيه وتكون هذه أول إرسالية طبية ورد ذكرها فى التاريخ . وهنا ملاحظة يجدر بنا ذكرها . فى الوقت الذى كان فيه بولس يشفى الآخرين كان هو يعانى من شوكة الجسد . فقد شفى آخرين لكنه لم يستطع أن يشفى نفسه . ما أشبه هذا بما قاله اليهود عن المسيح خلص آخرين لكنه لم يقدر أن يخلص نفسه . ما أكثر الذين يقدمون لآخرين عطايا بينما هم محرومون منها . فبيتهوفن مثلاً قدم للعالم أروع موسيقى بينما حرم هو من سماعها لأنه كان أصماً . ومن عجائب النعمة أن مثل هؤلاء الناس لم يعيشوا متذمرين مرى النفس بل قبلوا أن يكونوا الواسطة التى توصل للآخرين عطايا لم يستطيعوا أن يشاركوهم فيها.

وصلنا الى روما

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ أَقْلَعْنَا فِي سَفِينَةٍ إِسْكَنْدَرِيَّةٍ مَوْسُومَةٍ بِعَلَامَةِ الْجَوْزَاءِ كَانَتْ قَدْ شَتَتْ فِي الْجَزِيرَةِ . فَنَزَلْنَا إِلَى سِرَاكُوسَا وَمَكَثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . ثُمَّ مِنْ هُنَاكَ دُرْنَا وَأَقْبَلْنَا إِلَى رِيغِيُونَ . وَبَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ حَدَثَتْ رِيحٌ جَنُوبٌ فَجِئْنَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى بُوطِيُولِي . حَيْثُ وَجَدْنَا إِخْوَةً فَطَلَبُوا إِلَيْنَا أَنْ نَمْكُثَ عِنْدَهُمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَهَكَذَا أَتَيْنَا إِلَى رُومِيَةَ . وَمِنْ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعَ الإِخْوَةُ بِخَبَرِنَا خَرَجُوا لِاسْتِقْبَالِنَا إِلَى فُورُنِ أَبِّيُوسَ وَالثَّلَاثَةِ الْحَوَانِيتِ . فَلَمَّا رَآهُمْ بُولُسُ شَكَرَ اللهَ وَتَشَجَّعَ .

(أع ٢٨ : ١١ — ١٥)

وبعد ثلاثة شهور بدأ بولس وركاب السفينة الغارقة رحلتهم إلى روما من جديد على سفينة قمح كانت تقضى الشتاء فى الجزيرة . وكان لكل سفينة تمثال صغير على مقدمتها وكان تمثال هذه السفينة هو الجوزاء . وكانت الرحلة الجديدة ممتازة عكس رحلتهم السابقة . وبوطيولى هى ميناء روما . ولا بد أن بولس كان واجف القلب عندما وصل إلى حدود روما عاصمة الدنيا . كيف يتأتى ليهودى ، خيام بسيط ، أن يحضر إلى أعظم مدن العالم ؟ إلى الشمال كان ميناء

ميسينا حيث كان يوجد الأسطول الرومانى ولما نظر بولس إلى هذا الأسطول العظيم لا شك أنه دار بخلده مقدار قوة روما وسلطانها . وعلى جانب آخر كان شاطىء الأغنياء مزدحم بالناس وعـدد منهم يركب اليخوت الصغيرة للنزهة .

وبوطبولى كانت ميناءاً عظيماً مزدحماً يطلق عليها ليفربول العصر القـديم ولا بد أن قلب بولس انقبض من كل هذه المظاهر وهو واقف وحيداً يواجه روما ولـكنه لم تطل وحدته فقـد حضر وفد من المسيحيين من بلدتى فورن أبيوس والثلاثة حوانيت وهما بلدتان على الطريق إلى روما . ومن العجيب أن الـكلمة اليونانية المستخدمة لوصف هذا اللقاء هى نفس الـكلمة التى تستخدم لوصف لقاء الأباطرة والملوك ولقد حضرت الوفود للقاء بولس باعتباره أحـد عظماء العـالم . وشـكر بولس الله وتشجع ماذا شجع بولس ورفع روحه المعنوية ؟ والجواب واضح . لقـد تحقق فجأة أنه ليس وحيداً . إن المسيحى لا يمـكن أن يكون وحيداً . (١) فهو يحس بسحابة الشهود غير المنظورة التى تحيط به . وهو يحس أنه يسير إثر خطوات جميع القديسين الذين ينظرون إليه من علٍ . (٢) إنه يحس أنه عضو فى جماعة عالميـة . إنه عضو فى الـكنيسة كنيسة للسيح التى حدودها العالم كله . وحيثما يذهب يجد نفسه محاطاً بهم يحس معهم أنه فى بيته . (٣) إنه يحس أنه حيثما ذهب هناك الله . إعتاد الناس قديماً أن يرسموا خريطة العالم وأن يكتبوا على الأماكن المجهولة فيها « هنا تسكن التنانين — وهنا الرمال الخارقة » أما المسيحى فيستطيع أن يكتب على أى مكان « هنا يوجد الله » (٤) كان متأكداً أن المسيح المقام معه . كان يحفظ الوعد «ها أنا معـكم كل الأيام » وهو وعد ممن لا يخلف وعداً .

يهود لا يتجاوبون

وَلَمَّا أَتَيْنَا إِلَى رُومِيَةَ سَلَّمَ قَائِدُ الْمِئَةِ الْأَسْرَى إِلَى رَئِيسِ الْمُعَسْكَرِ . وَأَمَّا بُولُسُ فَأُذِنَ لَهُ أَنْ يُقِيمَ وَحْدَهُ مَعَ الْعَسْكَرِيِّ الَّذِي كَانَ يَحْرُسُهُ .

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ اسْتَدْعَى بُولُسُ الَّذِينَ كَانُوا وُجُوهَ الْيَهُودِ . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ لَهُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ مَعَ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا ضِدَّ الشَّعْبِ أَوْ عَوَائِدِ الْآبَاءِ أُسْلِمْتُ مُقَيَّدًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَيْدِي الرُّومَانِيِّينَ . الَّذِينَ لَمَّا فَحَصُوا كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُطْلِقُونِي لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِيَّ عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ لِلْمَوْتِ وَلٰكِنْ لَمَّا قَاوَمَ الْيَهُودُ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَرْفَعَ دَعْوَايَ إِلَى قَيْصَرَ . لَيْسَ كَأَنَّ لِي شَيْئًا لِأَشْتَكِيَ بِهِ عَلَى أُمَّتِي . فَلِهٰذَا السَّبَبِ طَلَبْتُكُمْ لِأَرَاكُمْ وَأُكَلِّمَكُمْ لِأَنِّي مِنْ أَجْلِ رَجَاءِ إِسْرَائِيلَ مُوثَقٌ بِهٰذِهِ السِّلْسِلَةِ . فَقَالُوا لَهُ نَحْنُ لَمْ نَقْبَلْ كِتَابَاتٍ فِيكَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْإِخْوَةِ جَاءَ فَأَخْبَرَنَا أَوْ تَكَلَّمَ عَنْكَ بِشَيْءٍ رَدِيٍّ . وَلٰكِنَّنَا نَسْتَحْسِنُ

أَنْ نَسْمَعَ مِنْكَ مَاذَا تَرَى لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ عِنْدَنَا مِنْ جِهَةِ هٰـذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُ يُقَاوَمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

فَعَيَّنُوا لَهُ يَوْمًا فَجَاءَ إِلَيْـهِ كَثِيرُونَ إِلَى الْمَنْزِلِ فَطَفِقَ يَشْرَحُ لَهُمْ شَاهِداً بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمُقْنِعًا إِيَّاهُمْ مِنْ نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ بِأَمْرِ يَسُوعَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ. فَاقْتَنَعَ بَعْضُهُمْ بِمَا قِيلَ وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا. فَانْصَرَفُوا وَهُمْ غَيْرُ مُتَّفِقِينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ لَمَّا قَالَ بُولُسُ كَلِمَةً وَاحِدَةً إِنَّهُ حَسَنًا كَلَّمَ الرُّوحُ الْقُـدُسُ آبَاءَنَا بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. قَائِلاً اذْهَبْ إِلَى هٰذَا الشَّعْبِ وَقُلْ سَتَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُونَ وَسَتَنْظُرُونَ نَظَرًا وَلاَ تُبْصِرُونَ. لِأَنَّ قَلْبَ هٰذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ وَبِآذَانِهِمْ سَمِعُوا ثَقِيلاً وَأَعْيُنُهُمْ أَغْمَضُوهَا. لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِأَعْيُنِهِمْ وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ. فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ أَنَّ خَلاَصَ اللهِ قَدْ أُرْسِلَ إِلَى الْأُمَمِ وَهُمْ سَيَسْمَعُونَ. وَلَمَّا قَالَ هٰذَا مَضَى الْيَهُودُ وَلَهُمْ مُبَاحَثَةٌ كَثِيرَةٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

(أع ٢٨: ١٦ — ٢٩

من العجيب أن بولس — حيثما حل وحتى نهاية حياته — كان يبـدأ باليهود . لقد ظلوا يقاومونه بكل الطرق مدة تزيد على ثلاثين سنة وحاولوا أن يهدموا عمله بل أن يقتلوه ، لكنه رغم كل ذلك كان يقدم الرسالة لهم أولاً . هل يوجد مثل أعظم من ذلك للرجاء الذى لا ينتهى والحب الذى لا يقهر ؟ لقد بدأ رسالته حتى فى روما باليهود أولا . لكنه فى النهاية توصل إلى النتيجة المكتوبة فى سفر إشعياء . وهذه النتيجة تعنى أن رفض اليهود للمسيح هو الذى فتح الباب أمام الأمم . هناك قصد فى كل شىء . فالله ممسك بدقة كل الأمور . وفى كل سفر الأعمال نرى هذين المنظرين المختلفين الشعور العظيم للأمم إذ يقبلون المسيح والمأساة العظيمة لليهود إذ يرفضون المسيح . لكن فى اقتصـاديات الله وكيميائه العجيبة أن المأساة هى سبب الإنتصار العظيم للأمم . والباب الذى أغلقه اليهود هو الباب الذى فتح للأمم . لكن ليس هذا الموقف هو نهاية الأمر . ففى النهاية سيكون هناك قطيع واحد لراع واحد .

بكل مجاهرة بلا مانع

وَأَقَامَ بُولُسُ سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ فِي بَيْتٍ اسْتَأْجَرَهُ لِنَفْسِهِ . وَكَانَ يَقْبَلُ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ . كَارِزاً بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمُعَلِّماً بِأَمْرِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ بِلاَ مَانِعٍ .

(أع ٢٨ : ٣٠ ، ٣١)

ظل بولس حتى آخر أيام حياته هو هو لم يتغير . يقول الكاتب أنه أقام سنتين كاملتين فى بيت استأجره لنفسه . والمعنى الحقيقى أن بولس كان ينفق على نفسه وأنه كان يعمل فى السجن بيديه ليسد كل احتياجاته ولم يكن عبئاً على أحد لم يعتمد على أى إنسان حتى النهاية . ولم يبق فى السجن بلا عمل بل كتب رسائل إلى فيلبى وأفسس وكولوسى وفليمون ولم يبق وحيداً . فقد حضر معه لوقا وأرسترخس وظل لوقا معه حتى النهاية (٢تيمو ٤ : ١١) وتردد عليه تيموثاوس و بقى معه كثيراً (فيلبى ١ : ١، كو ١ : ١ ، فليمون ١) وأحياناً كان تيخيكس يحضر إليه (أ ف ٦ : ٢١) . وظل أبفرودتس معه وقتاً (فيلبى ٤ : ١٨) كما حضر إليه مرقس (كو ٤ : ١٠) ولم يضع بولس وقته بل قال للفيلبيين « إن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيـل » (فيلبى ١ : ١٢) وذلك لأن « وثقى صارت ظاهرة فى كل دار الولاية وفى باقى الأماكن أجمع » (فيلبى ١ : ١٣) والمقصود بدار الولاية مركز الحراسة . لقد كان يقيم فى سكنه الخاص لكن كان يلازمه ليل نهار جندى رومانى (أ ع ٢٨ : ١٦) . كان هؤلاء الجنود فى البوليس الخاص بالإمبراطور . وفى خلال سنتين قضى بعضهم أياماً وليالى كثيرة مع بولس . ولم يكن بولس يضيع هذه الفرص . فقد كان يقضى النهار والليل يتحدث إلى الجندى الحارس ولا بد أنه فى مرات كثيرة كان يعود الجندى الحارس بعد انتهاء دوره والمسيح فى قلبه . وهكذا يصل بنا سفر الأعمال إلى صيحة النصر . ففى اليونانية نجد كلمة بلا مانع تأتى وكأنها صيحة النصر أنها قمة قصة لوقا . ونحن نتعجب لماذا لم يهتم لوقا بكتابة ما حدث لبولس . هل أطلق سراحه أم قتل ؟ لكن لم يكن هـذا هدف لوقا . ففى أول السفر نرى لوقا يوضح الخطة التى سار عليها فى كتابة سفر الأعمال إذ قال إن

المسيح أمر تلاميذه أن يبشروا في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أع ١ : ٨) . فالقصة انتهت ، القصة التي بدأت في أورشليم منذ أكثر من ثلاثين سنة مضت إنتهت في روما . إنها معجزة من الله . فالكنيسة التي بدأت في أورشليم بأفراد يعدون على الأصابع تعد الآن بعشرات الألوف . وقصة الناصري المصلوب اكتسحت العالم بلا مانع ونودي بها في روما عاصمة الدنيا . لقد وصل الإنجيل إلى مركز العالم وينادى به بكل مجاهرة . وهكذا تنتهي مهمة لوقا .